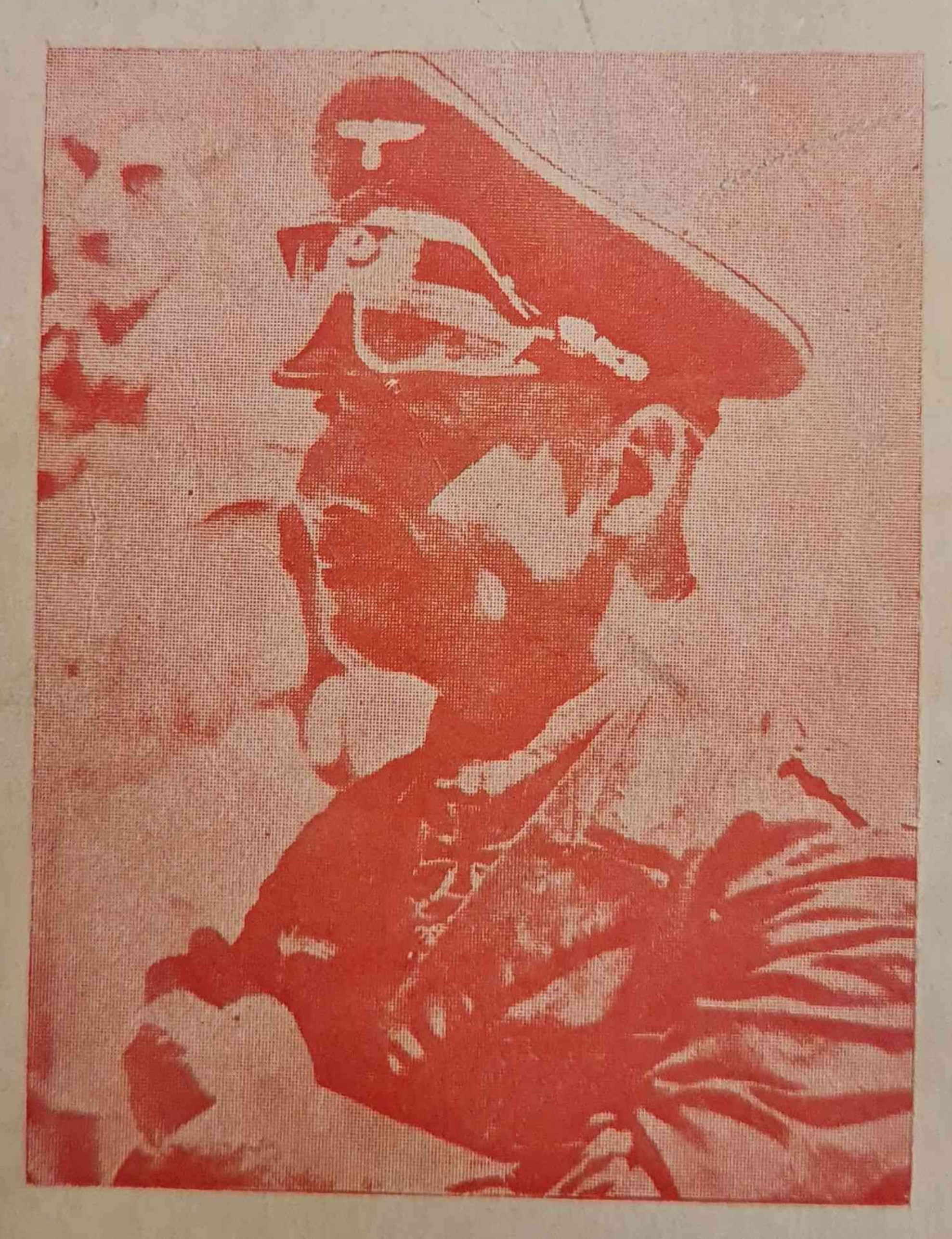
مع رومل في الصحراء

تأليف

هاينز ورنر شمت

مرافق رومل الشخصي



تعريب العقيد الركن

حسن مصطفى

مع روميل في الصحراء

تأليف
هاينز ورنر شمت
مرافق روميل الشخصي



تعريب العقيد الركن
حسن مصطفى

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 28 / رجب / 1445 هـ
الموافق 9 / 02 / 2024 م

سرمد حاتم شكر السامرائـــي



مقدمة المعرب

لقد أصبح اسم رومل أشهر من نار على علم ونال من الشهرة ما لم ينله اي قائد آخر من قواد الحرب العالمية الثانية . وقد اعترف بعظمته كقائد حتى خصومه فأثنى عليه المستر تشرشل في مجلس العموم البريطاني ابان الحرب . وبلغ اعجاب جنود الجيش الثامن البريطاني به الى درجة اقلقت قوادهم وجعلتهم يتخذون التدابير لازالة تأثيره من مخيلتهم .

ولقد كتب عن هذا القائد العظيم ما لم يكتب عن اي من قواد الحرب الاخيرة وان هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القراء الكرام هو من احسن ما كتب عنه . وقد ألفه (هاينز ورنر شمت) احد مرافقي رومل في شمال افريقيا وهو يبحث عن أهم صفحة في حياة هذا القائد العبقري وهي التي نمت فيها شهرته وتوسعت حتى طبقت الافاق .

وبما انني سبق ان ترجمت كتاب (من العلمين الى نهر سانكرو) الذي يبين وجهة النظر البريطانية — أو بالاحرى وجهة نظر مؤلفه المارشال مونتكري — في المعارك الرئيسية التي دارت في شمال افريقيا فقد وجدت من المناسب ترجمة هذا الكتاب ايضاً عند ظهوره ليتسنى لقراء العربية الاطلاع على وجهة النظر الالمانية في معارك شمال افريقيا على لسان المرافق الشخصي لرومل الذي لازمه مدة من الزمن وقاد بعض قطعاته الصغرى حتى نهاية الحملة الافريقية . ولا ريب انه من المهم جداً لدارسي تأريخ الحرب الاطلاع على وجهة نظر الفريقين المتحاربين لان مما يساعدهم على تكوين فكرة اتم عن الوقائع ويجعل حكمهم عليها

صحيحا . على ان لهذا الكتاب مزايا اخرى الى جانب قيمته التأريخيـة فهو يرينا بعض أساليب القيادة واعمال الاركان في الجيش الالماني الذي كان الى عهد قريب من اعظم جيوش العالم واعرقها بالمجد العسكري . وفيه أيضا كثير من الدروس التعبوية والسوقية التي لا يستغني عنها كل ضابط كما ان فيه وصفا ممتعا للمعارك التي اشترك فيها المؤلف وتصويراً رائعا لمختلف المشاعر والاحاسيس التي تنتاب الانسان في المعركة وقصة ماذة عن حياة المؤلف الخاصة وعلاقاته الشخصية .

وسيجد القارىء ان هذا الكتاب قد كتب بروح طيبة خالية من التحزب والتعصب والتهجم الامر الذي تزيد في قيمته من الناحية التأريخية .

واتماما لفائدة القراء اضفت اليه بعض الخرائط المهمة التي توضح المعارك الرئيسية . اذ ان خرائط النسخة الأصلية لاتؤمن هذاالغرض .

وأخيراً اود ان اقدم جزيل شكري الى الاخوان الذين ساعدوني في اخراج هذا الكتاب الى حيز الوجود . واخص بالذكر منهم العقيـد الركن جلال فضلي الذي تفضل فناب عني في الاشراف على طبـع الكتاب والسيد توفيق زين العابدين الذي راجع لغـة الكتاب والسيد بولس رزق البنـاء بولس الرسام في شركه النفط الذي اعانني في رسم الخرائط .

العقيد الركن

حسن مصطفى



« ومع هذا يظهر ان ذلك لم يضر بجسمك »

رومل مع الرئيس الاول الايطالي البدين من فوج انشاء الطريق الذي تذمر من الطعام والشراب . يرى المؤلف واقفاً في اليسار وهو يحمل محفظة خرائط رومل .



الباب الأول

التحاقي بهيئة اركان رومل

١

« نزلت مفارز من قوة حملة المانية الى شمال افريقية بقيادة قائد مجهول يسمى رومل »

ان طريقة اعلان هذا الخبر لاتنطوي على المبالاة ولكنها مما تثير الاهتمام .

وقد نشر في نشرة استخبارات اصدرتها القيادة البريطانية العليا في اوائل مارت سنة ١٩٤١ وانني قرأتها في وثيقة استولت عليها القطعات الايطالية في (كيرين) في جبهة (اريتريا) التي كنت اقود فيها مفرزة مختلطة من القطعات الالمانية (كانت مؤلفة من بحارة سفن المانية حاصرتها البحرية البريطانية في ميناء (مصوع) الايطالي في البحر الاحمر)

ولم يكن ثمة سبب يجعلني ان افترض - عندما لاحظت هـذا الخبر بدون مبالاة - انني سأواجه هذا القائد بعد مـدة لاتزيد على الثمانية أيام او انني سأكون بجانبه في الصحراء الغربية شهوراً طوالا حيث سنهاجم هجوما عنيفاً مراراً عديدة .

كان رومل شخصاً مجهولا في ذلك الحين ولم يكن قد اصبح بطلا بعد .

اما مابعد هذا فاليك ماحدث .

٢

اكملت وأنا لاازال تلميذاً في الجامعة حصتي من التدريب العسكري واحتفظ بي في الخدمة فقدت فصيل مشاة اثناء غزو بولونيا سنة ١٩٣٩. وبعدئذ خدمت في خط (سيغفرد) خلال اشهر « الحرب الصوتية » (١) حتى دعيت الى برلين . وهناك كلفت بواجب خاص في جبهة (اريتريا). وافترضت هـذا التعيين شرفا لي لأن اوراقي تبين انني ولدت في جنوبي افريقية ، ولم أجد ثمة داعيا عاجلا لأن احتج بأن أبوي قد تركا افريقيا الجنوبية عندما كنت في الرابعة من عمري بل قبلت ضمنا بأن اكون خبيراً معترفا به في شؤون افريقية لعلي أجد في هـذا الطريق المغامرة التي أنشدها .

وفي اواسط مارت استولت قطعات (ويفل) البريطانية والهندية (٢) على مواضع تستر (كيرين) . وبدا من الواضح ان هـذا الباب المؤدي الى (اريتريا) والذي كان يظهر منيعا لايقتحم لابد وان يتهشم وينفتح . وكانت قوة الفريق كاننكهام [وبضمنها لواء افريقيـة الجنوبية الأول الذي يقوده الزعيم (دان بينار)] تتقدم أيضا بسرعة عبر الصومال وانها ستوجه ضربتها بعد حين نحو الحبشة . وقد وردت أوامر من برلين تقضي بحل قوتي المؤلفة من متطوعي البحرية التجارية وعودتها الى سفنها

---

(١) " PHONEY WAR " وقد اطلق ذلك على الفترة التي استخدم فيها مدافعوا خطي (سيغفرد) الالماني و (ماجينو) الافرنسي مكبرات الصوت لغرض الدعاية والتأثير في معنويات الخصم [المعرب].

(٢) الفرقتان الرابعة والخامسة الهندية .

التي عليها ان تحاول التخلص من "الحصـار البحري والعودة الى المانيا ، وكان علي أن أطير الى شمال افريقيـة والتحق بقوة الحملة الالمانية التى نزلت في طرابلس .

وقد افلت من الاسر في (اسمره) (١) بسفرة اتيحت لي بطاءة من نوع (سافوايه) التى كانت الطائرة الايطالية الاخيرة التي تركت (اسمرة) حسبما علمت . وقد طرت ليلا (مع ثلاثة طيارين ايطاليين سكارى) الى مطار قرب (ماربل ارج) الواقع على خليج (سيرت) . ومن هناك اخذتنى طائرة ايطالية صغيرة من نوع (كبلى) الى طرابلس .

وفي اثناء الطيران نحو الغرب كانت مدافع مقاومة الطائرات البريطانية تطارد الـ (السافوايه) مطاردة مزعجة . فوجدت ان خير وسيلة اتسلى بها هي التفكير في امور اخرى منها ان اتذكر اين وماذا سمعت في السابق عن هذا الرجل (رومل) الذي قيل انه الآن في طرابلس . وكان مما يضايقنى ان يظل هـذا الاسم متحايلا على شفا ذاكرتي . والغريب انى تذكرته في نفس الوقت الذى تصاعدت فيه اضواء قذائف مدافع مقاومة الطائرات الشاقولية التي كانت تقترب منا بشكل مزعج .

استغرقت في التأمل وأنا مستسلم الى القـدر وخائف قليلا ، ورحت اسرح فكري في خيال عميق ، فاذا بي اتذكر « فرقة الشبح » في فرانسة .

كان هذا الاسم قد اطلق على الفرقة الالمانية المدرعة السابعة لاشتهارها في الظهور بغتة ، ليس أمام الخطوط الافرنسية فحسب بل وخلفها ايضا ، خلال فترة حرب الصاعقة القصيرة الرائعة .

نعم لقد تأكدت الآن . ان قائد هـذه الفرقة كان امير لواء يدعى

---

(١) عاصمة اريتريا .

٣

(رومل) . وسائلت نفسي هل سأراه في شمال افريقية يا ترى ؟

بعد ساعات قليلة من وصولي راجعت مقر القطعات الالمانية في طرابلس بناء على الأوامر التي سبق ان تلقيتها لاسلكيا من برلين . وكان المقر في فندق (ودان) الفخم . فامرني رئيس الاركان المقدم (فون دم بورنه) ان اراجع الفريق رومل شخصيا .

وانتظرت في غرفة عامـة ـ ويظهر ان معظم الضباط في اوتيل (ودان) كانوا قد اتخذوا راحة القيلولة اذ ان شمس ليبيا كانت ترسل اشعتها الحارة بعد ظهر ذلك اليوم من شهر مارت . ومر بي الملازم الأول (الدنجر) (الذي علمت بعدئذ انه المرافق الشخصي لرومل) فدخل الى ردهة داخلية كتب على بابها ببساطة كلمة « القائد » ثم ظهر ثانية وقال بصوت خافت « ان القائد يرغب ان يراك » . فتنفست الصعداء وعدلت ملابس العسكرية التي لم تكن تبدو ، بعد بضعة اشهر قضيتها في (اريتريا) انها جاءت توا من خياط (بوتسدام) (١) ، وطرقت الباب واستجابة الى كلمة « ادخل » التي انبعثت عميقة وقوية فادخلت الى غرفة فسيحة .

اديت ارشق تحية تمكنت منها وحاولت ان اتكلم بدقة عسكرية فقلت « الملازم (شمت) من سرية متطوعي الالمان الآلية في (اريتريا) يعود

---

(١) بوتسدام بلدة عسكرية قرب برلين فيها خياطون يجيدون خياطة الملابس العسكرية . (المعرب)

من واجبه هناك حسب التعليمات الصادرة اليه من قيادة الجيش العامة (١) ويضع نفسه تحت تصرف القائد . »

كان القائد واقفاً امامي بقامته المحكمة القصيرة . فاكتسبت شيئا من الثقة عندما لاحظت قصر قامته . ومع انني متوسط القامة وجدت القائد اقصر مني . وصافحني مصافحة قصيرة وقوية وظلت عيناه الشهلاوان ترمقان عيني بثبات . ولاحظت ان في وجهه تجعدات غير اعتيادية تنحدر من زاويتي عينيه الى نهاية وجنتيه . اما فمه وذقنه فهما مكونان تكوينا جيداً وقويان مما أيد انطباعي الاول فيه بأنه شخصية نشيطة وفعـــالة .

« هل جئت من اريتريا يا ملازم » .

« نعم سيدي — وقد وصلت بالطائرة قبل ثلاث ساعات » . ثم أشار رومل بسبابته الى الزاوية الشماليـة الشرقية من خريطة افريقية وقال :

« ما هو الموقف هناك » .

كنت اتوقع هذا السؤال فأجبت بدون تردد « رديء يا سيدي » . وشعرت انه يجب ان الطف هذا الجواب . فأضفت اليه بعد وقفة قصيرة قائلا « لا اظن انه في الامكان عمل اي شيء لانقاذ الموقف هناك » .

لا ادري هل ان مقامي العسكري الضعيف أم تقديري المتشائم للموقف في (اريتريا) هو الذي أدى الى تبدل اللمعان في هيئة عيني رومل بسرعة البرق . إذ ان نظرته واتجاه ذقنه الى أعلى مما جعلاني اشعر بانقباض .

---

(١) يصطلح عليها بالالمانية بـ (O . K . H) التي هي مختصر (Oberkommando Des Heeres) المعرب .

« وعلى كل حال فانك لا تعلم كل شيء عن الموقف يا حضرة الملازم » (١) .

قال القائد ذلك ببرود ثم اضاف « اننا سنصل الى النيـــل ونقوم باستدارة الى اليمين وسنستعيد كل شيء » .

لم أتمكن من ان أتفوه بشيء ونسيت حتى عبارة التملص البسيطة « أمركم يا حضرة القائد (٢) » ، وأدبر عني روميل بغتة ثم ارسل الي من فوق كتفه بصوت هادىء الكلام التالي :

« راجع رئيس الاركان المقدم (فون دم بورنه) الذي سيقرر ما يجب ان تفعله . هيىء تقريراً عن فعالياتك في (اريتريا) . » ثم اومأ برأسه مشيراً علي بالانصراف .

سبق ان قابلت رئيس الاركان كما يعلم القارىء . وكان (فون دم بورنه) رجلا قوي الجسم متوسط البدانة وذا وجه مستدير . وكان في وسع الرجل الذكي ان يكتشف روح الدعابة التي يتصف بها كما ان ذلك بدا واضحا من أقواله عندما قدمت اليه نفسي — إذ قال لي « ابق معنا ردحا من الزمن فلابد وانك انجزت حصتك الكافية من الركض الى الوراء في الحبشة » . وانني لم اقرر بعد الواجب الذي سنستخدمك فيه ولكن بما انه لديك نوع من (الخبرة الافريقية) ولو انهـا لا يمكن ان تعتبر ممتازة فاننا قد نستفيد منك فيما بعد » وبعد وقفة اضاف قائلا : « راجع

---

(١) ان هذا ترجمة Herr Leutenant) ومع ان معنى (هير) (سيد) فليس من المناسب أن يقال « ياسيد ملازم » « المعرب »

(٢) " JaWohl Herr General " وهي عبارة تقليدية في الجيش الالماني يقولها المرؤوس لرئيسه بعد تلقيه أي أمر منه . (المعرب)

الرئيس الاول (شريبلر) (٢آ) وقل له ليجعلك تحت تصرف شعبة الاستخبارات (١ ج) لامكان الاستفادة منك لأغراض نافعة » (١)

وفي الخارج لقيت الملازم الاول فون (هوسلن) ضابط ركن العينة فأخذ على عاتقه ان يفسر لي تعريف واعمال شعب الاركان بدقة واتقان. وها انذا الخص ذلك فيما يلي :

١ آ — ضابط ركن للحركات (للقرارات التعبوية الخاصة بقواتنا)

١ ب — ضابط ركن للتموين

١ ج — ضابط ركن للاستخبارات ونظام حرب العدو .

٢ آ — ضابط ركن للادارة والامور الذاتية .

واخبرني (فون هوسلن) ايضا انه في الساعة ١٥٠٠ — اي بعد نصف ساعة — سيخاطب الفريق رومل ضباط الفرقة الخفيفة الخامسة الذين وصلوا الى طرابلس قبل مدة قصيرة وانه ينبغي على جميع ضباط الركن ، وانا منهم ، الحضور في ذلك الوقت . وهكذا فبالرغم من انني لازلت بلا منصب بعد ، صرت اعتبر نفسي المرة الاولى عضواً في هيئة اركان رومل .

اجتمع نحو ثلاثين ضابطا في احدى الغرف العامة الكبيرة في اوتيل (ودان) وكان بعضهم يتكلم بصوت عال بينما كان الآخرون مشغولين في حديث هادىء وقد طرق سمعي مزيج من اصوات مختلفة عندما

---

(١) يسمى ضابط كهذا في الجيش الالماني (F . U . P) وهو مختصر : (For Useful Purposes) وهـذا يقابل عندنا وضع الضابط « بالامرة » أو في « القائمة العامة » . [المعرب]

دخلت القاعة وأديت التحية العسكرية . وبالنظر لصغر رتبتي وقلة اهميتي لم أثر اي انتباه . على انني استطعت ان اميز من بين الحاضرين واحداً او اثنين من معارفي واقفين مع جماعة من ضباط الركن الذين كانوا يحملون اوسمة الشجاعة الرفيعة على ستر بزاتهم العسكرية السوداء التى يرتديها ضباط جحفل الدبابات . وقبل ان تسنح الفرصة لرئيس الاركان (فون دم بورنه) لتدقيق عدد الضباط الحاضرين دخل رومل بغتة فاستعد الضباط حالا واعلن (فون دم بورنه) بصوت داو قائلا : « الضباط الاركان وضباط كتيبة الدبابات حاضرون للمؤتمر » . ففوجئت بطريقة (التقديم) هذه التى بدت غير رسمية على العموم (إذ ان العادة المتبعة في الجيش الالماني تقضي باخبار القائد مختصراً عدد الضباط الحاضرين والوحدات التي ينتمون اليها وعدد الغائبين وهكذا). وبدون اية مراسيم اخرى شرع رومل يلقي خطابه فقال :

« أيها السادة — سرني ان علمت ان قوة الافراد المحترمين للكتيبة المدرعة الخامسة قد اوشكت ان تتكامل الآن في طرابلس . وبوصول دباباتكم سيصبح موقفنا راسخا فى شمال افريقيا . لقد تمكنا من توقيف اندفاع العدو نحو طرابلس الغرب ، ووصلت وحداتنا الاستطلاعية (فوج من المدرعات) بقيادة المقدم (فون ويكمر) مواضع الطليان الامامية في خليج (سيرت) في (العقيلة) واستطاعت ان تقوى الجبهة من الوجهتين المعنوية والمادية . وان من واجبنا ثقة اعادة الشعب الايطالي بجيشه ودعم روح القتال في حلفائنا .

وكان رومل يقف بين جملة واخرى ويحرك قبضة يده ومرفقه منحني وجسمه مندفع الى الامام قليلا . ان هذا الصدر القوي وملامح

وجهه التي تنم عن النشاط واسلوبه العسكري المقتضب والدقيق في التعبير عما يريده بوضوح ، كل ذلك يدل على ارادة قوية وعزم جبار . وكان جميع الضباط واقفين مصغين بامعان الى استعراضه الموقف .

فرفع رومل صوته وهز قبضة يده بخفة وقال « لا بد لنا من انقاذ طرابلس الغرب من هجوم الجيش البريطاني . وسنصدهم حتما » ثم توقف برهة واستمر يقول : « في وسعنا ان نفعل ذلك كما يلي :

يجب ان نخدع العدو بشأن قوتنا الحقيقية — او ضعفنا — حتى يتم انزال الفرقة الخفيفة الخامسة بكامل قوتها في طرابلس . ثم تتبعها فرقة اخرى . وحالما يتم تفريغ جميع دبابات الكتيبة المدرعة الخامسة تستعرض هذه مع دبابات فرقة (اريت) الايطالية بشكل ينبغي ان يجلب انتباه السكان المدنيين الايطاليين اولا وجواسيس العدو ثانيا . ان تفاصيل ذلك نوقشت مع آمر الكتيبة المدرعة (١) . وبعد انتهاء الاستعراض تتحرك الكتيبة فوراً الى الجبهة حيث تبقى في الاحتياط هناك . ولكي نضرب مثلا للقطعات الايطالية أتوقع من الضباط والجنود معا ان يظهروا ضبطا قويا تقتدي به تلك القطعات .

اشكركم أيها السادة — هايل هتلر » .

ترك رومل غرفة الاجتماع حالا ويتبعه رئيس اركانه وضباط ركن شعبة (١ آ) الرئيس الاول (اهليرت) وهو شخص طويل القامة اسود الشعر ومن الذين رأيتهم كثيراً فيما بعد .

---

(١) الكتيبة في الجيش الالماني معادلة الى لواء في جيشنا .

والتفت نحوي مرافق رومل الشخصي بسرعة (وكان الدنجر قصير القامة نحيل الجسم في نحو الخامسة والاربعين من عمره ، ذا وجه ضعيف وشوارب صغيرة تشبه فرشة الاسنان . وكان حاملا لوحة خرائط القائد تحت ابطه) فامست يده الخالية الزر الاعلى من سترتي وقال : « سيد (شمت) خذ غرفة فى الجناح المخصص لشعبة (٢ آ) واتصل ايضا بالملازم الاول (هملر) الذي ستجده مع شعبة (١ ج) وستتمكن بلا شك ان نجد لك مكانا ملائما فيما بعد — وكان يتكلم بطريقة ودية وبلهجة [سوابيه (١)] ثقيلة . وقد انجذبت اليه حالا ، خاصة واني لا زلت اشعر بأنني وحيد وشارد أتى من جهة بعيدة ومغلوبة .

نفذت تعليمات (الدنجر) وفي المساء (يوم ١٤ مارت تقريبا) بينما كنت اهيأ تقريري لرومل تعرفت على الملازم الاول (بهرندت) . وكان هذا شابا رشيقا ذا فكر نشيط ، فحدثني عن السنوات التى قضاها فى مصر وكيف كان مع (رودلف هس) فى مدرسة واحدة في القاهرة ولم يكن يدر بخلدنا في ذلك الوقت ان (رودلف هس) هـذا سيقوم بسفرته الجوية الغريبة الى (سكوتلندة) بعد اقل من شهرين (١٠مايس). وكان (بهرندت) يتكلم الانكليزية بطلاقة ويصغي كل ليلة الى اخبار الاذاعة البريطانية التى كان يترجمها لرومل .

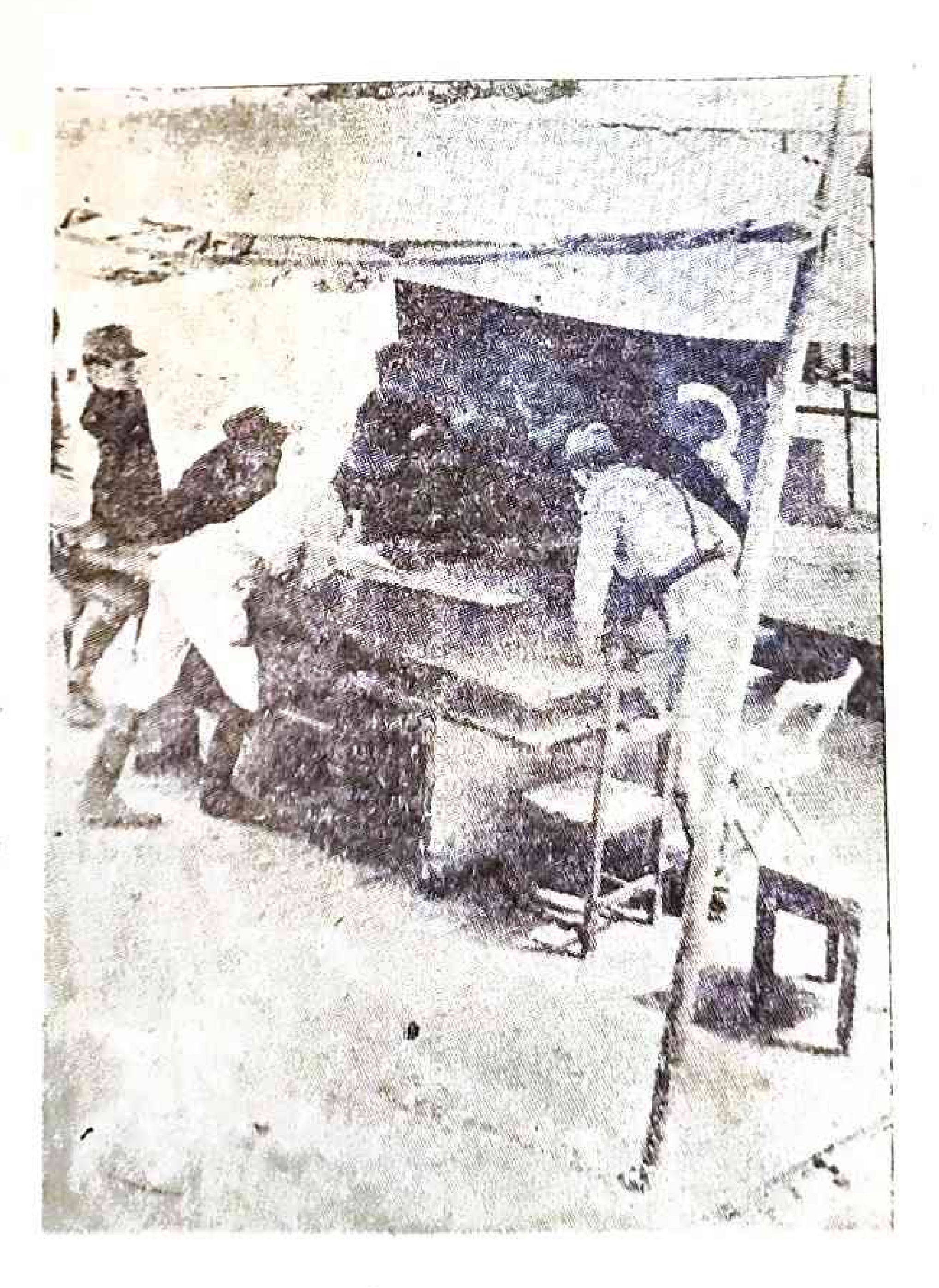
وبينما كنت لا ازال اكتب تقريري واصغي نصف اصغاء الى اخبار الاذاعة الانكليزية التى كان (بهرندت) يدونها اذ التقطت كلمة جعلتني

---

(١) نسبة الى « سوابية » وهي مقاطعة المانيـة ينتسب اليها الدنجر ورومل معاً .

اعتدل في جلستي واضع قلمي ، تلك هي كلمة (كوبرغ) (Coburg)
واستمر المذيع يقول « ان سفينة الحمل الالمانية (كوبرغ) ذات حمولة
(٩٠٠٠) طن والتي غادرت ميناء (مصوع) محاولة الوصول الى المياه
الاوربية بطريق البحر الاحمر ورأس الرجاء الصالح قد اغرقت . اذ
اعترضتها البحرية البريطانية قرب جزيرة (موريشيوس) فاغرقها بحارتها
الذين قبض عليهم مع الركاب المسافرين واخذوا الى جنوبي افريقية . »

فاستولت علي صبغة كآبة ممزوجة بشيء من الراحة لأنني كنت قبل
بضعة اسابيع عائشا في هذه السفينة (كوبرغ) وكنت موقنا بأنني
سأكون عليها عندما ستحاول شق طريقها الى المانيا عبر الحصار البحري
ولكن هيألي القدر امراً مباشراً من برلين فاعادني للقيام بواجبات في البر.
وكان عدد كبير من اولئك المسافرين اعضاء في سريتي المؤلفة من
المتطوعين — وقد قبض عليهم الآن واحتفظ بهم كأسرى في البلاد التي
ولدت فيها . وتذكرت ان خطيبتي في المانية لا تعرف الآن شيئا عن
مصيري ولذلك فكرت في ان ارسل لهــا رسالة لاسلكية في الصباح
ان امكن .



مؤتمر جنب الماموث

رومل في المركز يرتدي قبعة عالية . الشخص المنحني على المنضدة هو الفريق (كالڤن) . المؤلف واقف في اليسار جنب (الدنجر)



رومل جالس في سيارة

الباب الثاني

البلف في طرابلس

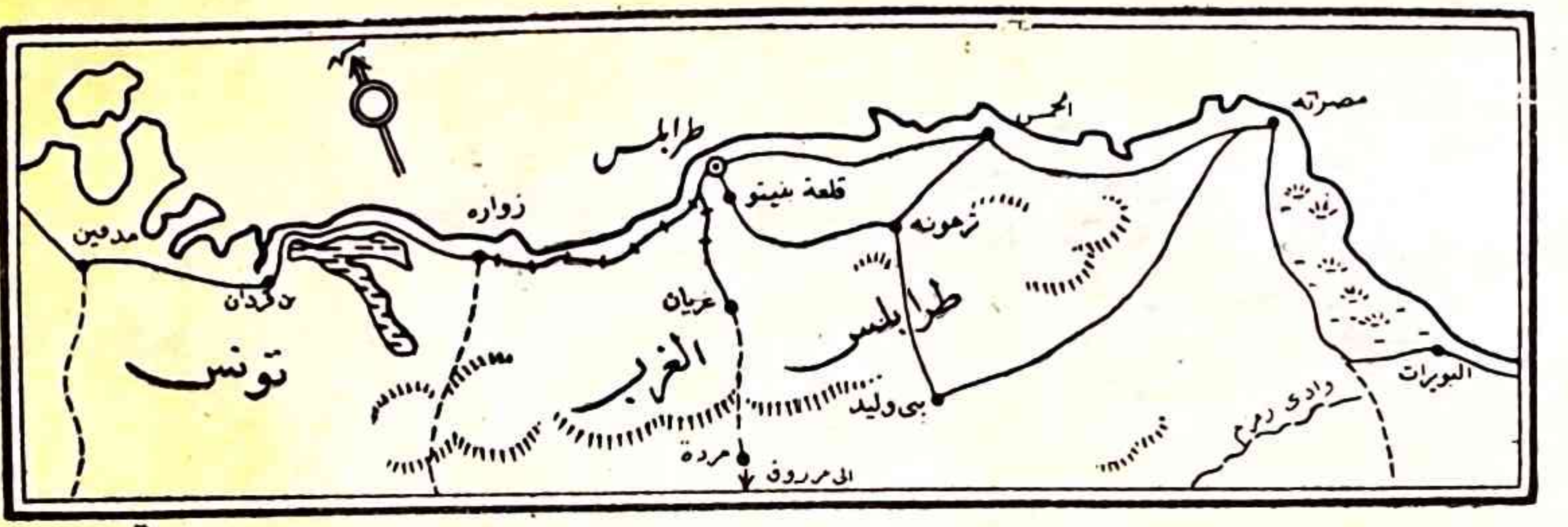
جرى استعراض دبابات رومل في الشارع الرئيسي لطرابلس في اليوم الثاني . وكانت شمس ذلك النهار ساطعة الا ان الايطاليين لم يبدوا اهتماما كبيراً بهذه المظاهرة التي كانت تهدف الى اظهار القوة . ولم يكن هنالك جمع غفير من المدنيين المتفرجين غير الواقفين حول قاعـدة السلام حيث كان رومل واقفاً يرد السلام على القطعات المستعرضـة ويحيط به عدد من القواد الطليان . وكنت واقفاً قريباً من رئيسي الجديد .

مرت الدبابات على انفراد وبفاصلات منتظمة وهي تقرقع وتجلجل . وقد احدثت اصواتاً مزعجة في سيرها على الشوارع المبلطة . وعلى مسافة ليست بعيدة من قاعـــدة السلام استدار الرتل نحو شارع جانبي بزعيق وصريف (١) عظيمين - وبدأت افكر في عدد الدبابات الكثيرة التي مرت واسفت لانني لم احسبها منذ البداية . وبعد ربع ساعة لاحظت خللا في سرفة (٢) احدى الدبابات الثقيلة العلامة (٤) التي بدت بوجه مامعروفة لدي مع انني لم أر سائقها من قبل . عنـدئذ ادركت الحقيقة ولم اتمالك نفسي من الابتسام . وتتابع مرور الدبابات وكانت تزعق وتصرف عند دورانها في المنعطف . وبدأت تظهر في الشوارع آثار الحفر التي احدثتها

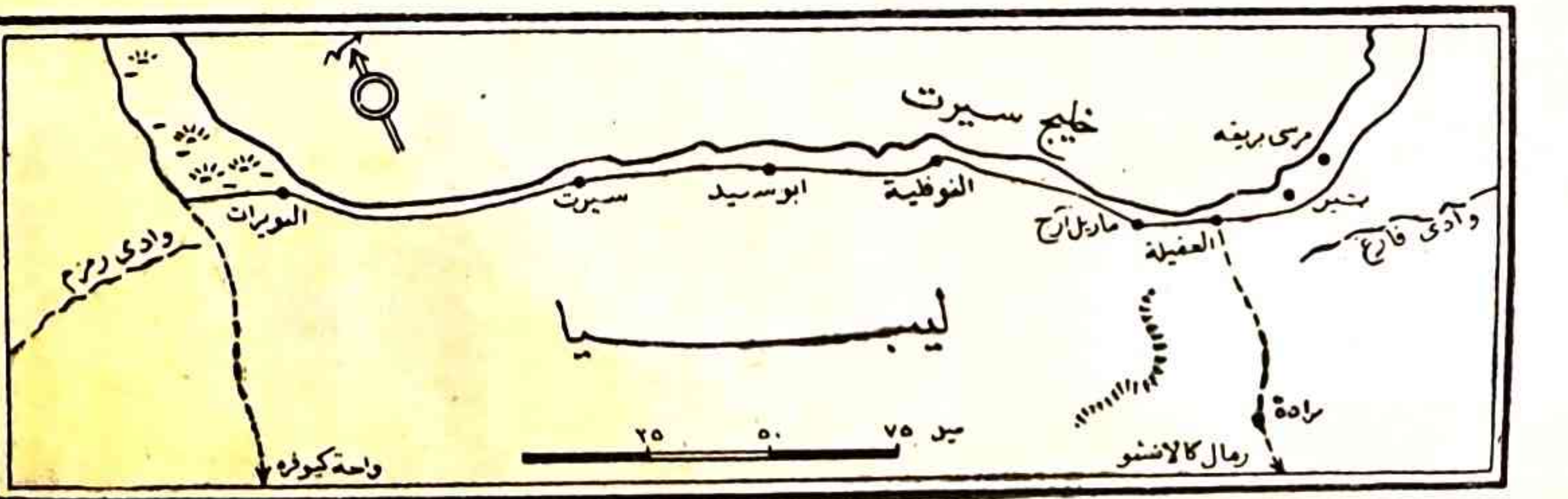
---

(١) الصريف - صوت الدبابات .

(٢) سرفة الدبابات - هي السلسلة الموضوعة حول دواليبها .



حريطة رقم (١)



خريطة رقم (٢)

سرفاتها . وحملق الايطاليون نظرهم وقداستولى عليهم الذهول ـ فسألت نفسي ماذا حل يا ترى بحماسهم الذي يضرب به الامثال ؟ ولكنى سرعان ما ادركت سر ذلك :

فبعد ان مرت الدبابات الالمانية من قاعدة السلام مروراً تاما حدثت فجوة في الرتل . ثم تبعها صف طويل من الدبابات الايطالية التي كانت اقل سرعة واخف ضوضاء . وكان آمرو الدبابات يظهرون انفسهم بأوضح ما يمكن وقدتصنعوا في ملامحهم علائم الجرأة والاقدام والتجهم ـ وعندها تعالى الهتاف من كل مكان ولوحت الجماهير بأيديها وهذرت بشكل جنوني . وكانت صرخات (فيفا ايتاليا) أي (فلتحيا ايطاليا) تعلو من كل مكان .

فكرت مع رفاقي الضباط الاركان في الاستقبال البارد الذى اظهره الاهلون للقطعات الالمانية التى لم تأت إلا كحليفة تساعد في الدفاع عن المدينة . فبدا لنا انهم يحتملوننا على مضض اكثر مما يحبوننا . اما شبانهم المتباهون فهم الابطال الميامين في نظرهم .

وبعد ان مرت الدبابة الايطالية الاخيرة القى رومل اول خطاب عام له في شمال افريقية . وبجمل المانية قصيرة ابدى ثقته في ان الجهود المتحدة للطليان والالمان ستثمر في ايقاف تقدم القوات البريطانية . وقد ترجم الخطاب الى الايطالية جملة فجملة المقـدم (هيكنرينر) ضابط الارتباط مع القطعات الايطالية ـ وهو الضابط الالمانى الوحيـد الذى اشترك في كارثة الانسحاب الايطالي من (سيدي برانى) عنـدما قام (ويفل) بهجومه الاندفاعي في اواسط كانون الاول . وكان صوت رومـل واضحاً وجهورياً . ولم تصفق الجماهير إلا عندما سمعته يشير الى انجازات القطعات الايطالية .

وبعدساعتين من انتهاء خطاب رومل تحركت الكتيبة المدرعةالخامسة (التي لم تكن كبيرة العدد كما كنت اتوقع) صوب الصحراء من الضواحي الشرقية لطرابلس متجهة الى (العقيلة) وجبهة القتال التى ترابط فيها قوات (ويفل) . وهكذا فالمرة الاولى كانت الدبابات الالمانية تتحرك على تربة افريقية لغرض تعرضي .

ومع ان استعراض الدبابات لم يؤثر فيالسكان الايطاليين إلا قليلا ، على مايظهر ، فانه احدث انطباعا لا يستهان به لدى الجواسيس البريطانيين . فقد ذكرت الاذاعة البريطانية بوضوح ان مقر القيادة العامة في الشرق الاوسط اندهش من قوة قطعات الحملة الالمانية في طرابلس الغرب .

وفي اليوم التالي راجعت ضابط ركن شعبة الـ (١ آ) الرئيس الأول (اهليرت) فوجدته رجـلا فظاً ومغتراً بنفسه كثيراً على مايظهر . وبالرغم من انى كنت منهمكا في اعداد تقريري الى رومل في ذلك الحين فانه استدعانى الى غرفته وزودني بسرعة بتقدير للموقف وبأوامر فقال : « قرر رومل ان يخدع العدو ـ وخاصة الافرنسيين الديغوليين بقيادة (ليكلير) المرابطين فى الجنوب بين الواحات والذين يحتمل قيامهم باعمال تعجزية ـ وقد صمم رومل ان يقوم بهجوم كاذب نحو الجنوب برتل آلي سيقوده المقدم (فون شويرن) وهدف الرتل (مرزوق) . »

وبما انني متخصص « خبير في الصحراء » كان علي ان ارافق الرتل كمستشار . وكان من الواضح ان الحياة في طرابلس ستكون مملة بعد حين ولذلك عندما سئلت عن رأيي في هذه المهمة قبلتها بدون تردد مدعيا بأنني الشخص الملائم لها .

وقصفت القوة الجوية البريطانية طرابلس في تلك الليلة ـ فتحولت

جدران غرفتي الى انقاض وغبار . ومن المحتمل ان هذا الغبار هو الذي سبب تسمما في الجرح البسيط الذى حدث في خدي بتأثير شظية .

وامرت بالذهاب الى المستشفى وعلمت انه حل محلي فى حملة (مرزوق) الملازم الاول (هوهمير) الذي كان على كل حال « اختصاصيا » حقيقيا في الصحراء وعاش في مصر مدة طويلة كمدنى وكان رجلا عظيما في استكشاف الواحات .

واسفت طبعا لاضاعتي هذه التجربة على الرغم من انني كنت مبتدئا وادعي الخبرة في امور الصحراء . غير انني بعد ان قضيت أياما قلائل في المستشفى قال لي (الدنجر) ستحصل قريبا على عمل لائق في هيئة اركان رومل وسيطرد هذا عنك الضجر . وقد كانت كلماته في الواقع اصدق مما ظننت .

وبدأت اتعرف تدريجيا على الضباط الاركان الآخرين فوجدت ان شعور (هيكنرينر) نحوي وديا بالرغم من اختلاف رتبنا . اذ كنا متشابهين في ناحية واحدة الا وهي الانسحاب مع الطليان من قبل . فقد اشترك هو في التقهقر الايطالي من مصر وانسحبت أنا مع الطليان المندحرين فى (اريتريا) . وانني اتذكر ان (هيكنرينر) اكد لي في حديث لي معه في ذلك الوقت ان البطل الوطنى الايطالي المارشال (بالبو) اسقطته مدافعه المضادة للطائرات عندما طار من طبرق . وكان (هيكنرينر) يعيش في طرابلس مع القواد الايطاليين في (الفيللا) الفخمة العائدة للمارشال القتيل .

وبدأ ضباط الاركان العامة يطالبون بمحلات اقامة اشد راحة ونعماً ألذ من ذوى قبل ، وسرعان ما تطورت معيشتهم الى حياة ترف

ونعومة تتطلب شراب الليمون المثلج نهاراً وارتداء البزات العسكرية البيضاء الانيقة في ساعات المساء غير الرسمية .

على ان رومل كان (سبارطيا (١)) ولا يأبه لمثل هذه الكماليات فأصدر اوامر فجائية تقضي بحركة هيئة الاركان الى طرابلس الشرقية لكي تكون اولا قريبة من الاحتياطات السيارة خلف خانق (العقيلة) حيث كنا نقف امام العدو ، ولكي تعتاد ثانياً نفس المناخ وحالات المعيشة التي تحياها فرقة الميدان . وكان هنالك سبب ثالث وهو الخطر الحقيقي المحدق بهيئة أركان القيادة من جراء هجمات العدو الجوية العنيفة التي كانت تسهلها شبكة التجسس الواسعة في المدينة .

٢

لقد عهد الي منذ ايام عديدة بأن احرس القائد . وكان رومل في ذلك الحين يستشير باستمرار ضابط ركن شعبة (١ ب) في مقره وهو الرئيس الاول (اوتو) الذي كان مسؤولا عن جميع تدابير التموين . وكان رومل يدقق كل تقرير عن وصول القطعات والمواد ولم تكن هذه التقارير مما تبعث على سروره دوماً اذ كان البريطانيون يرسلون كثيراً من السفن مع حمولاتها المهمة الى قاع البحر المتوسط . فقد وصلت سفينة كبيرة الى ميناء طرابلس محملة بالعتاد غير انه تعذر تفريغها بالسرعة اللازمة فقصفت وانفجرت وحطمت مجموعة كاملة من المباني بالمهداد وبتأثير الانفلاق كما انها انشقت الى نصفين . وكان رومل ينزعج من هذه الحوادث كثيراً إلا أنها لم تكن لتثبط من عزيمته . وكان يصلي

---

(١) نسبة الى سبارطة التي كانت تعود رجالها على حياة الخشونة المعرب .

نفسه قائلا — شكراً لله لقـد وصل كل من فوجي كتيبة الدبابات على الاقل بسلام .

ومنذ ان وصل رومل الى افريقية كان اسم الدبابات لا ينفك عن لسانه وكانت هذه عنده (كالزبدة لخبزه) .

وجاء أمر من القيادة العليا للجيش في برلين بتعيين رومل قائداً لفيلق افريقيا الالماني . إلا انه مضت اسابيع عديدة على ما اتذكر قبل ان يأتي أمر بتثبيت ترفيعه الذي جرى حديثاً من رتبة امير لواء الى رتبة فريق . اما الفيلق الافريقي فلم نر من قوتـــه إلا اقله حيث لم تكن حتى الفرقة الخامسة نفسها قد نزلت بكامل قوتها بعد .

ولقـد لخص الرئيس الاول (اهليرت) (١ آ) الموقف في احدى التقارير كما يلي :

« انحصرت فعالية العـــدو في الاستطلاع فقط . ويدل استطلاعنا الجوي على انه جاد حسبما يظهر في تقوية تشكيلاته وتجديد دروعه .

اما من جانبنا — فلا تزال وحدات المشاة الايطالية تمسك الجبهة . وقد امتاز من بينها فوج (سنته ماريا) بصورة خاصة في دفاعه عن موضع الستار . وللايطاليين علاوة على ذلك فرقتا (اريبت) المدرعة و (بريسيا) . وأمنت وحدة الاستطلاع الالمانيـة (فوج المدرعات) التماس مع العدو . ووصلت الكتيبة المدرعة الخامسة الى مواضعهـــا كاحتياط سيار . وفي الوقت نفسه وصل فوجان من كتيبة رشاشات الفرقة (وهي آلية) وفوجان او ثلاثة افواج من مدفعية الميدان ونصف

فوج الهندسة (هندسة القتال) وسرايا التموين والعناصر المتقدمة من الفرقة المدرعة الخامسة عشر » .

ثم استمر التقرير يقول : « لقد تحسن الموقف الجوي الى جانبنا بالنظر لورود التقويات الى طائراتنا المقاتلة والى مدافعنا ضد الطائرات وقد اشغلت هيئة أركان الفرقة الخفيفة الخامسة التي يقودها الفريق (شترايخ) موضعاً في (ماربل آرج)

وأمر القائد هيئة الاركان العامة لفيلق افريقيا باشغال موضع في منطقة (سيرت) اعتباراً من هذه الليلة » .

٣

بدأ المسير في ذلك المساء . وقاد رومل الرتل في سيارة كان فيها « الدنجر » علاوة على سائقها مع مراسل القائد وهو ضابط صف يدعى (كنتر) ذو جسم صغير وشعر اشقر وكان يبدو هادئاً في جميع الاحوال رابط الجأش بشكل يثير سخط الانسان . وكان يتبع القائد مباشرة ثلاثة من السعاة الراكبين على الدراجات البخارية ثم تأتي عجلة (١ آ) المعتمة التي كان فيها (اهلبرت) والملازم الاول (هوسلن) يدققان الطرق ومواضع العدو حتى في حالة حركتنا . وقد اعقبت عجلتها سيارة الاركان العائدة لي . وكان معي ملازم اول يقود المخابرة ويؤمن الاتصال في كل وقفة مع سيارات مخابرته الموزعة على طول الرتل .

وبعد يومين تم تأسيس مقرنا الجديد في (سيرت) واستقررنا فيه وكادت هذه البقعة ان تكون خالية إلا من بضعة بيوت مكشوفة وارض نزول رملية واسراب من الذباب . فقلت لنفسي «لا مشروبات مثلجة في فندق (ودان) بعد الآن ! »

ولم تسرني (سيرت) غير ان وقتي لم يكن ليتسع للتفكير فيما يزعجني وجاءني أمر فوري مفاده « يراجع الملازم (شمت) ضابط ركن شعبة (١ آ) في سيارة القيادة » .

ذهبت الى سيارة (اهليرت) فاذا بروميل جالس تحت مظلة خارجها يتكلم مع الفريق (فروهليش) القائد الجوي فأديت تحية عسكرية رشيقة إلا ان كليهما لم يهتما بي . فشعرت ان كرامتي البالغة من العمر خمس وعشرون عاما قد اهينت . على انهما لم ينويا الاستخفاف بي — وقد استنتجت مما طرق سمعي من حديثهم انهما كانا مهتمين بامور ذات شأن أعظم .

كان (روميل) يقول :

« أمرني (الفوهرر) ان اقوم باستطلاع سريع بالفرقة الخفيفة الخامسة — وأنا الآن بحاجة الى مساعدتك في الجو .... » ورن صوت التلفون في السيارة فحال دون سماعي نهاية الجملة وجواب (فروهليش) لروميل — وكان هذا يبدي الاعتراضات او يظهر الصعوبات .

« فروهليش ... » اعترضه رومل بشيء من الحدة . لكن (فروهليش) استمر في حديثه قائلا : « سأعمل كل ما في وسعي يا حضرة القائد ولكن ... »

وفي هذه اللحظة سمعت صوت (اهليرت) الغضوب ينادي (شمت) تعال الى هنا حالا »



الباب الثالث

مغامرة الواحات

كان (اهليرت) جالسا امام كتلة مبعثرة من خرائط الحركات - فبادرني قائلا « (شمت) تهيأ حالا لواجب خاص عينه لك القائد . وعليك ان تذهب فوراً الى مقر الفرقة الخامسة الخفيفة وتراجع ضابط ركن (١ آ) هناك . »

ثم اومأ الي ان اقترب وقال « انظر الى هذه الخريطة . يحتل فوج الماني موضعا امام (العقيلة) مباشرة ـ هنا في الجنوب واحة (مرادة) التي يظهر انها ليست محتلة من قبل العدو . واجبك ان تأخذ مفرزة آلية مع بضعة مدرعات وتحتل الواحة . ومن هنا عليك ان تتحقق وتخبر فيما اذا كان في الامكان ان تتحرك مفرزة قتال قوية من (مرادة) وتقوم بهجوم ناجح على واحة (جالو) التي يحتلها العدو . »

واضاف (اهليرت) بأن هذا الواجب مهم وانه اذا انجز بنجاح فقد تكون له نتائج بعيدة الاثر ثم اردف قائلا « اذا كان العدو يحتل (مرادة) فعليك أن تسترجعها . واذا هوجمت بعدئذ عليك أن تدافع عنها مهما كلف الامر . ستحصل على معلومات وتفاصيل اخرى من هيئة اركان الفرقة في (ماربل آرج) هل فهمت كل شيء . »

كررت باختصار الاوامر التي استلمتها . غير انني لم املك الشجاعة لأسأل أي سؤال لأنني كنت اعلم مقدما أن (اهليرت) سوف

لا يرحب بها . ولما استدرت لاترك السيارة ناولني (اهليرت) خريطة حركات الصحراء قائلا «اعتن بهذه اذ ليست لدينا منها غير ثلاث نسخ . وراجع القائد قبل الذهاب . »

كان هنالك شعور يوخز في قلبي . وقـد تولاني احساس مزيج من الفخر والفرح من توقع المجازفـة مضافا الى ذلك اثر من الخوف . وبينما كنت احزم عفشي واحتياجاتي الاخرى امرت سائقي بأن يملأ السيارة بالوقود وبعد عشر دقائق كنت جاهزاً للحركة ـ وقد اخبرت القائد بسفري فاكتفى رومل بايماءة من رأسه .

كانت السياقة الى (ماربل آرج) مجهدة لاننا كنا نراقب باستمرار طائرات العدو ذات الطيران الواطيء وفي المساء شاهدت القوس العظيم في الصحراء وكان في جنوبه حائط من الصخور الخفيفة وعجلات مخبأة في حفر وخيم وملاجيء وكان ذلك مقر الفرقة الخفيفــة الخامسة . فراجعت حالا ضابط ركن شعبة (١ آ) للفرقة الرئيس الاول (هاوسر) الذي اصبح بعدئذ فريقاو رئيسا لاركان الجيش الرابع عشر في ايطاليا وبعد هنيهة دخل خيمة (هاوسر) قائد الفرقة الفريق (شترايخ) .

لقد احببت كلا هذين الضــابطين اذ كانا يتحاشيان الرسميات ويظهران الود ـ وقد قدما لي قدحا من البيرة ، وهي من نوع الكماليات التي لاوجود لها في مقر رومل الصحراوي . وكانا يعرفان كل شيء عن مهمتي وقد اتخذا التدابير اللازمة لها . وتناقشنا التفاصيل ثم استدعى (١ جـ) (ضـابط ركن الاستخبارات) ـ فكان هو الآخر ودياً مع شيء من التلطف ، كان هذا يسمى (الكابتن فون كلوكه) ابن القائد

الشهير الذى كان يكنى بـ (هانس الماهر) (١) . على انني لا اظن أن الابن سينال شهرة أبيه .

وكان مطعم الفرقة مريحا ومترفا اكثر من مطعم روميل بكثير وقد وجدت أنه في وسع المرء ان يشتري فيه المشروبات والسكاير حتى الحلويات التي كانت تلذ لي بوجه خاص لانني لا ادخن .

ودار الحديث في ذلك المساء عن السياسة . فذممت ، ربما بدون حذر ، دفاع (غوبلز) عن الغدر باليهود في سنة ١٩٣٨ مدعيا بأن ذلك كان مظاهرة قام بها الشعب الالماني من تلقاء نفسه . ووصفت دفاعه هذا بأنه تشويه للحقائق . وعلى الرغم من انني لست صديقا لليهود فانني قلت ان سياسة (ضد السامية) شيء معيب . وسر لما فهمت به على مايظهر ضابط من الاحتياط في منتصف العمر وصاحب ارض في (ميكلينبرغ) فقال « يسرني ان اسمع هذا من ضابط شاب ولكن اسأل جارك فانه يخالفك في هذا الرأي . »

وكان جاري ايضا ملازما قد قارب الاربعين من عمره قوي الجسم ذا ملامح تنم عن حب الاعتداء وحاجبين كثيفين كان يتركها دائما لينحنيا قليلا كأنهما ثقيلان بدرجة انه لايطيق حملهما او كأنه مشغول دوما في تفكير عميق . ولم الاحظ عليه رد فعل ما فقدمت نفسي اليه . وفي اثناء الحديث الذي جرى بعدئذ والذى كان يشوبه شيء من التوتر علمت انه الملازم (بيرندت) الذى كان في الحياة المدنية مستشارا في وزارة الدعاية التي يرأسها (غوبلز) وانه مؤلف كتاب حربي يسمى

---

(١) ان كلمة (كلوك) الالمانية تعني (ماهر) .

(صيادو الدبابات يخترقون) . على ان (بيرندت) لم يعلق على حملاتي التي شننتها على (غوبلز) وعندما درج المساء اصبحنا كصديقين تماما . ولم يتنبأ احدنا في ذلك الحين اننا سنعيش معا شهوراً طوالا .

وفي تلك الليلة رمى علينا الانكليز المشاعل (التي كنا نسميها اشجار عيد الميلاد) وقنابر ضد الاشخاص . وقد مزقت شظية سقف خيمتي وفتحت لي فيها منظراً جميلا ارى منه نجوم افريقية .

اخذت مكاني في رأس رتل (مرادة) قبل طلوع الشمس بوقت طويل وخرجنا بنحو (٣٠) عجلة وكانت من ضمنها اربع مدرعات وعجلة لاسلكي وست سيارات ركوب (من نوع فولكسواكن) (١) وسيارتان ركبت عليها اسلحة ضد الطيارات الخفيفة واثنتان اخريان عليها مدافع ضد الدبابات . وكانت العجلات الباقية سيارات مكشوفة تحمل جنود بندقيات وعتاد وارزاق . ورافق رتلي ثلاثة ضباط احداث - وهم آمر سرية وملازم يدعي (شمت) ايضا ، وقد شاركني هذا في مدرعتي التي كانت في المقدمة ، وملازم مسؤول عن مفرزة اللاسلكي .

وتحركنا نحو الشرق حتى اصبحنا على بعد بضعة اميال من (العقيلة) فانصبت علينا عندئذ رشقات من نار المدفعية البريطانية استدللنا منها ان الوقت قد حان ان ننحرف جنوبا مبتعدين عن الطريق الساحلي . واتجهنا نحو النياسيم المؤدية الى (مرادة) وظللنا نبحث عن المدرعات الالمانية التي علمنا انها تتجول في المنطقة . وبعـــد مسيرة ساعتين في الصحراء

---

(١) اي (سيارات الشعب) .

اتصلنا مع مفرزة الاستطلاع . فاعطانا آمر مدرعة ضخمة ذات ثمانية دواليب اتجاهاً جديداً وتبرع ليرافقنا الى النيسم المؤدي الى مرادة ثم تابعنا المسير .

وارسلت المخابرة رسالة الى الامام تقترح فيها الوقوف . فقد التقطت رسالة بالانكليزية مفادها « ان رتلا للعدو يتحرك نحونا » . فبحثنا في الافق وافترضنا ان راصد العدو يجب ان يكون مختفيا وراء مرتفع من الارض قريب جداً الى طريق (مرادة) الذي صرنا نميزه الآن بوضوح . فاستدعيت ست سيارات وامرتها بان تنتشر على ارض الصحراء الوعرة وتتقدم باتجاه الجنوب . فاخبرتنا عجلة اللاسلكي بعد قليل انها سمعت جملة انكليزية أخرى «ست سيارات استطلاع خفيفة للعدو تتحرك جنوبا . »

وتبرع آمر المدرعة ذات الدواليب الثمانية ان يهجم على المرتفع المشتبه به . غير انني خفت من الالغام وأمرته ان يتقدم مائة ياردة فقط ثم يقف ففعل ذلك . وعندئذ التقطنا رسالة اخرى تفيد « ان مدرعة ضخمة تتقدم نحوي . فاذا تقدم العدو الى مسافة اقرب سأضطر لأن اغلق المرصد »

فاخذت مدرعتين خفيفتين الى الامام للالتحاق بالمدرعة ذات الثمانية دواليب وبعد تبادل المعلومات مع آمرها باختصار قمنا بهجوم تام على المرتفع إلا أننا لم نكد نقطع ميلا واحداً حتى رأينا غيوماً من الغبار وثلاث مدرعات بريطانية صغيرة تنسحب بسرعة .

وبدا الميدان خاليا الا اننا لم ننفك عن التقدم بحذر وفطنة ، وقبل ان نصل النيسم المؤدي الى الجنوب مست احدى العجلات لغما فخرجنا

لحسن الحظ بخسارة واحدة فقط . وبدأ آمر المدرعة ذات الثمانية دواليب يفقد اهتمامه في حملتنا بعد ان وجدنا الطريق فزودنا ببعض الارشادات ثم تركنا ليلتحق برفاقه بينما شرعت هندستي تطهر ثغرة في حقل الالغام ولم يستغرق هذا الواجب اكثر من نصف ساعة

وحل علينا الظلام بسرعة فرحبنا بذلك . وبما ان طائرات العدو ذات الارتفاع الواطيء كانت اشد خطراً علينا من الالغــام قررنا الاستفادة من ضوء القمر والسياقة في الليـل ، وعندما لاحت تباشير الفجر وصلنا واحة (مرادة) فوجدناها خالية من العــدو واحتللناها بدون ان نرمي اطلاقـة واحدة ، واخبرنا الاعراب في الواحة بواسطة مترجمنا ان مفرزة آلية ضعيفة من القطعات البريطانية انسحبت نحو الشمال قبل يومين .

وسرنا ان نجد ينبوعا يتدفق منه جدول ماء عذب . فقضينا النهار نهيء المواضع الدفاعيـة ضد الهجمات المحتملة . وفي المساء استمعنا الى اخبار الاذاعة البريطانية — وكانت اخبار الحرب كالعادة تبحث عن حوادث اليوم الماضي . فسمعناها تقول « تحركت مدرعات المانية من (العقيلة) نحو الجنوب » — فتأكدنا ان ذلك يشير الى مفرزتنا وشعرنا بغرور لا موجب له

وبـدأت مهمتنا الحقيقية في الصباح المبكر من اليوم التالي ، إذ قررنا استطلاع الطريق الى واحة (جالو) التى تقع نحو ١٥٠ ميلا الى الشرق . وتركت آمر السرية مسؤولا عن (مرادة) وأخذت لواجب (جالو) سيارتين في كل منها ثلاثة من الجنود . وكانت كل سيارة مسلحة برشاشة خفيفة ضد الطيارات وفيها اربعة صناديق عتاد ، وكان

المقعد الرابع محملا بصفائح البانزين التي كانت من نوع يسميه الانكليز (جريكنز) ، وقد حملنا صفيحتين من الماء العذب في الامام ، وكانت السيارات اعتيادية من نوع الادراج الخلفي (١) وذات مبردة هوائية وتحمل حزماً من الحطب على الجانبين للاستفادة منها عندما تطمس في الرمل الناعم ، وقد أمرت الملازم (سمث) ان يرافقني وتركت له اختيار اثنين من سعاة الدراجة البخاريه المتطوعين واثنين من جنود الرشاش

وفي الساعة الاولى من رحلتنا بدأت افكر — ونحن نتجه جنوباً في اننا سوف لا نصل الى غايتنا اذ كنا نطمس في الرمل العميق مرة بعد اخرى في كل بضع دقائق . على ان لون الرمل بدأ يتغير الى اصفر فاتح وصار يزداد صلابة فأصبح التقدم اسهل من ذي قبل على شرط ان نسير بسرعة متساوية وزائدة نسبياً . وبعد ثلاث ساعات ظهر لنا خيال تل مسطح الرأس في الافق الجنوبي فعلمت انه آن لنا ان نغير الاتجاه الى الشرق إلا ان كثباناً رملية جسيمة لا يمكن اقتحامها — وهي مرتفعات بحر الرمل المسمى (كالانشو) — اعترضت طريقنا . وكان شكل الارض يرتفع بانحدار شديد نحو الهضبة الشرقية ، فشعرت انه يتعذر علينا ان نتقدم حسب الخطة التي وضعناها .

وعندما وصلنا الى التل المسطح الرأس أشار سائقي الى الاعمدة العالية التي رآها مغروزة في الارض بفاصلات نحو ميل بين واحد وآخر وموازية للارض المرتفعة الواقعة في الشرق . فظننا ان هذه

---

(١) اصطلاح فني وضع للتعبير عن عبارة « Rear Wheel Drive » الانكليزية (المعرب)

تدل على وجود طريق نحو الجنوب وقررنا ان نتبعها علنا نتمكن من الوصول الى اسفل الارض المرتفعة ونقترب الى الهضبة . غير انمساعينا ذهبت ادراج الرياح طيلة النهار ، فتسلقت سيراً على القدم الى اعلى الهضبة فوجدت عليها آثاراً جديدة لعجلات بريطانية ذات دواليب واسعة

ذهب النهار وتلاه ليـــل ذو نجوم لامعة . فتناولنا طعاماً خفيفاً ناشفاً وشربنا معه عصير الليمون ثم أقمنا الربايا وجلسنا نسترح بالتناوب وفي خلال الساعات التي كان علي ان اكون فيها يقظاً فكرت في المعضلة التي نجابهها فأيقنت بأننا كنا في الواقع على الطريق المؤدي الى (كفره) فكان علينا الآن ان نجد اولا طريقاً عبر الكثبان الرملية ثم نجتاز الجانب المرتفع الجسيم المؤدي الى الهضبة .

وتابعنا المسير فجراً وكانت سيارتانا تسيران جنبا الى جنب وليس احداها اثر الاخرى فاذا توقفت احداهما اندفعت الاخرى ما استطاعت الى ذلك سبيلا . وقد تمكنا بهذه الطريقة ان نتقدم تقدما مطرداً اذ ان سيارات (فولكسواكن) خفيفة بدرجة يمكن معها حملها باليد من الاخاديد الرملية التي تطمس فيهـا من حين لآخر . وكان السائق يبقى وراء السكان فيرفع راكبو السيارة احد جانبيها اولا وبعد وضع قضيب خشبي تحته يفعلون نفس الشيء مع الجانب الآخر .

وخمنت اننا وصلنا الى نقطة هي اقرب الى (كفرة) منه الى (جالو) وصارت الارض تزداد صعوبة عن ذي قبل ـــ وتحددت رؤيتنا الى كل اتجاه من جراء الكثبان التي كانت تكتنفنا من جميع الجهات . وانزلقت السيارتان معا من فوق الذروة الى وادي كثيب عظيم وقضينا ساعات طوالا في العمل الشاق لاخراجها الى الارض المستوية ثانية . وقد نفد

نصف كمية البنزين الموجودة لدينا فلم نر بداً من الرجوع الى (مرادة) — وقد وصلناها ظهر اليوم التالي .

وبعد يوم قمت بمحاولة ثانية وبجنود جدد وعجلات أخرى بغية ايجاد طريق عبر الكثبان الرملية التى كانت تبدو غير قابلة للمرور والتي كانت شمال شرق التل ذي الرأس المسطح . فوجـدنا الطريق الى (جالو) واكتشفنا ان الواحة محتلة من قبل العدو — غير انني كنت استطيع أن اقول في تقريري أن الطريق كان ملائماً لنوع خاص من العجلات فقط — وانه يتعذر على المدرعات الثقيلة ان تطرقه بالمرة . وعـدت الى (مرادة) وأنا اشعر ببعض الرضى على الرغم من ان نجاح حملتي كان محدوداً . وكانت في الواحة مفاجأة تنتظرني .

~~~~~~
~~~~~~

الباب الرابع

مهمة في طائرة القائد

استلمت رسالة لاسلكية عند وصولي الى الواحة مفادها :

« انه واجب (مرادة) — راجع الفريق رومل حالا »

ومع انني لم انم إلا ساعة او ساعتين منذ ليال بلاانقطاع فانني سافرت من مرادة في نفس المساء في سيارتين خفيفتين اذ أن اسرعتها في هذه الحالة قيمة كبرى . وكان هدفي المقر الامامي الذي هو الآن شرق (العقيلة) وذلك حسب الرسالة الرمزية التي استلمتها عجلة اللاسلكي .

لقد جابهنا قبل اسبوع نيران القنابل في هـذه المنطقة فكيف تبدل الموقف ياترى ؟ . كان للانكليز مرصد ملائم للمدفعية على ارض مرتفعة شمال الطريق الساحلي . وان وجودهم فيه ساعدهم على تعجيز تنقلاتنا في المنطقة الامامية فكان لذلك مصدر ازعاج تام لنا . فأمر رومل بالهجوم على هذا المرصد بسريتين من جنود الهندسة المقاتلين لاحتلاله . وقد نجح هجوم هاتين السريتين و كان رومل يرقبها اثناء الهجوم من طيـارته الصغيرة (١) فرأى أن القطعات البريطـانية تنسحب شرقا . فنزل وأمر مجموعة استطلاع المدرعات بازعاج جناح العـدو الجنوبي بالتعاون مع

---

(١) كانت من نوع (فيسيلر) وكانت تدعى (اللقلق) — وهي عبـارة عن طائرة استطلاع صغيرة المعرب

دبابات فرقة (اريت) الايطالية . وامر (فروهليش) قائد القوة الجوية بأن تترصد قوته تأثير هذه الحركة . فكان تقريرها محيراً اذ جاء فيه « ان العدو يتحرك الى الخلف بمقياس كبير باستقامة (اجدابية) و (بنغازي) . »

طلب رومل حالا من (فروهليش) ان يزوده بمعلومات أخرى عن المنطقة الواقعة قرب (المخيلي) وشرق (بنغازي) . فكان التقرير الجوي الجديد يبدو بعيد الاحتمال اكثر من ذي قبل اذ كان يشير الى تنقل عام لقطعات العدو شرقا عبر برقة .

وسائل (رومل) نفسه هل حان لي الوقت للقيام بتعرض عام يائس ؟ فهل في الامكان ان دباباته (الدمى) المصنوعة من الخشب والجنفاص قد بلغت حقا استطلاع العدو الجوي وجعلته يعتقد اننا ننوي القيام بهجوم كبير . وهل ظن العدو ان الحركة المحدودة التي قمنا بها ضد مرصده وان المحاولة الاستكشافية في الجناح الجنوبي دليل على اننا ننوي اجراء حركات مدبرة جبارة ؟

لم يكن رومل بالرجل الذي يضيع الوقت عبثا في تفكير غير مثمر بل كان عمليا يؤمن بالواقع . فاستثمر الموقف الى اقصى حده فارتجل هجومين أحدهما على الساحل نحو بنغازي وقامت به القطعات الايطالية والاخر اندفاع الماني نحو (المخيلي) . واتضح لرومل ان ويفل قدر قوة تشكيلات المحور أكثر من حقيقتها . اذن فان استعراض طرابلس لم يكن عبثا . واصبح لزاما الآن أن لا تكتشف الحقيقة . لذلك أمر رومل أن تكون الدبابات على رأس جميع التشكيلات وعلى العجلات الخلفية أن

تثير من الغبـار ما استطاعت الى ذلك سبيلا — فمن يستطيع ان يميز في الصحراء غير العجلات الامامية اذا كانت سحب الغبار في الخلف ترتفع كثيفة هائجة ؟.

وكان رومل لا يطيق الاستقرار في مكان واحد فكان من شأنه ان يكون في اماكن عديدة في آن واحد — وكان يستخدم طائرته باستمرار ويتنقل من محل الى آخر فتراه تارة هنا واخرى هناك ويكون عادة حيث لا يتوقعه الناس إلا قليلا .

اقتربت من الساحل شرق (العقيلة) بقليل فوجدت هناك عدداً من سيارات الاركان — ولما كنت مجهداً من عناء السياقة ليلا من (مرادة) فاستلقيت لأنام ساعة او ساعتين . وفي الفجر استيقظت منتعشا على الرغم من الرمل الذي لم يزل ملتصقا بحاجبي عيني . وفي الساعة السابعة صباحا عثرت على علم المقر المتقدم قرب مطار (اجدابية) .

لقد اصبح تقريري عن استطلاع (مرادة - جالو) زائداً اذ لا احد يهتم الآن في امكانيات التقدم على (جالو) . وقد تلقاني (اهليرت) وهو نافذ الصبر فدمدم قائلا « في أية بقعة من الارض كنت مختفيا » ولم ينتظر مني جوابا بل انحنى على خرائطه وتجاهلني برهة من الزمن . وكانت تبدو على عجلة القيادة أثار التوتر الذي يدل على وجود الحركات . كان الضابط الخفر الملازم الاول (هوسلن) في العجلة أيضا وقد بذل جهده طبعا ليجتنب اعاقة (اهليرت) عن عمله . فحذوت حذوه ولم انبس ببنت شفة . وكان ضابط خفر اللاسلكي يندفع خارجا وداخلا وبيده الرسائل . و (اهليرت) يضع علامات حمراء وزرقاء على (باغة) خريطة

الحركات . وفي الخارج لاحظت سحب غبار كثيفة تتصاعد من اتجاه الشمال الشرقي فوق (مسوس) .

وظهر رأس الملازم (هملو) من الباب فقال « هل ان (١ آ) هنا) فصاح به (اهليرت) بدون ان يرفع رأسه « اذهب الى حيث القت رحلها .... » فتمنيت ان لم اكن في الصحراء .

وتكلم (اهليرت) مع رئيس الاركان بالتلفون — فبدا لي من حديثهما انهما لا يعرفان محل رومل . فقال (اهليرت) :

« رغب القائد ان يطير الى (مسوس) بالقلق لكن الطائرة لاتزال في محلها »

وبدأت عاصفة رملية ترتفع في الجو — كان الايطاليون يسمونها (كبلي) (١) والانكليز يدعونها (خمسين) — وكان الرمل ينفذ حتى بين الاسنان ، كما كان الجو حاراً والذباب يزعج الانسان . واصغى (اهليرت) بالتلفون برهة الى رئيس الاركان ثم أجاب قائلا « ربما ذهب القائد في سيارته المفتوحة وكان معه الرئيس الاول (شريبلر) و (الدنجر) ... »

ثم يظهر ان (فون دم بورنه) استفسر عن التقارير الجوية فاجاب (اهليرت) قائلا « بالنظر لوجود عاصفة رملية لا يمكن الاعتماد على

---

(١) وهي عبارة عن كلمة (قبلي) العربية التي يطلقها أهل ليبيا على الريح التي تأتي من جهة (القبلة) . اما اسم (خمسين) فقد أخذه الانكليز من المصريين الذين يطلقون هذا الاسم على الرياح الخمسينيه المشهورة . المعرب

التقارير الصباحية — على انه يبدو من المؤكد ان القطعات البريطانية قائمة بانسحاب عام نحو (طبرق) . »

وشرح رئيس الاركان الموقف الى (اهايرت) من وجهة نظره فاصغى اليه هذا وهو ينقر باصابعه على المنضدة بحركة عصبية . ثم اردف قائلا « انني اتفق معكم ياحضرة المقدم في ان الاندفاع يجب أن يجتاز (المخيلي) ويتجه نحو (طبرق) قبل ان يتسع الوقت للعدو ليتحصن هناك . ان الاوامر الحالية للفرقة الخفيفة الخامسة تقضي « بالاندفاع نحو (المخيلي) » — وبالنظر لغياب القائد فهل توافقون على اجراء تغيير في الأوامر وتوجيه الهجوم ضد (طبرق) مباشرة بدلا من (المخيلي) ؟ »

فوافق (فون دم بورنه) وانتهت المكالمة التلفونية .

فاتجه (اهليرت) نحوي وارسل الي نظرة شاردة وكانت عيناه قد فقدتا غموضهما فكأنهما تصوبان النظر في شكل تميزانه شيئا شيئا. وعندما صرت أبدو له بوضوح تام قال : « لاشك انك سمعت الحديث . . . خذ سيارة — لا ، استخدم طيارة وطر الى (المخيلي) واعط الى كل رتل الامر الجديد وهو (تندفع جميع الارتال تواً نحو طبرق) .»

لم اكن قد سمعت عن (المخيلي) قبل هذا الصباح . وبدت لي عبارة استخدم طيارة شبيهة لقولك عرضا « خذ بيضة » .

فسألت (اهليرت) « اية طائرة استطيع ان استخدمها يا حضرة الرئيس الاول » . وكنت على وشك ان اطلب ايضا خريطة جيدة إلا

انني تركت الفكرة ببراعة حيث ان وجه (اهليرت) تخضب بالدم وفقعت عيناه فجأر قائلا « ويلك ماذا تحسبني ؟ هل انا مربية اطفال ».

« كلا يا حضرة الرئيس الاول » أجبت متلعثماً ثم حييت وانسحبت من عجلة القيادة بسرعة . وبينما كنت اغلق الباب خلفي فتحها (اهليرت) ثانية وناداني قائلا « خذ لقلق القائد »

لاشك انني قدرت الآن وزن وخطورة الاوامر الصادرة لي بعدان امرت ان استخدم طائرة القائد الخاصة التي هي أهم وسائط نقله .

ووجدت ضابط الصف الطيار المسؤول عن طائرة رومل فأبى ان يصدق في بادىء الامر ان ملازما صغير الشأن مثلي مصرح له باستعمال طائرة القائد . لكنني بعد ان اقنعته بأني لست مجنونا لكي ارتكب مخالفة ركوب هذه الطائرة بدون امر ، ادعى بأن من الجنون محاولة الطيران في عاصفة رملية . وربما كان محقا في قوله غير ان حديثنا انقطع فجأة في تلك اللحظة واستطعنا ان نسمع ونرى خلال سحب الدخان قنابر العدو تنفلق على مقربة منا وقد تعذر علينا ان نكتشف اقتراب طائرات القوة الجوية البريطانية من جراء هدير العاصفة .

ان هذا مما يجعل ضابط الصف يقتنع على ما يظهر ان الطيران ممكن بل ربما كان آمن من البقاء قرب المقر . فأخرج خريطة صغيرة استطعنا ان نجد عليها المخيلي بشيء من الصعوبة ثم امتطينا الطيارة وكنت مرتديا ثوبا طويت اكمامه من تأثير الحر ، وبدون ان آخذ في جيبي ماكنة حلاقة او فرشة اسنان رحلت الى الجبهة في طائرة القائد

وبدا لي ان طيار رومل يجد بعض الصعوبة في الحصول على الارتفاع على انه بعد استدارات عديدة شعرت بشيء من الراحة عندما لاحظت اننا نرتفع تدريجيا — وكانت تصادفنا ثغرات بين سحب الغبار، حينا بعد آخر، فكنت انتهز الفرصة والقي نظرة خاطفة على الارتال المتحركة. وكان الامر القاضي باجتياز (المخيلي) والتوجه نحو (طبرق) يتردد في رأسي، وقد عجبت كيف ان رئيس الاركان استعمل ابداعه الذاتي باصداره الامر لتغيير خطة مهمة كهذه بدون علم رومل

وظللت أتمنى ان تخمد العاصفة غير اننا طرنا مدة ثلاثة ارباع الساعة والعاصفة تزداد شدة — ولم يبق لضابط الصف الطيار غير سيطرة قليلة على هذه الطائرة الصغيرة التي كانت تتمرجح يمينا وشمالا بشكل جنوني كأنها طائرة من الورق ربطت بخيط واطلقت في ريح عاتية

وصحت في الطيار « لابد من وصولنا الى المكان الذي نقصده فانك تقدر خطورة ذلك بلاشك » فأجابني « أجل ياحضرة الملازم ولكن المستحيل مستحيل »

وكأن أحد اراد ان يؤكد ما قاله الطيار فارتفعنا عموديا ثم هبطنا وظللنا نهبط حتى بدا لنا الموت المحقق.

على ان هبوطنا توقف أخيراً واعتدلت الطائرة في طيرانها

وصاح الطيار وقد بدا عليه انه قرر امراً ما « انني المسؤول عن هذه الطائرة — وقد قررت النزول » فلم أبد اي جواب ولكنني كنت اسائل نفسي كيف يستطيع النزول ونحن لا نرى الارض، إلا انه تمكن مع ذلك بطريقة ما ان يهبط بالطائرة في عتمة الغبار فلمست عجلاتها

ارض الصحراء الوعرة لمسافة بضعة ياردات . حقا ان طائرة اللقلق هذه تستطيع الهبوط في ساحة (تنس)

قفزت من الطائرة وانا اشعر بدوار في رأسي وكان اعظم مايختلج فى فكري — أهمية رسالتي ، إذ لم اكن اجرأ على الفشل ، وكان الطيار يحاول ان يثبت طائرته في الارض ويربطها بوجه الريح — فصحت به ان يبقى في مكانه حتى تسكن العاصفة ثم ذهبت ابحث عن واسطة نقل .

ركضت كالاعمى ، داخل الزوبعة الرملية وأنا أشعر ان الوقت ثمين وان كل دقيقة تمر تؤثر في الموقف فقلت في نفسي « هل سأظل على هذه الحال ساعات يا ترى ؟ » وتملكني احساس بالوحدة وشعور بالضعف وصرت اشعر وانا انعثر بأنني بعيد عن كل مكان ، وبينما انا كذلك إذ لمحت وسط الغبار الاحمر المتصاعد شبح سيارة (فولكسواكون) يتقدم ثم حجبته دوامة من الغبار الكثيف ولكنني عدوت نحوها وصحت بأعلى صوتي ... فرآني السائق وخفف السرعة ونظر الي مستغربا وانا اقفز في السيارة واغطس في مقعدها ، ونبهني قائـلا « اهتم بالطاطة رجاء » غير ان تنبيهه مع الاسف جاء متأخراً . وقدمت نفسي اليه وأنا ألهث من التعب ذاكراً له الورطة التي وقعت فيها .

كان هذا السائق مراسلا حربيـــا المانيا شهيراً يدعى (البارون فون ازبيك) وكان هو ايضا قد اضاع اتجاهه فقال لي يظهر ان لا أثر للحياة لمسافة بعيدة حول هذه المنطقة ، وكان من الصعب تعيين جهـة الشمس خلال الرمل المتصاعد — غير اننا خمنا انهـا تكون في الجنوب في مثل هذا الوقت من النهار ، لذلك اتجهنا الى اليسار وكان من المستحيل

ان نقدر هل العدو امامنا ام خلفنا؟ لكنه كان من الواضح اننا نسوق السيارة نحو الشرق

وقبيل غروب الشمس صادفنا مدفعا ذا عيار كبير تجره ساحبة ، ولاقينا جماعة مؤلفة من ثمانية من جنود المدفعية الالمان الذين كانوا قد تاهوا ايضا في الصحراء مع مدفع عيار (٨٨) ملم ضد الطيارات وجرارة ضخمة وعجلة تموين . فلم نر بدآ من ان نقضي الليلة معهم

وفلت لسان احد الجنود بخبر سار وهو ان عجلة التموين مملوءة بالبيض الطري . فسلقت ثلاث بيضات احداها الى (فون ازبيك) واخرى لسائقه والثالثة لنفسي ، هذا بينما كان المراسل الحربي يغلي القهوة وبدأت العاصفة تهدأ . ومع ان الرمال كانت لا تزال ملتصقة باسناننا فقد كان الطعام ممتازاً والقهوة مثل الرحيق

وصفا الهواء عند الفجر فأصبح كالبلور فصرنا لا نرى مدى البصر اثراً للبشر او العجلات . ولمحنا حوض ملح يابس في جنوبنا الشرقي فحاولت عبثا ان اجد مكانه على خريطة (فون آزبيك) وكانت الصحراء مملوءة بالصخور فقررنا ان نتجه نحو الحوض الملحي لكي نسرع فوق سطحه الناعم . وكانت فكرة صحيحة لم يشوهها غير انذار بخطر انقضاض طائرة (هاريكين) علينا من ارتفاع واطىء

وبعد سياقة بضع ساعات رأينا رتلا من بعيد متجها نحو الشمال الشرقي وكان (فون ازبيك) يخشى ان يصل (المخيلي) متأخراً فلا يستطيع ان يخبر عن سقوطه كشاهد عيان . ولم نكد نترك الحوض

الملحي و نقترب من مرتفع بسيط حتى شاهدنـا في الشمال الغربي طائرة تطير بارتفاع واطيء وقد اصيبت باصابة مباشرة فسقطت على الارض وهي تلتهب . ولم نعرف هل كانت هذه صديقة أم عدوة فاسرعنا نحو حطامها للتحقق من هويتها . ومررنا في طريقنا على موقع دفاعي ـ و كان لحسن حظنا موقعاً المانيا ـ وهو عبارة عن موضـع مدفع خفيف ضد الطيارات . فسألنا ضابط الصف المسؤول عن المـدفع « اين الطريق الى (المخيلي) » فاجابنا « انكم آتون من اتجاهه » ثم اردف قائلا « ان الهجوم على (المخيلي) اوشك ان يبدأ » .

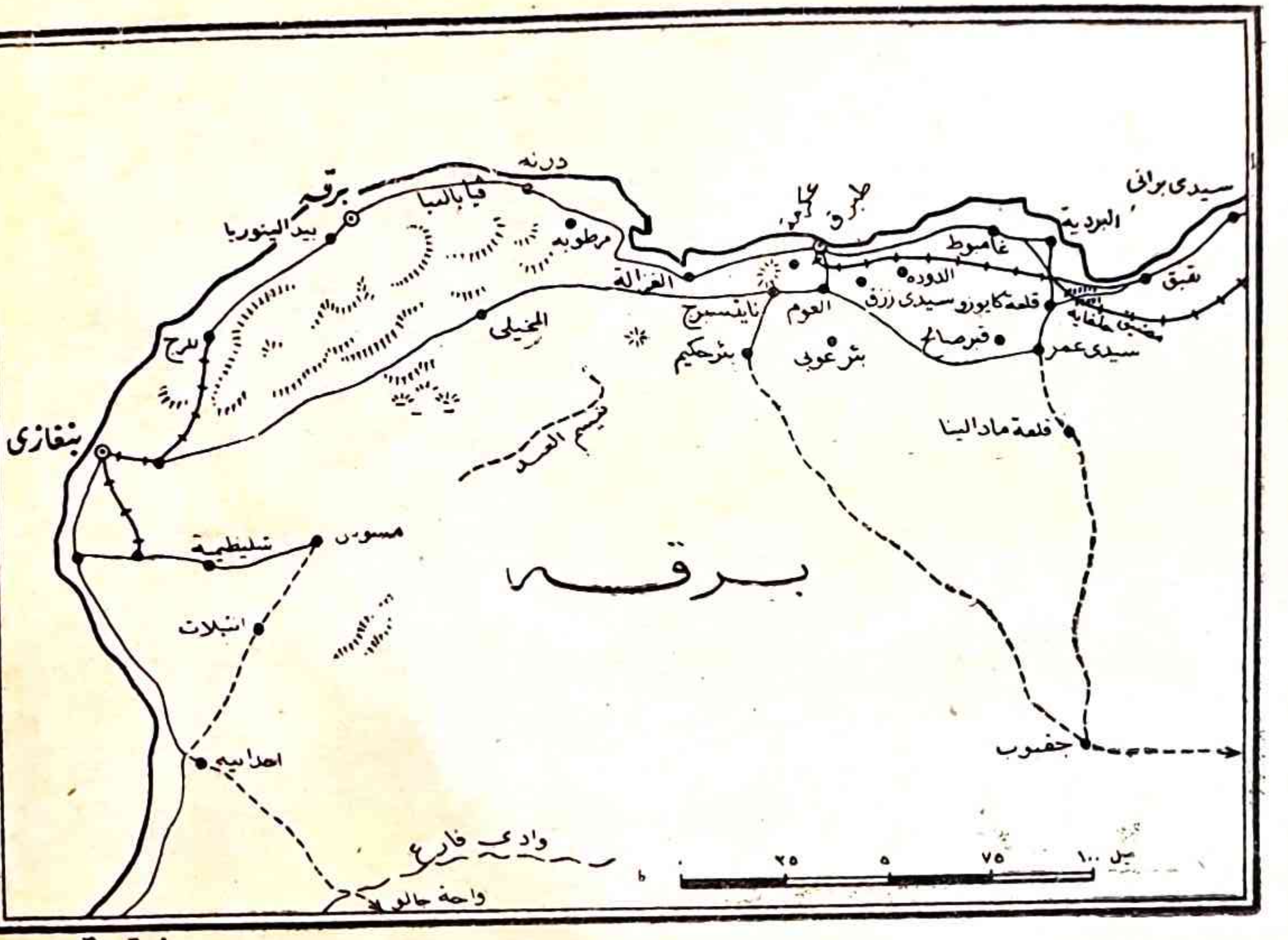
وكان من دواعي سروري وارتياحي ان أجد بعد بضع دقائق هيئة اركان الفرقة الخفيفة الخامسة ـــ فودعت (فون ازبيك) على عجل شاكراً له مساعدته وراجعت الرئيس الاول (هاوس) مبلغا له رسالتي . فاصغى الي بهدوء وقال : « هذا مانعهده في (اهليرت) . انه يفكر في امور كهذه دوما . » ثم تذاكر مع (الفريق شترايخ) حول الامر الجديد غير ان قائد الفرقة هذا كان قد استلم اوامره من رومل شخصيا قبـل بضع ساعات فكان لذلك على وشك الهجوم على (المخيلي) .

وذهبنا الى القلعة الصغيرة في الصحراء المحاطة بالمواضع البريطانية من ثلاث جهات . وكانت المعركة شديدة الا انها لم تستمر غير ساعتين فقبضنا بنتيجتها على القائد البريطاني امير اللواء (كامبير باري) وهو في خيمته . وبلغ عدد الاسرى نحو (٣٠٠٠) اسير . وحصلنا على نجاح رائع آخر اذ استطاعت قوة سيارة من راكبي الدراجات البخارية ان

تلحق رتلا بريطانياً كان يتحرك شرقا عبر الصحراء بالقرب من اسفل الجبل الاخضر . واستطاعوا والدهشة تغمر نفوسهم ان يأسروا بطلي التقدم البريطاني نحو بنغازي ـ وهما الفريق السير (ريشارد او كونور) الذي لم يمض على منحه هذا اللقب غير مدة قليلة تقديراً لانتصاراته على الطليان والفريق السير (فليب نيم) حامل (وسام فكتوريا) . وهكذا كان في جعبتنا ثلاثة من القواد .

كانت أرض النزول في المخيلي مملوءة بالطائرات المحطمة وكانت الطائرات البريطانية تنقض عليها من حين لآخر لتهاجمها من جديد . وفي ذروة احدى الهجمات هبطت (طائرتي) اللقلق من السماء فقفز منها رومل وهو يبتسم مبتهجا وقد عاد نشيطا من استطلاعه الصحراء .

وكانت سيارات القيادة للقوادالبريطانيين الأسرى واقفة على مرتفع صغير . وكانت هذه عجلات واسعة ذات ابدان زاويوية محمولة على دواليب كبيرة ومجهز داخلها باللاسلكي وبالتسهيلات اللازمة للاعمال الكتابية . وقد سميناها فيا بعد (الماموث) غير انه لم يخطر ببالي وقتئذ ان رومل وهيئة اركانه ومرؤوسيه سيستعملون هذه العجلات المفيدة طيلة النضال الطويل الذي كان قد بدأ الان في الصحراء . وفحص رومل هذه العجلات باهتمام شديد بعد ان واجه القواد البريطانيين الاسرى مواجهة قصيرة ، وراقبها وهي تفرغ من معداتها البريطانية . فاكتشف من ضمن الاشياء التي اخرجت من العجلات زوجا من النظارات



سيدى براني
البردية
بقبق
غامبوط
الدوده
قلعة كابوزو سيدى رزق
حلفاية
سيدى عمر
قبرصالح
طبرق
العوم
بئر غوبي
بئر حكيم
الغزالة
مرطوبه
درنه
برقة
بير البنوريا
المرج
المخيلي
بنغازي
مسوس
سليطنية
انتلات
اجدابية
قلعة مادالينا
جغبوب
برقة
وادي فارغ
واحة جالو
ميل ١٠٠ ٧٥ ٥ ٢٥

حريطة رقم (٣)



الكبيرة التي تلبس للوقاية من الشمس والغبار . فاستلطف هـذه وقال مبتسما « غنائم ، سآخذها ! مباحة حتى للقائد . »

ووضع النظارات على حافـــة قبعته المزركشة بالشرائط الذهبية واصبحت هذه النظارات بعدذلك العلامة المميزة لـ (ثعلب الصحراء) .

الباب الخامس

على أبواب طبرق

قاد رومل سير التقدم نحو (طبرق) قبل طلوع النهار — وكانت هيئة اركان فيلق افريقيا الالماني قد وصلت الى (المخيلي) قبل ليلة . فخصص رومل احدى عجلات (الماموث) الى الفريق (شترايخ) قائد الفرقة الخفيفة الخامسة واحتفظ باثنتين منها لنفسه ولهيئة اركانه وأمر برسم الصليب الالماني عليها .

ولما كنا قد استولينا على عدد لا يستهان به من عجلات العدو فقد خصصت لي سيارة اركان مفتوحة تشبه السيارات التي كان يستعملها رومل .

وقد زودني (الدنجر) الذي كان على وشك ان يذهب في السيارة الامامية مع رومل بالتعليمات اللازمة قائلا : « يا سيد (شمت) يجب عليك من الآن فصاعدا ان تعقب سيارة القائد وان تكون تحت تصرفه دوماً » .

٢

كانت تلك أياماً مشهودة — ففي ٢٧ من شهر مارت تولى الملك (بطرس) السيطرة على يوغوسلافيا بعد ثورة القصر التي حدثت في الساعة الثانية من صباح ذلك اليوم ، وفي الـ (٢٨) من هذا الشهر ضربت البحرية البريطانية حلفاءنا الطليان في معركة رأس (ماتابان) . وفي اليوم

التالي وصل لواء جنوب افريقيـــا الاول الى (ديريداوا) في الحبشة فأصبح من الواضح ان مصير (اديس ابابا) قد انتهى . وسقطت (اسمرة) بعد يومين(١) — وفي ٣٠ مارت بدأت حركة رومل في (العقيلة) وكان يشوبها شيء من التردد ، وفي ٢ نيسان طردنا البريطانيين من (مرسى بريقة) على الساحل ومن (اجدابية) ايضا - وفي اليوم التالي اخلوا (بنغازي) التي كان الاحتفاظ بها صعباً على الدوام .

وفي الوقت نفسه حدث انقلاب موالي للمحور في العراق من قبل (رشيد عالي) فغدا (ويفل) امام معضلة اخرى . وكان كل من (ايدن) وزير خارجية بريطانية والعميد (السير جون ديل) رئيس اركان الجيش الامبراطوري في (اثينا) وقد ذهبا اليها بعد ان طلبت اليونان المساعدات العسكرية . فاضطر (ويفل) بأن يتعهد بارسال قطعات من الشرق الاوسط الى اليونان التي غزتها المـــانية صباح يوم ٦ نيسان ودخلت يوغوسلافيا في نفس اليوم .

وفي ٧ نيسان تم الاستيلاء على (درنه) وسقطت (اديس ابابا) واصبح مأواي السابق (مصوع) (٢) على وشك الاستسلام — اما في الصحراء فقد كان رومل منتصراً .

٣

وفي احدى الوقفات القصيرة تلقى رومل رسالة لاسلكية من الملازم

---

(١) دخلتها الفرقة الهندية الخامسة (بقيادة امير اللواء هيت) في ١ نيسان

(٢) استولى عليها اللواءآن الهنديان السابع والعاشر ولواء الشرق الفرانسه الحرة وذلك في ٧ نيسان ١٩٤١

الاول (بهرندت) مفادها « وصلنا (درنه) » . وكان هذا الضابط مساعداً لـ (١ ج) وقد ولاه رومل قيادة مجموعة مختلطة من القطعات مع مدافع ضد الدبابات تألفت منها موقتا مجموعة قتال وأمرها رومل بالتقدم نحو (درنه) . وقد سبقت هذه القوات الايطالية المتقدمة على طوال الطريق الساحلي وقبضت على عدد من الاسرى .

وكانت القوة الجوية الالمانية قد بدأت قبل ايام بنقل سرايا تقوية للفرقة المدرعة الـ (١٥) عبر البحر المتوسط . وكان قائد هذه الفرقة الفريق (فون بريتويز) اول من نزل فى افريقيا من رجال فرقته وبعد ان واجهه رومل مواجهة قصيرة ثم قاد (فون بريتويز) القطعات المتقدمة نحو (طبرق) فاصطدم بدفاعاتها الامامية وقتل — فكان اول قائد الماني يسقط قتيلا على رأس قطعاته في افريقيا .

وعندما حل الظلام وصل رومل وباقى هيئة اركانه الى بيت مطلي بالكلس الابيض يقع غرب (طبرق) وكان هـذا البيت فى زمن السلم بيت مهندس الطرق . وكان احـد الاستراليين قد رسم على جدرانه الخارجية رسوما فنية يمجد بها مزايا شرابه المفضل وزينها ايضا بمناظر سباق الخيل البهيجة . وكانت اعمدة البرق منصوبة عبر الصحراء بين هذا البناء وقلعة (عكرمة) . وعلى مقربة من هـذا البناء دفنا (فون بريتويز) والالمان الآخرين الذين سقطوا معه .

وتأسست هيئة اركان المقر في واد جنوب غربي البيت الابيض وجعل (اهليرت) احدى عجلتي (الماموث) (التى كانت من عجلات القيادة المدرعة) كدائرة حركات واحتفظ بالاخرى لرومل نفسه .

وفي صباح اليوم التالي رحل رومل الى (عكرمـة) — وكانت سيارتي وعجلة مدرعـة خفيفة تحرسان سيارته . فانطلقنا نسير على نيسم (عكرمة) الذى ظل لمدة طويلة بعدئذ خط مواصلات معروفاً ومتعباً الى ان تم تأسيس (طريق المحور (١)) الجانبى عبر الصحراء الى القلعـة الصحراوية البسيطة . ومن (عكرمة) اتجه رومل نحو الجنوب الشرقي باستقامة (العدم) فانصبت حوالينا نار المدفعية فافزعت الغزلان التى اخذت تثب بين سياراتنا الثلاث — وظلت القنابل تعقبنا ، وهي مسجلة تسجيلا جيداً ، الى مسافة معينة .

وبعد سياقة نصف ساعة صادفنا سرايا من المشاة الالمان الذين كانوا يحتلون مواضعا على الارض المرتفعة بالقرب من (العدم) . فوقف رومل ليتكلم قليلا مع ضباط هذه السرايا التي وصلت هناك قبل بضع ساعات وقد صادفت بينهم الملازم (شمث) الذي كان رفيقي في حملة (مرادة — جالو) . وبينما كان القائد يتكلم اذا برشقة من قنابل العدو تسقط بيننا فقتل ملازم حديث وفقد صديقي (شمث) إحدى يديه .

وبعد مسير ميلين نحو الشرق وجدنا الفريق (شترايخ) مـع عجلة (ماموث) وهيئة اركانـه وهم منتشرون في واد عريض . وقطعت بطريات طبرق نيرانها الآن فعلق رومل على ذلك قائلا لـ (شترايخ) وهو يغمز بعينه :

---

(١) لقد اضطر رومل الى تأسيس هذا الطريق لان الطريق الاصلي كان يمر من داخل قلعة (طبرق) وهي الطريق الجديد (بطريق المحور) نسبة الى دول المحور وكان يمر من جنوب طبرق .

« ربما كان الافضل للانكليز ان يقتصدوا بعتادهم فقد يحتاجون فيما بعد الى كل مالديهم . »

وكأنما شاء الانكليز أن يكـذبوا ماقاله رومل اذ سرعان ماسمعنا زعيق رشقة جديدة انفجرت بالقرب منا وكانت تستهدفنا طبعاً . إلا اننا ادركنا بسرعة ان هذه القنابل لم تأت من طبرق بل من الجنوب . فنظرنا في نواظيرنا الى قمةارض مرتفعة عليها بناء منخفض طويل ونصف من اعمدة البرق « هذا هو (العدم) » قال ذلك رومل بصوت منخفض وهو ينظر في خريطته بسرعة ثم يعاين الارض ثانية بمنظاره .

ولمح رومل مدرعة منفردة فاستنتجنا انها لابد ان تحتوي على ضابط رصد لمدفعية العدو ، وبينما نحن نحاول اتخاذ التدابير ضدها اذا بها بعد نحو ربع ساعة تذهب فانقطع بذهابها نيران القنابل .

وفي الوقت نفسه تباحث القائدان في الموقف التعبوي — وقبل ان نغادر مكاننا كرر رومل الى قائد الفرقة قوله ينبغي لنا ان نهاجم طبرق بكل قوانا حينما تأخذ دباباتك مواضعها وقبل ان يتسع الوقت للانكليز للحفر . »

وعند طلوع الشمس تركنـا معسكر العراء غرب البيت الابيض وتحركنا ثانية خلال الغبار الكثيف الى (عكرمة) وكانت الارتال القادمة من الجهة المعاكسة والعجلات التى في الامام قد احـدثت سحبا كثيفة من الغبار لدرجة تعذر معها ان نميز غير الاتجاه التقريبي للاثر بواسطة اعمدة البرق الممتدة على طواله . وهكذا لم نكن ثمة عجلات على

الطريق غير عجلاتنا الثلاث وهي سيارة رومل وسيارتي والمدرعة الخفيفة .

وفي (عكرمة) وقف الملازم الاول (واهل) مع دباباته الاربع في وضع الاستعداد للقائد عند وصوله . وقد تحدثت مع (واهل) — وكان شخصاً جذابا مملوءا بالمرح والروح السامية — بينما كان رومل ينظر بامعان الى نقاط (طبرق) القوية في الشرق في منظاره . وكان صامتاً كانه قد سحر — وكان بدنه المكتنز منتصباً فوق رجليه المتباعدتين . ومرفقاه منحنيان وهو ماسك منظار الـ (زايس) قريباً من عينيه . وكان ذقنه مندفعاً الى الامام ونظارات (المخيلي) على حافة قبعته .

« حضرة الملازم لنذهب » قال رومل ذلك فجأة واردف قائلا « قل لذلك الضابط ان يتبعنا مع دباباته » ثم قفز في سيارته وساق الى الامام . فبلغت اوامره فاعطى الضابط الى دباباته اشارة الحركة رافعاً — ذراعه الى اعلى عدة مرات — ثم تسلق (واهل) دبابته الخاصة وابتسم قائلا « الى طبرق . »

وتحركنا شرقا لمسافة عدة اميال وكانت تنفجر حولنا نيران القنابل من حين لآخر . ومررنا ببطرية ايطالية اتخذت موضعها في واد وكانت تجاوب باضطراب النار الاتية من (جيرنك كروس) داخل طبرق .

فوقف رومل ودرس خريطته . والتفت الى الخلف واذا بالدبابات قد عجزت عن ان تجارينا في سرعة المسير وكانت سحب غبارها تندفع الى الامام من مسافة بعيدة في الخلف . واومأ القائد إلي فركضت الى جانبه

فمد اصبعه النشيطة مشيراً بها الى قسم من الخريطة وهو الجناح الغربي من الجبهة ثم قال :

« ان موضع البطرية صحيح ولكن ابن فوج (بير ساكليري) اذ يجب ان يكون هذا في موضع على الارض المرتفعة الواقعة امامنا مباشرة . »

ونظر رومل الى الخارطة مرة أخرى واضاف يقول بغضب « يبدو ان القيادة الايطالية ذكرت لي موضعاً مغلوطا » ثم اردف قائلا « اذن يظهر ان الآمر الايطالي لم يصل الى جنوده بعد . »

وفي هذه اللحظة وصلت الدبابات الى خلفنا — واذا بالوادي كله يعج بانفجارات القنابل وقد انفلقت رشقة فوق رؤوسنا تقريبا فصاح بي رومل عد الى الخلف وأمر الدبابات أن تبقى حيث هي الآن حتى تستلم وصايا اخرى ثم اردف يقول « انني ذاهب الى هذا المرتفع . »

لم تكن السياقة الى الخلف عبر الوادي الى حيث الدبابات من الامور السهلة لأن النار هناك كانت على اشدها . ولقد شعرت بارتياح عندما بلغت الامر وصار في وسعي ان اطلب من سائقي ان يستدير ويعود الى الجبهة ثانية . وتركت السيارة في اسفل المرتفع وركضت على سفحه صاعداً الى حيث رومل . فوجدته مضطجعاً على الارض والقنابل تتساقط يمينه وشماله . كان وحيداً بالمرة اذ كان قد ترك (الدنجر) في الخلف ليجيب على الرسائل المتراكمة .

وراقبت رومل وهو منبطح على بطنه يدرس الارض التي امامنا بامعان في ناظوره . كانت شفتا فمه الصلب مطبقتين الآن . وعظام خديه

البارزة تبدو بيضاء وقبعتـــه تجثم خلف رأسه . فدمدم قائلا : « قلعة (بلاستريتو) » فنظرت بسرعة في خريطته ثم قبعت خلف كومة من الحجر وصرت افحص ايضاً الارض الامامية وكانت هذه تنحدر امامنا ثم ترتفع ثانية ارتفاعا تدريجياً الى مسافة مماثلة ، وكانت توجد على ذروتها خربة حجرية مثلثة الشكل تحيطها شبكة قريبة من الاسلاك الشائكة . وترى على مسافة بعيدة وراءها مرتفع من الحجر أعلى منها فخمنت ان هذا هو (بلاستريتو) الذي كان مرصداً للعدو .

وكان رومل ينظر الى دفاعات (طبرق) الحقيقية للمرة الاولى إلا انه لم تكن لدينا وسائط لقياس قوتها . وشاهدنا بعد حين صوراً تتحرك حول الخربة ويبـدو ان ذلك استفز في رومل رغبة (الصيد) فأمرني قائلا « أيها الملازم !. اوامر الى الدبابات !. اهجم على الخربة الحجرية في الامام دبابتان من الوادي الشمالي واخريان عبر الوادي الجنوبي القريب الى الخربة . »

فأجبت : « امركم يا سيدي القائد » وكررت الامر الذي اعطاه وبما انني رصدت قبل هذا وادياً أعمق من الوادي الجنوبي وغير بعيد عنه فقد تجاسرت واقترحت قائلا : « أليس من الافضل ان تتقدم الدبابات من الوادي الاعمق يا سيدي القائد » .

فلمعت عينا رومل كالبرق واحمر وجهه غضبا وقال « أيها الملازم انني لست غبيا بالدرجة التي تعتقدها » فأديت التحيـة ومضيت بسرعة لانجاز تعليماتي وانا ألوم نفسي على تجاسري ، وشعرت برهة من الزمن ان ليس لانفجارات القنابل حولي اهمية كبرى .

ووصلت الى الدبابات واوضحت الاوامر الى الملازم بعد ان وصفت له الارض باختصار . فبلغ بدوره الاوامر الى آمري الدبابات الآخرين بواسطة (مكرفون) جهاز تلفونه اللاسلكي ، ثم ابتسم لي بهدوء وأشر بيده علامة الوداع قبل ان يغلق البرج واندفعت دباباته تزمجر تتبعها الدبابات الاخرى .

فراقبنا هجوم الدبابات التي اطاعت الاوامر واقتربت الى هدفها وهي الخربة . الا انه انصبت عليها نار قاتلة بصورة فجائية . وبعد لحظات قليلة توجهت على مرصدنا نيران عدة بطريات من المدفعية فركضنا ننشد ملجأ في السفح الا ان النيران كانت تزداد شدة ، وتساقطت القنابل على بطرية المدفعية الايطالية فأبادت احدى الاصابات المباشرة مدفعا واحداً مع قداحيه (١) واستمرت هذه النار الجهنمية تنصب علينا حتى غابت الشمس فانقطعت عنا . ثم عدنا الى المقر المتقدم قرب البيت الابيض .

وبعد مضي اسابيع على هذه الحادثة عثرت جماعة من المهندسين المقاتلين الذين هاجموا (رأس ميداوا) على الاشلاء الممزقة لملازم الدبابات وهي تتدلى عبر دفاعات الاسلاك الشائكة امام الخربة .

---

(١) القداحون : م الجنود الذين يديرون المدفع (المعرب) .

الباب السادس

قائد على جمل [(١)]

وضع فيلق افريقيـا يده في ذلك اليوم على خرائط دفاعات طبرق للمرة الاولى ، وبما ان حلفاءنا الطليان هم الذين هيأوا هذه الخرائط فقد يتوقع القارىء انه كان لدينـا منها كميات غير محدودة . ولكن الواقع خلاف ذلك إذ لم نتمكن ان نحصل إلا على نسختين منها فقط . وقدأخذ رومل احداها وارسلت الاخرى الى (شترايخ) قائـد الفرقة الخفيفة الخامسة .

وقد اعجب رومل بالتوزيع الماهر للمواضع الدفاعية والعمق غير المتوقع للدفاعات بوجه عام ، وأيدت الخرائط حقا دقة تقارير الاستطلاع الجوي التي كنا نشك فيها في بادىء الامر .

ولم يظهر (شترايخ) حماسا كبيراً للواجب الشاق الذي كان يتطلبه الهجوم على طبرق .

وأرخى الظلام سدوله قبل ان نعود الى محلنا .

٢

كان رومل ينادي في الايام الباقية من نيسان (ليتقدم كل جندي

---

(١) "A General on His Camel" وهو اصطـلاح في الجيش الالماني يطلق على القائد المعزول عن قيادته (المعرب)

الى طبرق) وكان باقي الفرقة الخفيفة الخامسة قد وصل في ذلك الحين كما كانت الفرقة المدرعة الـ (١٥) تنقل على عجل عبر البحر المتوسط، وقد هبطت من الجو في (درنه) مفارز من مجموعة اسناد المشاة، وأخذت التشكيلات الايطالية تصل ايضا ؛ وكانت الحلقة حول (طبرق) تنسد يوما بعد يوم .

وكان رومل مع القطعات في الجبهة من الصباح حتى ساعة متأخرة من الليل وكانت نيران المدفعية البريطانية والاسترالية تعقبه على مايظهر اكثر من اي شخص آخر ؛ وبعد ايام قلائل لم يكن في فيلق افريقيا من يضاهي رومل في معرفة النياسم الصحراوية ومديات مدافع (طبرق) حتى نحن ضباط ركنه المباشرون .

كان من ضمن ضباط ركن رومل الآن الملازم (بيرندت) احد رجال (غوبلز) والذي عرفته في (ماربل آرج) ؛ وكان المقدم (كراف شويرن) قد استدعى من حملة الى (مرزوق) — وهي الرحلة التي اضعتها — وولي قيادة موضع على جانبي الطريق الساحلي المؤدي الى طبرق من الشرق ؛ وكان قد تقرر قيام الهندسة المقاتلة بهجوم في هذا القاطع .

واستعمل رومل في بعض الايام (ماموثه) لزيارة الجبهة اذ كانت تؤمن حماية مدهشة ضد القاصفات الخارة والرشق الجوي والمنثار. وكنا نجابه كثيراً من هذه الهجات خلال سفراتنا اليومية ، الا ان رومل كان قـد اعتاد الجلوس فوق سقف الماموث مدليا رجليه خلال بابه

المفتوح وكان يرافقه في اغلب الاحيان (الدنجر) الذي كان معه ايضا في الحرب العالمية الاولى .

وكان القائد يوحي الى جميع المراتب بالحماس والنشاط أينما ظهر وكان يضيق ذرعا عن ليس بحماسه وفعاليته من المرؤوسين . كما انه كان قاسيا في معاملته لكل من يعجز عن اظهار ابداعه الذاتى فكان يطردهم ويرسلهم الى المانية فوراً

وكانت سفراتنا الى الجبهة تبدأ مبكراً فى الصباح وتستمر غالبا الى مابعد حلول الظلام . وكان رومل يأخذ (سكان) السيارة من سائقه عندما يبدو عليه التعب . وكانت حاسته بالاتجاه مدهشة وله مقدرة خاصة على ايجاد الاتجاه الصحيح ليلا مهتديا بالنجوم .

وكثيراً ماكان يرسلني (اهليرت) حال وصولنا الى المقر المتقدم غرب البيت الابيض بأوامر تحريرية الى قواد الفرق بحجة انني اعرف الطريق .

وكان رومل يتذاكر في مساء كل يوم مع (فون دم بورنه) و(اهليرت) وبعد ان يتناول طعاما بسيطا يطبخه له مراسله (كنثر) يجلس ليكتب الى زوجته وابنه (مانفرد) الرسالة المشتركة الوحيدة التي يكتبها يوميا . وفي تلك الايام كان رومل يحضر شخصيا كل هجوم يشن على اية نقطة من النقاط الواقعة في نطاق طبرق وقداعتاد ان لايكون مع هيئة اركان التشكيل الهاجم بل مع قطعات الخط الامامي . وكثيراً ماكان يصدر الأوامر بنفسه الى القطعات الهاجمة في حينه ويغير الخطط لتلائم الموقف

فكان ذلك مما يزعج الآمرين المسئولين عن تعبئة القتال اذ كان هؤلاء يعتبرون ذلك تدخلا في واجباتهم ويستنكرونه بمرارة .

٣

وقد فشل هجوم (كراف شويرن) على دفاعات طبرق الشرقية بعد قتال عنيف . ومن الغريب ان روممل لم يبد اهتماما في القاطع الشرقي بعدئذ بل صار يستهدف الهجوم على القلعة من قاطع (العدم - عكرمة) اما أنا فلقد كنت أفضل القاطع بين طريق الساحل شرق طبرق والطريق المؤدي جنوبا الى (العدم) . واسفت لان هـذا القاطع كان يبدو مهملا في خططنا الهجومية غير انني منذ ان قدمت مشورتي للقـائد بلا مسوغ في (بلاستريتو) تعلمت ان اكون فطنا . فاحتفظت لذلك برأي لنفسي في هذه المرة .

ووزع الفريق (شترايخ) الكتيبة المدرعة الخامسة التي يقودها العقيد (اولبرشت) جنوب طبرق ولم تكد الدبابة الاخيرة منها تصل موضعها حتى اعلن روممل انه يريد هجوما على القلعة من الجنوب ويظهر انه لم يكن ليرتاح ان بقيت (طبرق) كخراج في جانب خط مواصلاته المؤدي الى الحدود المصرية .

« اننا نتوقع اثنى عشر مدفعا سياراً آخر ياسيدي القائد » قالها (هاوسر)ضابط ركن (١ آ) للفرقة الخفيفة الخامسة لروممل ثم اضاف قائلا « انى اقترح ان ننتظر وصول هذه المدافع قبل شن الهجوم . » ويبدو انه كان لروممل ثقة في الرئيس الاول (هاوسير) اكثر من

قائده الفريق (شترايخ) — فاومأ برأسه وقال « حسنا (هاوسر) — افعل ذلك . »

وكانت الخطة تشتمل على هجوم موحد بالدبابات والمشاة المؤلفين من رماة القنابر والمهندسين المقاتلين الذين سبق ان برهنوا على انهم يتصفون بمزايا حربية جيدة . وقد تقرر توسيع الثغرة التى ستفتح في مواضع العدو بواسطة وحدات من افواج الرشاشات توا . وكان على الدبابات أن لاتتقدم الى نهاية عمق الثغرة كله بل يجب ان تنفتح على كلا الجانبين وتستثمر الفوز بمحاولة احاطة مواضع الخط الامامي للعدو من الخلف . وعلى الرغم من أن الثقة في هذه الخطة كانت كبيرة فقد فشل الهجوم . وقد استطاعت الدبابات ان تخترق الاماكن الامامية القصوى وتمكن المهندسون المقاتلون من الوصول الى الخنادق لكن القطعات الانكليزية والاسترالية قاتلت بعزم شديد فتمكنت بالنار الجانبية أن تدحر الدبابات مكبدة اياها بعض الخسائر وان تصد أي تقدم آخر قام به المهندسون المقاتلون . ثم انبرت دبابات العدو فقامت بهجوم مقابل واستولت على عدد لايستهان به من جنود هندستنا المقاتلة وجنود المشاة قبل أن يتسع الوقت لهؤلاء ان يحصنوا المواضع التي وصلوا اليها .

وتميز رومل غيضاً لهـذا الفشل . فلام الفريق (شترايخ) قائلا « لم تبذل دباباتك اقصى جهدها وتخلت عن المشاة في احرج وقت . »

فدافع الفريق (شترايخ) عن اعمال دباباته قائلا « لولم يكن القاطع كله محميا بمصائد الدبابات العميقـة والمغشوشة غشا جيداً لاستطاعت دباباتي ان تصل الى اهدافها بالرغم من النيران الشديدة التي انصبت عليها من اسلحة مقاومة الدبابات »

ولا شك ان الدفاعات كانت اقوى مما توقعنا . وقد علمنا فيما بعد انه كان على مقربـة من مكان الهجوم قاطع يكاد ان يكون خاليا من مصائد الدبابات خلوا تاما . وكان الايطاليون قد اسسوا هذه المصائد إلا انهم تخلوا عنها عندمااستولى (ويفل) على (طبرق) قبل اربعة شهور على ان رومل لم يقبل هذا العذر ولم يرد ان يسمع مثل هذه الايضاحات فاعتبر ان الفريق (شترايخ) والعقيد (اولبرشت) لم يبديا عزما كافيا اثناء المعركة فصب عليهما جام غضبه بصراحة وتفوه بعبارات خشنة كالتي لا يفترض ان يستعملها إلا قائد ضد آخر .

وفي ذات يوم بعد هذا الحادث زار رومل ايضا مقرالفرقة الخفيفة الخامسة وذلك قبل يوم منهجوم آخر بالدبابات ، وكنت انا و(للدنجر) نرافقه في هذه الزيارة وبعد انتهاء المؤتمرقال رومل (لشترايخ) بتأكيد ذي مغزى « أتوقع ان يجري هذا الهجوم بأشد عزم ممكن وبقيـادتك الشخصية . واني أترك تحت تصرفك مرافقي الملازم (شمث) » .

وفكرت لحظة ان ذلك قد يعني اما اني سأكون مفيداً لهذا القائد الذي طلب منه ان لا يعود إلا منتصراً ، او ان الازمه ملازمة الظل ، واذا بقي حياً فعلي ان اقدم تقريراً عنه .

لقد احببت (شترايخ) الودود العاقل الذي كنت اعتبره رجلا على جانب عظيم من الشجاعة وكذلك (هاوسير) وأسفت للمعاملةالقاسية التي يلقيانها من رومل .

شعرت وانا في مطعم الفرقـة الخفيفة الخامسة كأنني في بيتي ولاحظت في الجدار الداخلي لـ (ماموث) (شترايخ) وسام صليب



كبيراً معمولا من الورق المقوى لكنه كانت في مركزه صورة ذبابة سوداء كبيرة بدلا من (السواستيكا) الاعتيادية . وقد اوضح لي (هاوسير) ان هذا الوسام يمنح باحتفال في مساء كل يوم الى ساكن (الماموث) الذي يسقط اكبر عدد ممكن من ذباب الصحراء المؤذي خلال النهار ومع انني اقدر ان افهم ترويحهم عن انفسهم بهذه التسلية المفرحة لكنني بدأت اقدر ايضاً وجهة نظر رومل في تشديده المستمر على مرؤوسيه بوجوب اظهار ابداعهم الذاتي وابداء روح العداء والصلابة ضد العدو . إذ لم يكن لديه وقت لتوافه الامور .

تحركت مع الفريق (شترايخ) قبل فجر اليوم التالي — وكان المقرر ان يبدأ هجوم الدبابات عند طلوع الفجر — وكان على شترايخ ان يقود الهجوم بنفسه في دبابة اخذت تعقب سياراتنا المكشوفة مباشرة وكان لدى (شترايخ) خريطة الحركات الوحيدة الموجودة في الفرقة كلها وكان يستعين بها في ايجاد اتجاه المسير وقد اوعزلي في الوقت نفسه ان أديم الاتصال مع الدبابات الآتية خلفنا .

وللاقتصاد في الوقت قرر (شترايخ) ان يستفيد من طريق (العدم — طبرق) الى اطول مسافة ممكنة شمالا قبل ان ينحرف نحو الغرب ليلتحق بالدبابات التي كانت في موضع التهيؤ . ولم يتكلم الاقليلا وكان يبدو مشغول البال — ربما بتوبيخ رومل له .

وتابعنا المسير الى مسافة ما ونحن صامتون ، فشعرت ان الوقت قد حان لأن اقول (لشترايخ) « يا سيدي القائد اظن انه ينبغي لنا الآن ان نستدير » . فقال القائد وهو شارد الفكر :

« نعم نعم ياعزيزي سمث يجب أن نستفيد من الطريق الى اقصى مايمكن . »

وبعد أن لمح خريطة على بصيص مصباحه اليــدوي اضاف قائلا « لازلنا نستطيع الاستفادة من الطريق لمسافة قليلة أخرى » على أن معذرته في ايجاد اتجاهه لم تكن تضاهي - على مايظهر مقدرة رومل ذلك لاننا وجدنا انفسنا بغتة وسط ضجيج شديد فايقنا اننا اصبحنــا على مرأى من العدو لأن القنابل وقذائف ضــد الدبابات تمرق بقربنا وهي تصفر فقفزنا من السيارة بسرعة البرق واندفعنــا نحتمي خلف الدبابة فتعلقنا بها وسحبنا ارجلنــا الى فوق لاجتناب رصاص الرشاشات التي كانت تنصب على سرفة الدبابة الى ارتفاع الركبة واني اتذكر كيف ان سائق الدبابة بدأ في ذلك الحين يستدير بسرعــة بدون ان يفكر في نتائج ذلك علينا وكادأن يكشف مكاننا خلفه الى العدو لولا أن انقطعت سلسلة خلفية من السرفة .

وكان المسلك الوحيد الذي نستطيع اتباعه في هذا الموقف هو أن نمضي الى مجموعة عميقة من حفر القنابل خلف سائق الدبابة الذى سبق له ترك برجه وراح يعدو نحو جانب الطريق بسرعة .

وكان الظلام لايزال مخيماً إلا أن الضوء كان على وشك الانبثاق فلم نجرأ على البقاء في مكاننا بل قررنا أن نهرب باتجاه الجنوب الغربي وبينما نحن نتهيأ لترك حفر القنابل اذا برشقة جديدة تنفجر حولنا فسمعنا السائق يصرخ وصاح به القائد « ماذا دهاك هل جرحت . »

اجابه « كلا ياسيدي القائد لم اجرح بعد » فضحك القائد من جوابه بالرغم من الموقف المزعج الذي كنا فيــه . وبقينا نقفز ونختبيء حتى

استطعنا ان نشق طريقنا عبر الصحراء الى حيث دباباتنا رابضة . وعندما وصلناها كان ضوء النهار قد انبثق انبثاقا تاما .

وهكذا تأخر وقت الهجوم ولم يعد في وسعنا أن نقوم به وكانت القنابل تتساقط حول الدبابات فتكبدها الخسائر . فطلب العقيد (اولبرشت) اذنا من القائد لسحب الدبابات الى مواضع مهيأة .

وطلبنا سيارة باللاسلكي فاقلتنا الى مقر الفرقة .

بعد ساعات من ذلك اخبرت رومل بما حدث وأنا اشعر بخوف من رد الفعل الذى يحصل عنده لما اصابنا من فشل في الفجر . غير انني بوغت وشعرت بارتياح عندما علق على ذلك بهدوء قائلا عد الى (اولبرشت) واوعز اليه ان يأخذ دباباته الى النقطة (١١٢) (١) . فعدت بسيارتي والفرح يملأ قلبي حيث انني احمل اخباراً اسر مما يتوقع .

ورأيت الدبابات في الافق واقفة في مواضع ضامرة وقد اغلقت فتحات ابراجها . وكانت القنابل الاتية من (طبرق) تقدم بركاتها اليومية فسألت السائق « من اين يأتي الانكليز بكل هذا العتاد ياترى ؟ » - فلم يجبني - ولم اتوقع منه جواباً - ولكنه ساق بسرعة جنونية نحو المنخفض عندما اصبحنا تحت خطر القنابل ووصلنا الى دبابة فانفتحت نافذتها وأطل منها (اولبرشت) - ولما اخبرته بأوامر رومل قال وصوته يعبر عن ارتياح « شكراً لله - لقد اعطي لنا امر معقول اخيراً »

وبعد اسبوع او اسبوعين كان كل من الفريق (شترايخ) والعقيد

---

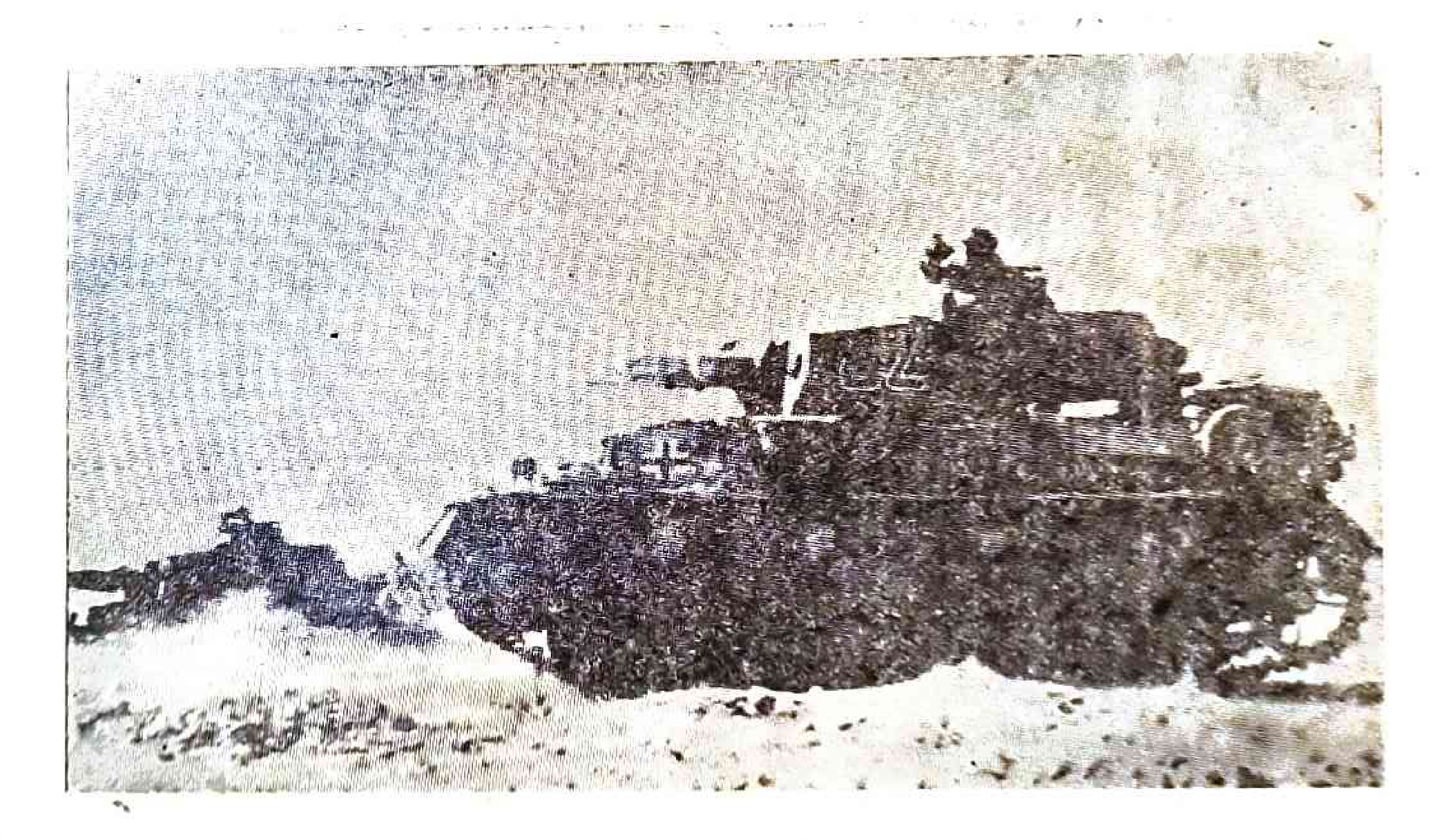
(١) جنوب غربي طبرق وغرب طريق العدم .

(اولبرشت) في طريقهما الى الوطن وهما « يرتديان القبعات » (١) كما يقول الانكليز او (على جمليهما) كما نقول نحن . ولم أرهما ثانية بعد تركهما الصحراء إلا انني لاحظت ان من بين الضباط الذين كانت لهم علاقة في مؤامرة ضد هتلر في تموز ١٩٤٤ ضابطا يدعى (الفريق اولبرشت) فهل كان هذا هو نفس الرجل يا ترى ؟



---

(١) ترجمة " Bowler — Hatted " و (Bowler Hat) نوع من القبعات سوداء اللون ومدببة الشكل يرتديها طبقـة الضباط في الجيش البريطاني عندما يلبسون الملابس المدنية ـ وقد اصطلح في هذا الجيش على القواد الذين يعزلون من مناصبهم لفشلهم بعبارة " Bowler — Hatted " كما يصطلح عليهم في الجيش الالماني بـ (ركوب الجمل)



الدبابات الالمانية تهجم في برقه

الباب السابع

الهجوم على (بلاستر ينو)

في مساء يوم حوالي منتصف نيسان وصل جحفل (١) الاستطلاع المدرع الذي كان يحبه رومل الى منطقـــة المقر غرب البيت الابيض . فراجع آمره المقدم (فون ويكس) القائد وبينما كنت على وشك ان اتناول مع (برندت) فاكهة مجففة في علبة ثمينة كان قد حصل عليها كامتياز من ضابط المطعم إذ بـ (كانتر) خادم رومل يدعوني لمواجهة سيده .

كان قليل من الضباط ما عدا رومل وعداي (إذ كنت ارافقه دوما فى تلك الايام) يعرف النياسم التي تحيط بطبرق وتؤدي الى قاطع المقدم (فون كراف شويرن) شرق القلعة ، فكان هذا هو السبب في دعوتي ، فقدمني رومل الى (فون ويكمر) وقال « عليك ان ترافق جحفل الاستطلاع من اقصر طريق حول (طبرق) الى (فيا بالبيا) » وهو الاسم الذي يطلقه الطليان على الطريق الساحلي .

واستفدت من نجمة القطب لايجاد اتجاهي وفى منتصف الليل اوصلت جحفل الاستطلاع الى الطريق الساحلي وبعد ان صافحت (فون ويكمر) مودعا عدت أدراجي الى المقر ، وقد كنت وسائقي منهوكي القوى عندما وصلنا الى المقر في صباح اليوم الثاني فتلقاني (برندت) باخبار مسرة قائلا

---

(١) « الجحفل » مصطلح عسكري يطلق على اية قوة مختلطة

ان « فون ويكمر) قد دخل (البردية) . ولم يدخل المحور هذه القرية الواقعة على الجرف الكائن قرب الحدود المصرية منذ ان اخرج (ويفل) منها (بدون مراسيم) القائد الايطالي (بير كانزولي) الذي سماه الاستراليون (ذو اللحية الكهربائية) طارداً اياه نحو الغرب

وبعد تعزيز جحفل الاستطلاع ببعض الدبابات تقدم بعدايام قلائل واحتل (فورت كابوزو) على الحدود ثم اندفع نحو (السلوم) وفي ٢٧ نيسان احتللنا مضيق (حلفاية) وصرنا نشرف من جرفه على طول الحدود المصرية .

وعلى اثر ذلك منح (فون ويكمر) الصليب الحديدي من درجة (فارس) .

٢

« ان كل من يحتل (بلاسترينو) يصبح في موقف يتمكن معه ان يقرأ اوراق الا خر فهذه هي النقطة الحيوية في دفاعات (طبرق) » — هذا ما قاله رومل في احدى مؤتمرات الاركان ، وكان رومل ينظر المرة بعد المرة الى (عكرمة) ومن هناك الى الشرق حيث (بلاسترينو) تلك النقطة العالية في الجنوب الغربي من القلعة . فقرر القيام بهجوم آخر وتذكر ما حدث للدبابات الاربعة فأمر بأن يحتل فوج (بيرسا كايرى) الايطالي المواضع الواقعة امام الارض العالية التي تواجه (بيلاسترينو) حسبما أمر بذلك من قبل ليشن رومل من هناك هجوما بالمشاة .

واستطلع رومل الارض شخصيا واختار بنفسه احسن (موضع وثوب) ملائم للطليان .

وتركنا (الماموث) في المقر المتقدم وتقدمنا بجماعة القتال الصغيرة

المعتادة — المؤلفة من سيارتين مفعوحتين ومدرعة واحـدة ومعنا الدنجر وبيرندت .

وورد تقرير يفيد ان الاستراليين في القاطع المواجه للطليان ابدوا فعالية شديدة خلال الليل . فأراد رومل عندئذ ان يحصـل على صورة حقيقية عن الموقف فذهب ليرى ذلك بنفسه ولما اقتربنا الى القاطع وجدناه هادئا هدوءاً تاما وكدنا ان نستدل من ذلك على ان حلفاءنا قد بالغوا في التقارير التى ارسلوها عن فعالية العدو ليلا كما حدث ذلك مراراً من قبل . وحتى مدفعية العدو فى (طبرق) بدت هادئة .

على اننا سرعان ما كشفنا سر هذا اللغز ، فقد وجدنا القاطع كله خاليا من الايطاليين تماما ما عدا قليلا من بطريات المـدفعية المنعزلة في الخلف والتى لم تكن محمية من قبل المشاة بصورة مطلقة . ولـما صعدنا بحذر على مرتفع صغير شاهدنا منظر مئات الخوذ الفولاذية المتروكة التي كانت مزينة بريش الديكة ذات الالوان المتعددة — وكانت تلك خوذ فوج (بيرساكليرى) التى لم نجد ماعداها شيئا آخر الامر الذي استنتجنا منه ان الاستراليين قد اسروا فوج حليفتنا بأجمعه خلال الليل .

فأمر رومل حالا بتخصيص مجموعة من قطعات مختلطة من (عكرمة) لتسد الثغرة في هذا القاطع الخالي . ثم اصدر امراً شديداً (كان فيما بعد موضع نقاش وجدال طويلين فى المحافل الايطالية العليا) ينص على انه يتوقع في المستقبل اعدام الضباط الذين يظهرون الجبن امام العدو فوراً .

وعندما عاد الى مقره تحدث بصراحة في هذا الموضوع مع ضابط الارتباط الايطالي سعادة الفريق (كالني) صهر الملك فكتور عمانوئيل وهو ضابط طويل القامة نحيف البنية وذو وجه طويل ضيق وانف بارز

يعتبر نموذجا للانف التوسكاني (١) وكان يتكلم الالمانية بطلاقة وكان رومل ينظر الى سجيته بعين الاعتبار الا انه بعد حديثهما الآنف الذكر علب (كالني) على امره وصار يتحفظ في تصرفاته مدة من الزمن.

ولقد استنتجت هيئة ركن الفيلق الافريقي وقتئـذ ان الجندي الايطالي كفرد كان يرغب في التعاون ونافعا بل وكان احيانا يفوق الجندي الالماني في هذا الخصوص . واذا كان كذلك فانه يقاتل بشجاعة اذا جهز تجهيزاً جيداً وقاده آمرون قديرون . غيران التجهيزات والقيادة كانتا نادرتين في الجيش الايطالي .

٣

كان ٣٠ نيسان هو اليوم المقرر للهجوم على (طـبرق) عبر (بلاسترينو) واختار رومل خصيصا لهذا الهجوم قطعات كان على تماس شخصي بها . فأخذ جنوداً من وحدات مختلفة وألف منهم جحفل معركة تقدر قوته بكتيبة واحدة تحت قيادة الرئيس الاول (شويلر) وجرت استحضارات متقنة للهجوم بالمصادر المتيسرة له .

وذهبنا الى الجبهة بالماموث — وكنت أنا ورومل والدنجر نراقب بدء الهجوم من نقطة رصد على ارض عالية . وراحت طائرات (شتوكا) لتقصف مواضع العدو المختلفة واسندت مدفعيتنا التقدم بسد ناري . واذا أخذنا تباين نوع قطعات الجحفل الهاجم بنظر الاعتبار امكننا القول ان قطعات (شريبلر) اظهرت احسن درجة من التعاون خلال

---

(١) نسبة الى (توسكانيا) وهي مقاطعة في ايطاليا .

التقدم . وكانت مدافع (طبرق) تصب نيرانها الحامية على الهاجمين . كما ان القناصة الاستراليين الموزعين توزيعا جيداً قاموا بعرقلة التقدم خير قيام . ولم يتمكن المهاجمون الوصول الى الاسلاك الشائكة وحقول الالغام إلا عصراً .

وتابع رومل مشهد المعركة من ناظوره باستمرار ثم التفت الي قائلا « (شمث) اذهب الى شريبلر في الامام وقل له يجب أن يحصن مواضعه الحالية ويحتفظ بها . سيعزز الهجوم ويستمر في هذه الليلة . »

وكان الذهاب على انفراد وبسرعة فوق الارض المكشوفة التي استغرق المشاة طيلة النهار لاجتيازها واجباً مخطراً . على انني بذلت مافي وسعي لأن اسرع وكنت كلما أبطأت الحركة اشعر ان ناظور رومل يلتصق بمقعدي . واخيراً وصلت (شريبلر) قبيل الظلام .

وقدقدمت خلال الليل مجموعات من هندسة الصولة مع قاذفات اللهيب . وبعد نضال عنيف في الظلام امكن الاستيلاء على عدد من النقاط القوية وقال رومل في تقريره الرسمي (نجحنا في ازالة جزء من الدفاع) .

وعندما انبثق النهار جاءنا (حليف) جديد ولكن أمره كان مشكوكا فيه . اذ ارتفعت زوبعة رملية خفيفة حددت الرؤية وساعدنا الغبار كما انه عرقل حركاتنا . على أن رأس رمح القطعات المقاتلة اخترق مواضع العدو أمام رأس (ميداوا) مباشرة إلا ان قطعاتنا كانت تلاقي صعوبة في رؤية ماتفعله ومشاهدة المكان الذى تذهب اليه . وتعذر تميز نقاط الاستراليين القوية في الارض المنبسطة وكانت هذه موزعة بالعمق .

وكثيراً ما كان جنودنا يشقون طريقهم الى الامام بين منعتين (١) من دون ان يروهما واذا بالنار تنصب عليهم من الخلف فجأة فينادون في يأس : « لاترموا فاننا المان » ظانين ان رفاقهم يرمونهم من الخلف خطأ . ثم يظهر لهم اخيراً ان القطعات التي خلفهم كانت معادية فيسقط في ايديهم .

واستطاعت هندسة الصولة اخيرا ان تطهر ثغرة في حقل الالغام وجاءت العجلات تحت ستر الغبار بجنود التقوية ومدافع ضد الدبابات والعتاد ومواد التموين .

واصدر رومل امراً (بوجوب الاحتفاظ بالنقاط القوية التي تم الاستيلاء عليها مهما كلف الامر) . وفي الصباح كان هو اول من ذهب الى المواضع المستولى عليها . وزحف رومل بجنبي كما يزحف أي جندي من مشاة الخط الاول . وكان يريد الوصول الى خندق معين في الامام غير اننا قبل أن نتقدم مسافة بعيدة رأينا جماعة من هندسة الصولة ممتدين خلف كوم من الحجارة . فابتدرنا رئيس عرفائهم قائلا :

الى أي جهنم تريدون الذهاب فصحت به مجيباً ذاكراً له احداثيات الخارطة للنقطة القوية التي نريد الذهاب اليها . فاجابني :

« لاتكن غبياً لقد احتلها الانكليز ثانية »

وأشرت بيدي عمداً وأنا منبطح الى علامات كتفي والى رومل فاستطاع رئيس العرفاء ان يميز عندئذ نظارات الغبار على قبعة رومل فلم ينبس ببنت شفة .

---

(١) المنعة هي نقطة قوية مشيدة كحصن صغير وتسمى بالانكليزية (Pillbox) المعرب

واضطرتنا حزمة من نار الرشاشات ان نقرر انه ليس من المستحسن أن نطيل بقاءنا — فعدنا الى الوراء زاحفين بحذر .

٤

وشن الاستراليون هجوما مقابلا فاستعادوا بعض نقاطهم القوية واذاعت القيادة البريطانية العامة للشرق الاوسط في ذلك اليوم (الذي كان اول يوم مايس) قائلة « قام العدو بهجوم على (طبرق) واستمر حتى اليوم الثاني واستطاع خرق نطاق الدفاع — إلا ان الوضع استقر فيما بعد » .

فكان هذا تقريراً دقيقاً ومنذ ذلك اليوم اصبحت المواضع التي احتفظنا بها بعد الهجوم المقابل تؤلف الاماكن الامامية من الخط الالماني في (طبرق) .



الباب الثامن

طائرات (هاريكين) ترمي رومل

في خلال الأيام التي اعقبت الهجوم على (بلاستريتو) نزل باقي المشاة للفرقة المدرعة الـ (١٥) الجديدة من طائرات (يونكر ٥٢) في (درنة) وكانت السيارات حاملة القطعات تنتظرهم في المطار وقبل أن يعرفوا اين هم الآن وجدوا انفسهم في خط الجبهة خارج طبرق . فتساءلوا مستغربين : أين هي نخيل افريقيا ذات الظلال الوارفة يا ترى ؟ تلك النخيل التي هي رمز لفيلق افريقيا الالماني الذي صاروا ينتمون اليه الآن .

لقد كرهوا افريقيا التي رأوها . وذاقوا الأمرين من كثرة الذباب الذى كان بالملايين ومن تحديد الحركة ونقص الارزاق وكونها من نوع واحد وقلة الماء . وقد أثر فيهم كل ذلك في الاسابيع التي اعقبت وصولهم اكثر من (نباح) مدافع (طبرق) المتوالي .

كان رومل يعتقد ان الاستراليين الذين كانوا أمامنا من احسن الجنود ولديهم مقدرة على القيام بالغارات الاستطلاعية بجرأة ليلة بعد أخرى . واني اتذكر مرة أن احـــدى رشاشاتنا فتحت نارها على خندق يحتله الاستراليين يقع على مسافة قريبة أمامنا . فاندهشت قطعاتنا عندما شاهدت استرالياً يجلس ببرود على دكة الرمي ويحرك قبعته الواسعة لنا بينما كان سيل من رصاص الرشاشات ينصب حوله .

وقد حيرتنا موهبتهم الفطرية على التسلل ليلا الى خطوطنا بسكون

تام . ولم نكتشف سر ذلك إلا بعد أن قبضنا على جماعة مغيرة منهم ذات ليلة فاذا بهم مجهزون باحذية خاصة بالدوريات وهي احذية صحراوية كعبها من المطاط السميك .

وتوصل رومل الى نتيجة تتلخص بأن (طبرق) كجوزة صلبة يتعذر كسرها . فاذا تعذر احتلالها بسهولة فما عسى ان يفعل غير ذلك ؟

وتهيأ لتحصين مواضعه المحاصرة للقلعة وتقويتها . وبما انه لا يمكن الاستغناء إلا عن قطعات المانية قليلة للقيام بواجب الحصار فلا مناص اذن من أن يكون معظم الحامية المحاصرة ايطالية . وقرر رومل ان يتعرف على جبهة السلوم وان ينظر الى (الارض الموعودة) عبر الاسلاك الشائكة في الحدود .

وكان قد وصل في الوقت ذاته وسام صليب فارس لفون ويكمر بطل البردية والسلوم فاعلن رومل انه سيقدم الوسام اليه بنفسه . فكان هذا سببا ظاهريا لجولتنا الى الشرق . وتركنا البيت الابيض برتل كبير في التاسع عشر من نيسان وكانت تتقدم الرتل سيارتي وماموث رومل . ورافقتنا عجلة لاسلكي لادامة الاتصال بمقر القيادة العامة . كما ارسلت سرية الدعاية ممثلين عنها مع الرتل فجاء معنا منها صديقي القديم المراسل الحربي (فون ازبيك) وزميل له يدعى (ايرتل) (١) الذى هو نموذج لشخص جبلي وكان مجهزاً بآلة تصوير سينمائية وقد تلقى من (برندت التعليمات حول الدعاية لرومل .

---

(١) وهو الذى انتج فلم (كاب هورن) الشهير بـ (روبنسن) - وكان احد مشاهير متسلقي الجبال وقد نال شهرة في احدى الحملات التي ذهبت لتسلق قمة (افرست) .

وسقنا بالسيارات حول (طبرق) تكتنفنا سحابة من الغبار فاحمرت اعيننا ودخل الرمل بين اسناننا وغطت وجوهنا وشعرنا وبزاتنا العسكرية طبقة داكنة من الغبار حتى كأننا انقلبنا الى اشخاص آخرين .

وعندما اجتزنا الطريق المؤدي من (طبرق) الى (العدم) دخلت احدى العجلات منطقة فيها الغام صغيرة متناثرة وكانت قد القتها طائرات العدو — وهذه مصائد خطرة ضد الاشخاص تعلمنا كيف نميزها فيما بعد .

وبعد ان لاحقتنا رشقات قليلة من نيران مدفعية (طبرق) وصلنا الى (فيا بالبيا) بدون ان نصاب بتكبة ، وتقدمنا على طوار الطريق الساحلي بسرعة عظيمة بحيث وصلنا الى البردية قبل الوقف الذى توقعناه .

وحيا رومل (فون ويكمر) تحية حارة وبينما كانت آلة التصوير السينمائية تصورهما علق رومل وسام صليب الفارس في رقبته .

اصبح رومل الآن في البيئة التي يشتاق اليها . فطلب من (فون ويكمر) أن يشرح له ادوار وصفحات القتال الذى دار حول اكوام الحجارة التي تؤلف (فورت كابوزو) . وانعم النظر في موانع الاسلاك الشائكة الممتدة بعيداً نحو الجنوب على الحدود الليبية — المصرية . ثم نظر طويلا بناظورة الى مدرعات (ويفل) الاستطلاعية التي كان في الامكان تمييزها وهي تترصد من بعيد والتي لاشك ان نواظير راكبيها كانت تراقبنا . وقد تسلى كصبي بمدافع الايطاليين الموضوعة لدفاع السواحل وزحف من غير كلل الى كل موضع دفاعي وخندق مواصلات فلاحظ ان الطليان قد شيدوها على طراز يماثل مواضع (طبرق) .

وفي آخر النهار كان الجميع تعبين ماخلا رومل — فقد جعل نفسه وكل شخص آخر مشغولا وقام بكل شيء على عجل ولكن باتقان .

وقبل أن يحل المساء شرعنا في العودة — وفي هذه المرة أيضا كنت اقود الرتل . وبعد سياقة نصف ساعة غرب (البردية) اقتربنا من (غامبوط) . وفيما نحن نسوق باتجاه الشمس الموشكة على المغيب والتي كانت اشعتها تزعج اعيننا ، اذا بي المح فجأة طائرتين معاديتين تطيران بارتفاع واطيء — فسائلت نفسي هل هي المانيتان أم بريطانيتان ؟

وقبل أن اتمكن من تمييزها انقضتا علينا فلم يبق ثمة شك في انهما معاديتان فصرخت بأعلى صوتي (انذار جوي) مشيراً الى الطائرتين واندفعت التمس ملجأ على جانب الطريق . وسبقني سائقي فامتد على الارض قبل ان اتمكن من ان القي بنفسي الى جانبه . وبعد لحظة كانت طائرتا الـ (هاريكين) تبصقان علينا نيرانها . وقد انقضتا علينا ثم استدارتا استدارة قصيرة لكي تنقضا ثانية وهكذا هاجمتانا مرتين . واظهرت احداهما عداء صريحا نحوي ونحو سائقي بوجه خاص فحاولت أن أدخل نفسي في الرمل تخلصا منها .

ولما ذهبت الطائرتان اخيراً واتجهتا شمالا نحو البحر رفعت نفسي والدم ينزف من خدوش في وجهي .

وابصرت ان الشمس على وشك المغيب . وتبعا للاوامر الاعتيادية أخذنا مواضعنا قرب سيارتنا فحسبت اكثر من اثنى عشر ثقب رصاصة في سيارتي . وظهر ان ساعي الدراجة البخارية الذى كان يسير خلفي لم يقفز من دراجته في الوقت اللازم فاصيب بجرح خطير في رأسه ووجدناه ملقى على الارض وهو على وشك الموت .

أما رومل فقد قفز من (الماموث) وقبل ان يتمكن سائقه من سد الفتحة الموجودة فى اعلى العجلة نفــذت احدى رصاصات العدو منها

ودخلت في صدره مخطأة رأس رومل قليلا ثم انفجرت على جدار الماموث الداخلي .

واصيب أيضا عدد من العجلات الاخرى — فتضررت سيارة اللاسلكي لدرجة اضطررنا معها الى تركها . ودفنا الجندي الميت قرب الطريق بدون تأخير . أما سائق رومل فانه اظهر شجاعة وهدوء مثاليين . وقد دثرناه ببطانية ووضعناه على المقعد الجلدي في آخر (الماموث) فلم يبد أي ألم .

وتولى رومل قيادة (الماموث) بنفسه وساقه طول الليل . وعلى الرغم من رجاء (الدنجر) و (شريبلر) رفض ان يبدله أحد . ولم نصل البيت الابيض الا صباح اليوم الثاني .

الباب التاسع

باولوس ستالينغراد - وملاحظاتي عن اريتريا

كان اول زائر كبير جاءنا من برلين هو الفريق (باولوس) نائب القائد العام للجيش والذي استسلم بعدئذ في شباط ٩٤٣ في اعظم اندحار مني به الجيش الالماني فى حياته .

ولم يظهر رومل اية علائم حماس لزيارته فشعرت انه شك في ان هذه الزيارة قد تكون مقدمة لبعض المؤآمرات في المحافل العليا بل وربما ستكون سببا للتخلص منه شخصيا . وابدى (فون باولوس) رغبته في زيارة جبهة (طبرق) فظننت اننا سنقوم باحدى جولاتنا المعتادة في اليوم التالي . إلا أن ظني لم يكن مصيبا حيث بقي رومل في مقره .

وقدمني رومل الى (باولوس) ثم أمرني قائلا :

« (شمت) عليك أن ترافق غداً الفريق الى جبهة (طبرق) . فانك تعرف توزيعات القطعات وفي وسعك أن تزوده بجميع المعلومات اللازمة » .

وبدت كلماته كأنها لاتعنيني فحسب بل وباولوس أيضا .

تحركنا صباح اليوم الثاني على الاثر المغبر الاعتيادي بسيارتين . وجلس (باولوس) جنبي في المقعد الخلفي لسيارتي المفتوحة قائلا « الآن ستتمكن من ان نتكلم بسهولة اكثر » وأبدى (باولوس) نحوي التفاتا شخصيا بخلاف رومل وسرعان ماشعرت بارتياح . وقدسألني (باولوس) .

« كم مضى على وجودك في أفريقيا ؟ » كان علي أن احسب الشهور

لكي اجيبه على سؤاله الا انني قلت : « منذ كانون الثاني ياسيدي القائد »

« منذ كانون الثاني ؟ ولكن كيف كان ذلك وفيلق افريقيا لم يكن هنا »

قال ذلك وهو ينظر الي متسائلا .

« كنت في اريتريا فترة من الزمن قبل ان يصل الفيلق الافريقي »

« أن ماتقوله يستوجب الاهتمام ـ استمر رجاء »

وبما انه لم يكن ثمة شيء ذو اهمية عسكرية لأريه الى (باولوس) او اوضحه له فقد سردت عليه حكايتي بينما كانت سيارتنا تثير سحب الغبار على ممر (عكرمة) .

« لايخفى عليكم ياسيدي القائد انه عندما تأكد نشوب الحرب في آب ٩٣٩ تلقت جميع السفن الالمانية أمراً بالالتجاء الى أقرب ميناء محايد فاستطاعت تسع سفن حمل المانية كانت في البحر الابيض المتوسط ان تصل الى المصوع . وكان اغلبها من بواخر الخط الالماني للشرق الاقصى تتراوح حمولتها بين (٦٠٠٠) و (٩٠٠٠) طن . وكانت مزيجا من بواخر مختلفة منها سفينة النزهة (كوبرغ) المجهزة بجميع المعدات العصرية ومنها الجوابة الصغيرة الحقيرة المسماة (سوان دس اوستنس) اي (اوز الشرق) .

وفي حزيران ١٩٤٠ اعلنت ايطاليا الحرب فاصبحت الحبشة و (اريتريا) ساحتي حرب . فاجتمع معظم البحارة على السفن الالمانية في (المصوع) والفوا من بينهم سرية من المتطوعين وقام الايطاليون بتسليحهم وتجهيزهم والبسوهم بزات عسكرية طليانيـــة وزينوا خوذهم واذرعهم باشارات (السواستيكا) . ولم يكن مظهر بزاتهم العسكرية رشيقا حسبما يرام إلا أن حماس الملاحين الشديد عوض عن جميع النواقص .

وقد اعلن أحد الركاب انه ضابط احتياط وانه اشترك في الحرب العالمية الاولى فعينه الايطاليون آمراً للسرية . ولكن ماكادت السرية تدخل المعركة حتى ظهر بوضوح انه غير أهل لتولي قيادتها . لذلك ارسل الايطاليون طلبا الى برلين لتعيين ضابط ملائم لهـذا المنصب . فعينت لهذاالواجب وطرت من روما الى (اريتريا) . وكان الايطاليون في ذلك الحين يطيرون بانتظام عبر (ليبيا) والسودان .

وعلى الرغم من ان سريتي كانت غير مدربة وكان تجهيزها رديئا فانها قاتلت بحماس في ساحات (ايتريا) في (كوردات) و (كيرين) . على انه لم يكن ثمة مناص من انهيار الامبراطورية الايطالية في افريقيا الشرقية والمعونة القليلة التي كنا نقدمها لم تكن لتؤخر النتيجة . فصدر الأمر لذلك بسحب سريتي من القتال وبينما نحن في منطقة (المصوع) اذ جاءت الوصايا من برلين بوجوب تسريح السريـة حالا وانه ينبغي للجنود — الملاحين ان يلتحقوا بسفنهم . اما أنا فقد طلب الي أن اتهيأ للطيران الى شمال افريقيا والالتحاق بقوة الحملة الالمانية التي نزلت في (طرابلس) .

تركت سفينة (كوبرغ) التي كنت اسكن فيها مرتاحا وذهبت الى (اسمرة) . وكانت القيادة الالمانية قد اوعزت الى الايطاليين أن يهيأوا لي فيها طائرة تقلني الى شمال افريقيا . وكنت استفسر عن ذلك في كل يوم الا ان الطليان كانوا يجيبونني دوما (دوماني فورس دوبو دوماني) أي (غداً او بعد غد) .

وكانت جبهة القتال في (كيرين) قريبة منا قربا خطيراً فكان من الواضح ان البريطانيين سيحتلون (اسمرة) بعد قليل . وفي صباح ذات يوم (وكان يوم الاحد) بينما كنت اترك الاوتيل علمت صـدفة ان

طائرة ستطير بعد نصف ساعة من مطار كورا الذى كان يبعد نحو ٢٠ دقيقة بالسيارة . فقفزت في سيارة اجرة بدون أن افكر بامتعتي وذهبت اسابق الريح الى المطار . فوجدت هناك فعلا طائرة (سافوايه ٨٧) جاهزة بل ومحركها يدور . فاندفعت اعدو اليها غير انني لم اكد اصل اليها حتى رأيت ثلاثة طيارين يقفزون منها ويمرون بي ليستتروا بسرعة في خندق شق . وفي تلك اللحظة لحت طائرات افريقيا الجنوبية تتجه نحونا فرميت نفسي فوق الايطاليين . وانقضت المقاتلات الى ارتفاع واطيء عدة مرات ورشقت بنيرانها باتقان الطائرات الكثيرة التى كانت جميعها سافطة عن العمل منذ مدة طويلة ومتروكة في المطار . وكانت طائرتنا هي الوحيدة التى تستطيع الطيران فنجت من الضرر لحسن الحظ .

وبعد ان بقينا في الخندق الشق معاً اصبحت علاقتى مع الطيارين الطليان ودية فشرحت لهم غرضي ولم تكد المقاتلات تختفي إلا وامتطينا الـ (سافوايه) فحلقت بنا في الجو .

وطرنا فوق واد عميق شرقا متجهين نحو ساحل البحر الاحمر ونزلنا في مكان اظنه كان ارض نزول اضطراري تقع في منطقة سهلة . واخفينا الطائرة بسرعة بشبكة غش وباغصان العليقات . وقبل حلول الظلام طرنا فوق البحر ثم فوق البر الذي اظنه كان المملكة العربية السعودية .

وبدأ الظلام يكتنفنا في ذلك الوقت وكان الطيارون الثلاثة كلهم في حجرة الطيار . وكان كل منهم مرتديا مظلة الهبوط وجاهزاً لترك الطائرة ضمن لحظة واحدة عند الحاجة — ولا حاجة لأن اقول ان حليفهم الوحيد في الطائرة كان بدون مظلة هبوط .

وكنت جالسا داخل الطائرة وحدي ولم يكن لي رفيق غير حقيبة صغيرة تحتوي على المراسلات وسلسلة تقرقع باستمرار على جدار الطائرة بجانبي .

وبدا لي ان الطيارين الثلاثة يقتلون الوقت في تناول شراب لذيذ بكميات كثيرة . وكانوا يتراآون لي الواحد بعد الآخر في غرفة الطيار فيظهر عليهم انهم يقضون وقتاً طيباً . ثم جاء أحدهم اخيراً نحوي حاملا قنينة كاملة فقدمها لي ، فقبلتها مع الشكر متذكراً نيران مدافع مقاومة الطائرات التي لاحقت طائرتنا في طيرانها فوق (اريتريا) ومتصوراً الحالة التي يحتمل أن يكون فيها الطيارون الثلاثة بعد حين . وشربت مافيها حالا ونمت بهدوء طيلة الليل . وعلى كل فقد استيقظت حيا .

وكان النهار في رابعته عندما استيقظت وكنا نطير فوق البحر ونقترب من البر الذي افترضت انه شمال افريقيا . ونزلت الـ (سافوايه) بعد مدة قليلة غرب (العقيلة) حيث اعيد املائها بالوقود فشكرت الطيارين الثلاثة وودعتهم فطاروا بعدئذ الى روما حيث استقبلهم موسوليني وهنأهم على هروبهم الجرىء من (اريتريا) .

وتيسرت لي طائرة صغيرة في ارض نزول مجاورة فطرت بها الى طرابلس حيث نزلت هناك بعد الظهر وراجعت الفريق رومل مخبراً اياه بانتهاء مهمتي في افريقيا الشمالية . فقال (باولوس)

« ان قصتك ممتعة حقاً » ثم اردف قائلا « وماذا حل ببحارتك ؟ »

« كل ما اعرفه عنهم ياسيدي الفريق ان غواصة او غواصتين

ايطاليتين نجحتا فى الاستدارة حول (الـكاب) وكان عليهما بعض افراد سرية المتطوعين الالمان والضابط الاول لسفينة (كوبرغ) ايضا - اما السفن الباقية فاعتقد ان بحارتها اغرقوا معظمها في ميناء (مصوع) . وقد سمعت في طرابلس من الراديو الانـكليزي أن سفينة (كوبرغ) اغرقت قرب (موريشيوس) .

وسألني باولوس اسئلة اخرى عن حملتي الحبشة وايتريا عندما كنا نترك (عكرمة) على يميننا ونستدير نحو خطوط طبرق .

وعندما وصلنا اشرت للفريق (باولوس) اهم مواضع طبرق غير انني تعمدت ان لا آخذه لزيارتها اذ ان نيران مدفعية العدو المستمرة كانت كافية لان تعطي ولو عن بعد صورة عن نوع الحياة في مواضعنا الامامية فلم أجد ثمة حاجة لاخذ (فون باولوس) اليها واريه بين انفلاقات القنابل ان الذهاب الى الجبهة ليس بنزهة .

وعندما كنا نسوق بسرعة من قاطع الى آخر كان باولوس يبدي اهتماما شديداً في الموقف العام وجرت له مناقشات حيوية مع الآمرين المحليين .

وقد كان مهتما بوجه خاص بالمواضـــع الواقعة امام (بلاستربنو) (وميداوا) . وسألني (باولوس) ونحن نقترب من كتيبة المشاة الـ (١١٥) الى اقرب مايسمح به الامان في ضوء النهار :

« كيف يجري تموين جنود هذه الكتيبة بالمؤونة والعتاد . »

فاجبته :

لا يمكن التموين إلا في الليل ياسيدي الفريق . ففي كل ليلة يأتي الى

الجبهة جنود مطابخ السرايا بسيارة ملآنة بالطعام الحار والقهوة والخمة وما شابه ذلك - ويجري تموين العتاد بنفس الطريقة . »

« ومتى يحدث ذلك ؟ »

« بعد منتصف الليل عادة . اذ ان المواضع انتخبت بشكل يتمكن الاستراليون من رصد كل التنقلات نهاراً وفي الليالي المقمرة . »

« ان ذلك يعني ان كل جندي يجب ان يبقى نهاراً في ملجأه بدون حركة غالباً . »

« نعم يا سيدي الفريق . ان ما لا يمكن تحمله في هذه المواضيع ازعاج ملايين الذباب - فهي تستقر على الطعام بالآلاف ومن المحتمل انها سبب الزحار (الديزانتري) والامراض الاخرى التي تصيب الجنود » .

« ولكن أليس سبب ذلك نوع الطعام ؟ » سألني (باولوس) ثم أردف قائلا « وماذا تأكل القطعات عادة » .

اقد فتح بهذا موضوعا كان مدار الحديث بين الجميع ونقطة كان يتألم منها الجنود .

ولم أتردد في التعليق على نواقص الطعام لأنني توقعت ان هذا الفريق ذا النفوذ سيتمكن من تحسين طعامنا كله بعمل واحد فقلت :

« ان الخضروات والفواكه غير معروفة للجندي . وهم يفتقدون البطاطة بوجه خاص . ثم ان الارزاق الاعتيادية تتألف من (السردين)

في الزيت ومن لحم (السجق) المعلب الكبير الحجم ومن « الترمان »(١)
فنظر الي الفريق مستفهماً وقال « الترمان ؟ »

فتذكرت انه لم يمض على وجود (باولوس) في افريقيا اكثر من يومين ولو طال بقاؤه لعرف — كما عرف روميل قبله — ان جميع العلب الايطالية المستديرة الصغيرة التي تحتوي على لحم البقر المجفف كانت مؤشرة بالحرفين (A. M) — وقد سمعت بعضهم يقول ان القطعات الالمانية في شمال افريقيا فسرت ذلك بـ (اسينوس موسوليني) اي (حمار موسوليني) لكنني لم اسمع بذلك قط . فأوضحت لباولوس الرموز المسجلة على علب اللحم قائلا ان الجنود يدعون ان هذه تعني (الترمان) او (الرجل العجوز).

فضحك باولوس وصمت برهة من الزمن . وقبيل العودة الى المقر قال لي « ان القطعات المرابطة حول (طبرق) تقاتـــل في احوال غير انسانية ولا يمكن تحملها . وسأقترح على برلين وجوب الانسحاب الى موضع قوي في (الغزالة) لـكي تقصر خطوط مواصلاتنـــا وتعيش القطعات في حالات افضل مما هي عليه الآن . كما اننـــا سنحصل على احتياطات اعظم .

ويبدو لي الآن ان كل جندي قائم بواجب الخفارة بدون استراحة ولا يمكن تبديل القطعات وانعاشها فمن الضروري ان نفعل شيئاً لمعالجة هذا الامر » .

---

(١) « Alter Mann » وتعني (الرجـــل العجوز) وهو الاسم الذي اطلقه الجنود الالمان في شمال افريقيا على نوع من اللحم المعلب الذي ملوا أكله
(المعرب)

انى اعتقد ان فكرة (باولوس) حول وجوب احتلالنـا خطأ دفاعياً اميناً في (الغزالة) فكرة تستحق الدرس الا انى كنت واثقا من ان رومل المتشبع بروح التعرض لا يرضى مطلقا ان يتخذ دوراً سلبياً كهذا في الصحراء . وفي الواقع اننـا لم نلحظ تغيرات هامة في الاسابيع التى تلت تفتيش (باولوس) فلم ننسحب الى (الغزالة) ولا زلنا نأكل (الرجل العجوز) .

الباب العاشر

(معركة الفأس)[1] على الحدود

بعد زيارتنا (للسلوم) تحول اهتمام روميل من (طبرق) الى الجبهة . وقد قال :

« (طبرق) جوزة صلبـة يصعب تكسيرها وتتطلب استعدادات دقيقة » . ولم يكن يتوقع أن يسمح له (ويفل) بأن يستعد من دون تحرش ، لذلك قرر تحصين جميع المواضع سواء كانت حول نطاق القلعة أو في الجبهة . وكان الحر قد اشتد كثيراً في الصحراء بعد مضي شهر مايس . وقد شاع بين القطعات ان الحركات ستتوقف خلال اشهر الصيف الحارة . ولا ريب أن الرغبة كانت اساسا لهذه الفكرة . بل وان معظم القطعات التي لها خبرة في الدروع ظنت انها لا تستخدم مطلقا . غير انهم لم يعلموا ان (ويفل) كان يفكر في التعرض . واكتشف الاستطلاع الجوي البريطاني مكان مقرنا المتقدم — فانتقلنا من منطقة البيت الابيض شمالا الى الساحل غرب (طبرق) . وقد شكرت الطائرات الاستطلاعية البريطانية على ذلك لأن الاحوال في منطقة المقر الجديد كانت شعرية لو قورنت بمنطقة البيت الابيض الكئيبة .

وكان مما ينعشنا أن نعود الى البحر بعد جولاتنا المترية في الصحراء .

---

(١) (Battle Axe) ـ والفأس اسم رمزي اطلق على هذه المعركة (المعرب)

وذهبت مراراً مع رومل الى الحدود - وكنا نشيد وقتئذ خطاً دفاعيا يمتد من الساحل اسفل مضيق (حلفاية) الى (سيدي عمر). وقد جرى تعزيز هذا الخط بسرعة بمدافع (٨٨) ملم الالمانية وبالمدفعية الايطالية .

وكان جحفل الاستطلاع المدرع أيضا في ذلك الوقت بين (فورت كابوزو) وسيدي عمر كاحتياط سيار . وكنت اتمتع بالسباحة في البحر عندما كنا نعود من الجبهة . وكان رومل يعيش في سيارة صغيرة وقد سمح لنفسه بالراحة لأول مرة منذ رأيته .

واشتركت أنا و(بيرندت) في خيمـــة قريبة من سيارة رومل . وكان جيراننا في الجانب الآخر المراسلين الحربيين (فون ازبيك) و (ايرتل) و (بورخيرت) . وكانوا في كثير من الاحيان ضيوفنا في العشاء لاسيا عندما احضر مزيجا من الرز والحليب المكثف . وكان (ازبيك) يحب الرز جافا نوعا ما فكنت ابذل جهـدي كمضيف لارضي ضيوفي . وبما أن الصحراء كانت محجوزة للذكور فقط فقد كان اللباس الاجتماعي المقبول في مقرنا قرب البحر نهـاراً بدلة آدم المسائية المؤلفة من سروال السباحة وسترة .

٢

« (شمث » انهض ! » صاح بي (بيرندت) من باب الخيمة المفتوح في صباح ذات يوم ثم أردف قائلا «انهض بسرعة — سفينة كبيرة قريبة في البحر تهاجمها طائرات (مسيرشمت) . »

« اوه » اجبته وأنا اظن انه يهزأ بي « اترانا مشغولين في اغراق (آرك رويال) مرة أخرى . »

« كلا ياشمث اني جاد فيما أقول — انظر خـلال الفتحة — هنالك سفينة ربما تحاول الوصول الى (طبرق) انهض يارجل . »

وكنت على وشك ان انصح (بيرندت) ان يفكر بشيء احسن من هذا اذا شاء أن يحرمني من النوم ، فاذا بي اسمع نيران رشاشات بعيدة .

« اصغ طائرات (مسيرشمت) تفرغ رصاصها في السفينة . فاذا لم تصدقني فابق حيث انت » . واختفى رأس (بيرندت) الضخم من فتحة الخيمة . فارتديت سروالي القصير وبعـد خطوات قليلة اجتزت كثيب الرمل الذي كان يحجب منظر البحر المتوسط . نعم حقـاً كانت هنالك سفينة لكنها ليست كبيرة كما قال (بيرندت) على انها كانت على كل حال سفينة ذات ثلاثة أشرعة ومحرك . وقد انقضت عليها ثلاث مقاتلات المانية فأمطرتها بوابل من نيرانها . وكانت مدافع ضد الطائرات الصغيرة على سطح السفينة تجيب النار بشجاعة . وكانت السفينة على بعد بضعة اميال في البحر إلا ان كل شيء كان يمكن رؤيته بوضوح .

وتجمع حشد من المتفرجين على الشاطيء بسرعة وكان من ضمنهم رومل وعدد من الضباط الاركان . وقد اندفع المراسلان الحربيان (الفون ازبيك) و(ايرتل) الى الساحل ايضا وكان (ايرتل) محتضنا آلة التصوير السينمائية التي لا بد من وجودها معه .

والظاهر انه لم يكن للمقاتلات قنابر لترميها . لذلك لم تكن تتوقع منها ان تحول دون سير الباخرة بصورة جدية ولكن لا ! فلقـد حدث فجأة ما لم نكن نتوقع . في ثوان كانت السفينة تحترق وقد بدأت النار اولا في وسطها ثم سرت الى مؤخرها ، وشاهدنا الملاحين يتدافعون

للوصول الى قوارب النجاة وبعد دقائق قليلة كانوا يجذفون بعيداً عن السفينة بكل ما اوتوا من قوة . وقبل ان يبتعدوا نحو ٢٠٠ ياردة انفجرت الباخرة فحدث من جراء ذلك وميض كالبرق الخاطف اعقبته تواً ألسنة النار تسري في كل جهة من السفينة ولم يصلنا صوت الانفلاق إلا فيما بعد وارتفع عمود من الدخان عالياً في السماء ، وكان يقف بجانبي (ايرتل) مع آلته السينمائية فراقبته وهو يلصق موجدة اتجاهها الى عينيه ثم يرفعها الى فوق ليعقب عمود الدخان المتصاعد ، وقد تساقطت بعض الحزم النارية في البحر ، وعندما اختفى الدخان الكثيف بعد بضع دقائق كانت السفينة قد غاصت في اليم . وظهر قارب النجاة ثانية من بين الدخان — وكان النوتية يجذفون بشدة نحو الساحل . وقد احبطت المقاتلات بعض محاولاتهم للاتجاه نحو (طبرق) بانقضاضها على ارتفاع بضعة اقدام فوق رؤوس الجذافين . وبعد ان ابتعد القارب عن الساحل مدة ساعتين اضطر ان يعود ثانية فيتجه نحونا . وأخيراً نزل النوتية في مكان قريب من خيمتنا وهو نفس المكان الذي قبضنا فيه بعدئذ على جماعة صغيرة من الانكليز(١) وكان النوتية منهوكي القوى وقد مات منهم اثنان من المجروحين جرحا خطيراً بعد الانزال بقليل ، وكان معظمهم من اليونان المدنيين ما عدا المفرزة التي كانت تدير مدفع ضد الطائرات على سطح السفينة الهالكة . وكانت هذه السفينة سفينة بضائع يونانية صغيرة وقد تركت الاسكندرية لتنقل العتاد الى (طبرق) . غير ان القبطان اخطأ مدخل الميناء ليلا فلما انبثق النهار أدرك انه على بعد بضعة اميال شرقا فكان ذلك سبباً لظهور

---

(١) راجع الباب الحادي عشر

سفينته في مكان الحادثة ، وكانت قد نفذت اطلاقة واحدة من باب المقصورة فأصابت موقداً غازيا كانوا يهيأون عليه شاي الصباح ، وبعد بضع ثوان اشتعلت الغرفـــة ثم انتشر لهيب النار فتناول خزانا للبنزين فاضطر البحارة الى ترك السفينة .

٣

غير اننا لا نستطيع ان نتوقع استمرار دور شعري كهذا في الحرب فقد قصفت البحرية البريطانية وراءنا (بنغازي) محاولة عرقلة تموين فيلق افريقيا ، وبعد يومين او ثلاثة انزل (ويفل) ضربته على (السلوم)

وفي الوقت نفسه كان (دوق اوستا) الايطالي يستسلم في « امبا الاكي »(١) وهكذا انتهت آخر مقاومة هامة للايطـــاليين في افريقيا الشرقية . ولكن بعد يومين قامت المانية بغزو (كريت) بقوات المظلات منزلة بذلك ضربة شديدة على (ويفل)

كانت كلمة (معركة الفأس) الاسم الرمزي لهجوم (ويفـــل) ولم نكن نعرف هذا الاسم عندما جاءت التقارير الاولى من جبهة(حلفاية) تنبؤنا عن (هجوم قوي بالدبابات) ، وكانت معظم الدبابات البريطانية المشتركة في هذا الهجوم من ذوات العلامة (٢) المدرعة تدريعا خاصا في

---

(١) نقطة قوية في الحبشة ارتفاعها (١١٠٠٠) قدم وفيها استسلم بشرف الحاكم الايطالي العام (الدوق اوستا) مع حاميتها في ١٩ مايس الى الفرقة الهندية الخامسة التي كان يقودها (امير اللواء ماين) والى لواء جنوب افريقيا الاول بقيادة الزعيم (بينار)

مقدمتها . كما كانت تحمي سرفاتها انطقة جانبية من صفائح مدرعة .

وقد قامت المشاة الساندة للدبابات بالتقدم بثبات في الاخاديد العميقة للمنحدر الواقع في مضيق (حلفاية) وعلى طوار الساحل نحو (السلوم) وكان رومل شديد القلق على دفاعاتنا هنـــاك اذ كانت هذه في دور التأسيس . فأصدر أمره برقيا بوجوب تقدم عناصر من الكتيبة المدرعة الخامسة بالسرعة الممكنة على النيسم المسمى (ترى كابوزو) الذي كان من احسن نياسم الصحراء المعروفة جنوب الطريق الساحلي .

وَكان الموقف مشكوكا فيه في اليوم الثاني من الهجوم البريطاني فكانت رؤوس رماح (ويفل) تنزل طعناتها في (السلوم) . وقرر رومل ان يزور هذا القـاطع بنفسه . فذهبت أنا والدنجر وبيرندت معه ولم نتمكن من الاستفادة من الطريق الساحلي لأن القوة الجوية البريطانيـة كانت شديدة التعرض فاضطررنا الى ان نسلك نيسم (ترى كابوزو) .

وكان القتال الذي شاهدناه مدهشا ، فقد اقتحمت دبابات ويفل عدداً من مواضع المشاة بالرغم من النار الشديدة لمدافعنا عيار (٨٨) ملم التي لم تكن الدبابات تتوقع ان تجابهها . وكان قداحو هذه المدافع يجلسون عاليا وراء سداداتهم من دون حماية . فاذا سقط احدهم حل الآخر محله حالا . وتأثر جنود المدفعية الطليان بشجاعة الالمان فصاروا يظهرون ايضا روحا حربية تستحق الثناء . ولكن على الرغم من الخسائر الفادحة التي احدثتها المدفعية بالمشاة البريطـانيين فان هؤلاء استمروا على التقدم الى الامام بجرأة نادرة عبر (وادي حلفاية) .

وبعد ايام من النضال انتهت المعركة لصالح رومل . ولم يعلن عن هذه المعركة بنطاق واسع شأن معارك الصحراء الاخرى . وان كثيرين

من ابطال الحملة الليبية في الواقع لا يذكرون (معركة الفأس) إلا نادراً وذلك بالنظر للحوادث الجسام التي كانت تدور في الساحات الاوربية وساحة البحر المتوسط في ذلك الحين .

وقد رافقت رومل في تفتيشه الشخصي لميدان المعركة طوار الحدود من (حلفاية) الى (سيدي عمر) فحسبنا (١٨٠) دبابة بريطانية محطمة كان معظمها من ذوات العلامة (٢) وقد سحبت بعض هذه الدبابات من ميدان المعركة فصلحت ووضعت عليها علامة الصليب الالماني ثم ادخلت في المعركة ضد الجنود الذين كانوا يركبونها من قبل .

وكان فوز رومل يعزى بالدرجة الاولى الى استخدامه مدافع (٨٨) ملم لمقاومة الدبابات مع ان الغرض الاساسي من تصميم هذه المدافع كان لمقاومة الطائرات . وقد وزعت هذه توزيعا مناسبا لتؤلف نواة كل موضع دفاعي .

وكان عدد الاسرى من العدو قليلا . وقد سمعت عرضا حديثا يجري بين ضابط قائم بواجب استنطاق الاسرى وبين سائق دبابة انكليزي شاب . فقال الانكليزي وهو يرمق شزراً إحدى مدافع (٨٨) ملم القريبة :

« اري انه ليس من الانصاف استخدام مدافع مقاومة الطائرات ضد دباباتنا . »

فتدخل في الحديث مدفعي الماني كان جالسا على الارض على مسافة قريبة يستمع الى الترجمة وقال متهيجا : « نعم ، وأنا اظن انه ليس من الانصاف مطلقا ان تهجموا بدبابات لا تخرق دروعها إلا مدافع (٨٨) ملم . »

فابتسمت لهذا الجدال . وكان هذا هو الواقع — بل لقد ثبت أن

مدافع (٨٨) ملم ضد الطائرات لا تقوى على ايقاف دبابة ذات علامة (٢) باصابة امامية لكنها معرضة للعطب الشديد اذا اصابتها اطلاقة (٨٨) ملم من الجانب .

وكان رومل حينما ذهب بعدئذ ترمقه القطعات بعين الاعجاب . اذ سبق ان ذاع صيته ومشى نحو البطولة . وقد خطب في عدة مجموعات من الجنود خطبا قصيرة امتدح فيها اعمال القطعات التي اشتركت في المعركة ولم ينس ان يمتدح الايطاليين الذين قاتلوا قتالا جيداً والحق يقال .

وعرف (بيرندت) كيف يستخلص من نجاح رومل دعاية ممتازة فعمل كثيراً لنزيد من شهرته في الميدان . كما ان اعماله الباهرة كانت تنتشر في المانية أيضا .

ووقع في ايدينا بعد ذلك بقليل تقرير صحفي انكليزي عن معارك مضيق (حلفاية) فكان يشير الى هذا المضيق بـ (مضيق نار جهنم)(١) ودرس بيرندت هذا التقرير باهتمام وارسله بسرعة الى (غوبلز) في برلين .

هكذا كانت قد تكونت في الصحراء قصة مشهورة — تلك هي قصة (ثعلب الصحراء) الماكر والحاضر في كل مكان والمتنقل بسرعة

٤

وضاعف رومل . اهتمامه بالحدود وكان راصدونا يثابرون على مراقبة السابلة البحرية الذاهبة الى ميناء (طبرق) من النقاط العالية

---

(١) مضيق حلفاية بالانكليزية Halfya Pass وقد اطلق عليه الصحفي الانكليزي اسم « Hell Fire Pass » اي « مضيق نار جهنم »
(المعرب)

الواقعة على خط الساحل بين (البردية) ونطاق القلعة فكانوا يخبرون بوصول التعويضات ومواد التموين الى (طبرق) الا انه لم تكن هنالك علائم لوصول التقويات الأمر الذى يدل على انه ليس ثمة مايستوجب الخوف من خطر اختراق العدو نطاق الحصار والاندفاع من طبرق الى الخارج . وقد قدر رومل ان تعرضا بريطانيا جديداً لا يمكن ان يقع قبل مضي ثلاثة اشهر .

واقتنع رومل بأن جبهة (السلوم) هي المسرح المحتمل لاية حركات تجري في الاشهر القادمة ولذلك قرر ان يحرك تشكيلاته الرئيسية للمعركة الى مسافة اخرى شرقا باتجاه الحدود . وقد اختار (البردية) كقاعدة حركات خاصة به واتخذ مقره الجديد ومحل سكناه في بيت مخرب قليلا يقع على مقربة من كنيسة القرية ولاشك ان هذه البناية كانت معروفة لدى الآلاف من قطعات جنوب افريقية والقطات الاوسترالية والبريطانية وكان رومل في ذلك الحين القائد العام لفيلق افريقيا فقط . ومع أن كل جندي في الميدا كان يعتبره القائد الحقيقي فان القيادة العليا للحركات في شمال افريقيا كانت قـــد عهدت من الوجهة النظرية الى الفريق الايطالي (غاريبالدى) .

وقد دعاه رومل لزيارة الجبهـة عندما تمت تقوية دفاعات (السلوم) بصورة مرضية فقبل (غاريبالدي) الدعوة وجاء الى (البردية) بعـد ذلك بقليل . فقلد رومل هناك الوسام الفضي للشجاعة . وبوغت كثيراً عندما علق هذا الوسام الايطالي الممتاز على صـدري أيضا . وعاملنا (غاريبالدي) جميعا بروح ابوية طيبة .

وزود رومل (غاريبالدي) بالمعلومات اللازمة بسرعة وبعد أن شرح له الموقف وتوزيعات القطعات أخذه بالسيارة الى جبهة (السلوم) . وكان ينوي بصورة خاصة ان يأخذ القائد الايطالي الى جولة تفتيشية دقيقة لمواضعنا . إلا انني لاحظت اثناء ايضاحات رومل التي كان يترجمها الى حلفائنا (الدكتور هاكان) ان الضباط الطليان الذين كانوا مع (غاريبالدي) لا يتمكنون من اخفاء ضجرهم . ولم نكد نصل مضيق (حلفاية) حتى تقدم أحد الايطاليين وقال للقائد « ياصاحب السعادة هل لي أن اذكركم أن هنالك مؤتمرات مستعجلة تستدعي حضورنا في (برقة) ؟ »

« سي سي (١) » قال غاريبالدي ثم تحدث عن ضرورة عودته حالا . ولم يتفق ذلك مع المنهج الذي كان قد قرره رومل اذا لم يزل جانب كبير من الجبهة يجب اراءته الى رئيسه الاعلى . على انني لمحت وميض تسلية ساخرة في عيني رومل عندما اعتذر (غاريبالدي) بوجوب انصرافه قائلا بلطف : « اشكركم لأعمالكم المدهشة . ان جميع التدابير التي اتخذتموها صحيحة كنت افعل مثلما فعلتم تماما لو كنت في محلكم »

وهكذا ذهب الطليان فزرنا بدون حلفائنا الرئيس الموقر « باخ » (٢) الضابط الاقدم في دفاعات مضيق (حلفاية) . وباخ هذا قسيس اصبح جنديا محاربا ثم ترفع الى رتبة رئيس اول واضطر في كانون الثاني ١٩٤٢ على تسليم القطعات الالمانية في الحلفاية الى امير اللواء (دي فيليرس)

---

(١) اي « نعم . نعم » بالايطالية « المعرب »

(٢) كان هذا قسيساً تطوع في الجيش الالماني وكذلك يلقب بـ (الموقر) « المعرب »

قائد فرقة جنوبي افريقيا الثانية .

ثم عدنا الى (البردية) فلمعت عينا رومل وقال بغتة وهو يبتسم بخبث « ليت شعري ما هو هذا الامر المستعجل الى هذا الحد في برقة » .

٥

وفي تلك الايام ترك (اهلميرت) هيئة ركن رومل وخلفه الرئيس الاول (وستيفلد) كضابط ركن لشعبة (١ آ) . ولكي يطلعه رومل على الموقف أعطاه شرحا وافيا عن الاغراض التي يتوقع انجازها قبل نهاية تشرين الثاني — وتتلخص هذه فيما يلي :

اولا - اكمال خط نقاط قوية تمتد من ممر (حلفاية) الى (سيدي عمر) وينبغي تجهيزها بمواد التموين التي تكفيها لمقاومة هجوم العدو مدة تزيد عن الثلاثة أسابيع .

ثانيا - شن هجوم مهيأ بصورة جيدة على (طبرق) بغية الاستيلاء عليها خلف حجاب هذه الجبهة الدفاعية .

« أجل (وستفيلد) » قال رومل وهو مستغرق في التفكير « ان ذلك يعني نصف سنة اخرى يقتضي خلالها ان نديم خطوط تموينا الى مواضعنا في (طبرق) والى خط الجبهة مارة جنوب (طبرق) . »

« نعم سيدي القائد ، لا مناص من ذلك على ما اعتقد . »

علق على ذلك (وستفيلد) من دون حماس . ويحتمل انه كان

يفكر كما كنت افكر أنا ايضا في النياسم المغبرة المـــارة حول نطاق (طبرق) .

فقال رومل :

« ان في وسعنا مع هذا ان نفعل شيئا في هذا الشأن » .

اضاف يقول :

« ما رأيك في تأسيس طريق ملائم حول (طبرق) فلا يهمنا عندئذ حرماننا من الطريق الساحلي المار من الميناء والذي حرمنا منه الآن هؤلاء الاستراليون الملاعين » .

فجوبهت خطة رومل بحماس وأصبحت مقررة بسرعة . وعقـدت المؤتمرات مع قواد الفرق الايطالية وبنتيجتها أمنت القطعـات بعد مدة قصيرة للبدء في تشييد طريق مزدوج ، وخصصت للعمل ايضا افواج المانية الا انها فضلت الواجبات في جبهة القتال على ذلك . وبعد الحاح متوال سمح لهـــا ان تحل محل الايطاليين الآخرين الذين كانوا في مواقع المعركة .

وقد جرى مسح الطريق وتأشيره بسرعة . وكانت توجد مقادير كافية من الحجارة في الصحراء الصخرية كما ان الرمل كان متيسراً

وبعد قليل بدأ (٣٠٠٠) ايطـالي يشتغلون بجد وحماس في هذا الواجب الذي يظهر انه كان يلائم قابلياتهم بصورة مدهشة . وعندما كنت أتنقل بعدئذ على الاقسام التي اكملت من الطريق لم أعد أتعجب

حينما كنت أرى قناني « شيانتي »(١) الكبيرة وتأسيسات الحلاقين .

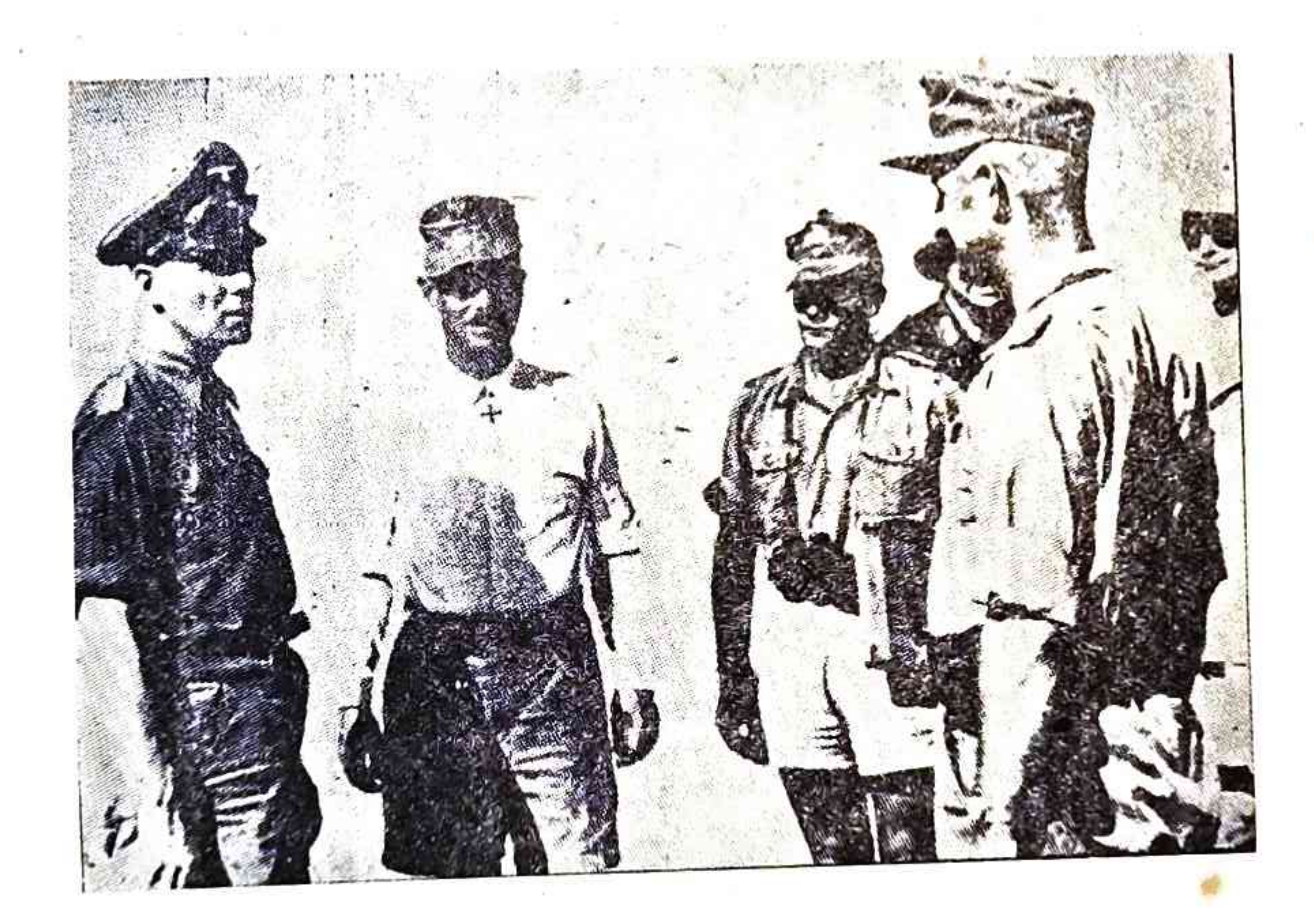
وجرى اكمال الطريق في ثلاثة اشهر . فقام قائد ايطالي باجراء مراسيم الافتتاح الرسمية وسماه (اخسيدستراسه) أي (طريق المحور). وأصبح هذا الطريق منذ ذلك الحين حتى نهاية ٩٤٢ من علائم الحياة في الصحراء بالنسبة لكلا الطرفين واعتقد انه لا يزال مستعملا في (برقة) اليوم .

---

(١) وهو شراب ايطالي مشهور (المعرب)



رومل يناقش الهجوم المنتظر على طبرق مع جماعة من الضباط الاحداث
المؤلف واقف في اليسار



رومل مع الرئيس الاول الوقور (باخ)

الباب الحادي عشر

رسائل القائد

تقع (البردية) على حافة منحدر سحيق يطل على البحر المتوسط ولها خليج بعيد عن اسفل جانبها الشرقي يكاد يكتنفه البر من جميع الجهات . وكان هذا الخليج ملجأ للقرصان القدماء قبل آلاف السنين . واستطيع أن اتصور ان (البردية) في وقت السلم مكان مريح ومؤنس . وقد وجدها رومل مقراً متقدما جيداً لأنها تؤمن الراحة بعد العمل الشاق كما انها كانت تناسب قائداً يعتقد بضرورة التماس القريب مع قطعاته .

وجاءتنا بعض التقويات . فتم تأليف فرقة ثالثة من قطعات مختلفة الانواع فسميت بالفرقة الخفيفة الـ (٩٠) ولكن هـذا التشكيل كان بـلا وسائط نقل واعيد تأسيس الفرقة الخفيفة الخامسة باسم الفرقة المدرعة الـ (٢١) وصار يقودهـا الآن امير اللواء (فون رافنشتاين) بدلا من (شترايخ) . وقـد تولى امير اللواء (فون ابزبيك) ابن عم صديقي المراسل الحربي قيادة الفرقة المدرعة الـ (١٥) إلا انه جرح بعد أيام قلائل اثناء غارة بريطانية قرب عكرمة .

وهكذا تكونت العناصر الرئيسية لفيلق افريقيا من الفرقتين المدرعتين الـ (١٥) والـ (٢١) والفرقة الخفيفة الـ (٩٠) وقد نال هذا الفيلق شهرته الواسعة بهذه الفرق .

كنا في (البردية) وكأننا في بيوتنا ولم يزعجنا شيء حتى عندما علمنا

ان جماعة مغيرة من البريطـانيين نزلت اسفل الجرف في الشاطىء الذى كنا نسبح فيه . وقد قبض على اثنين من المغيرين ولكن الباقي هربوا على مايظهر .

وبعد أيام قـلائل بينما كنت و (بيرندت) نرافق القائد في تفتيشه الأرض القريبة من خنادق (البردية) في منطقتنا الساحلية الغربية التي كانت خالية من أي بشر واذا بنا نتعرض بغتة لنـار بنادق مصوبة تصويباً جيداً يرميها صيادون منعزلون . ولما كنا مسلحين بالمسدسات فقط فقد التجأنا الى خلف حائط حجري وبقينا مـدة نصف ساعة لانستطيع أن نرفع رؤوسنا بدون أن نسمع ازيز رصاصة تمر بقربنا . وعندما انقطع الرمي عدنا على عجل الى سياراتنا . وبعـد نصف ساعة رجعت مع (٣٠) جنديا لتمشيط المنطقة وتفتيش كل خنـدق فيها . فشاهدنا في كل مكان بطانيات عتيقة وقنابر يدوية ومتروكات أخرى يرجع تاريخها الى ماقبل الا ندحار الايطالي في كانون الأول . لكنـه كان من المستحيل ان نقرر فيما اذا كان أي من المحلات التي يمكن الاختفاء فيها والتي فتشناها كانت مشغولة قبل نصف ساعة . وتركنا البحث بعد ساعتين من التفتيش غير المثمر فقد اتضح لنا ان كل من ينوي الاختفاء في تيه هذه الصخور فانه يستطيع ذلك من غير ان يخشى الانكشاف إلا قليلا .

لقد كانت هذه هي المرة الثانية التي حاول فيها العدو ان يقضي على رومل . اذ كانت الأولى عندما كان مقرنا على الساحل غرب (طبرق) . وقد قبض على المغيرين على بعد بضع مئات من الياردات من عجلة رومل . وكان ذلك من حسن الحظ لأننا كنا جـد متهاونين في تأمين حرس

للمقر . فكان الحصول على رومل في ذلك الوقت سهلا كالحصول على ملازم في موضع ستاربل واسهل . وظننا في حينه أن الجماعة المغيرة كانت تنوي القيام بغارة تخريبية فقط . وفاتنا أن نعلم ان هدفهم كان القائد نفسه . ولم يتزعج رومل من غارة (البردية) بل ضحك وقال « لا بد ان اساوي كثيراً للانكليز » .

٢

وتحسن تدريجياً موقفنا من وجهة التموين فللمرة الاولى في الصحراء صرنا نستلم الخضروات الطرية من منطقة الجبل الاخضر ومن طرابلس ثم جاء يوم مشهود تناولنا في عشائه كبداً مقلياً بالزبدة وعندما نادى ضابط المطعم : « من منكم ايها السادة يريد نجدة ثانية من الكبد ؟ » استغربنا كثيراً من سخائه ولم يرفض أحد منا ذلك . الا انه عندما نادى في الوجبة التالية « من منكم ايها السادة يريد نجدة أخرى من كبد الجمل ؟ » اصابنا الوجوم . وكان رومل نفسه معتدلا في شهيته ولا يشكو من طعامه . وكان يعتقد بوجوب تناول الضباط نفس ارزاق الجنود ولذلك فلم نكن نأكل في اغلب الاحيان غير قليل من السمك المعلب ونوع رديء من (السجق) المعلب ثم الخبز و (الرجل العجوز) طبعا . وكان لايتناول من المشروبات غير قدح من الشراب وذلك في الظروف الخاصة فقط التي تستدعي أن يظهر شيئاً من لطف المعاشرة . ولم يكن يدخن مطلقا وفي الواقع كان وخصمه الداهية (مونتكومري) يتشابهان تشابها غريبا في نظرتيهما (الاسبارطية) للحياة . وكان يفضل النوم المبكر لكنه كان يستيقظ في حينه دوما ويشتغل بجد . وكان

يحب الصيد ويسمح لنفسه من حين لآخر فرصة صيد غزال في الصحراء . فكنا نرى عندئذ ان غريزة الصيد تبدو حقا عنيفة تحت مظهره الهادىء . ولم يكن له فيما عدا ذلك غير تسلية واحدة فقط ألا وهي (قتل الذباب) . ففي النهار كان يكرس جهوده ساعة الغداء لواجب تحطيم اكثر مايمكن من هذه الحشرات المؤذية بانتظام .

٣

كنت أنا وبيرندت نعيش في بناية صغيرة قرب مسكن رومل . وكانت هذه امام الجرف تماما واشتهرت بانها كانت اصطبلا في الأيام الغابرة .

وبدأت اتعرف على (بيرندت) جيداً في تلك الايام . فوجدته منهمكا اكثر مما يظنه الناس في سبيل شهرة رومل التي كانت في اتساع مستمر فكان ينتهز الفرص ليمهد السبيل لأخذ تصاوير (ثعلب الصحراء) بغية نشرها في المانية والممالك المحايدة . وكان رومل نفسه كما يشهد بذلك المراسلون الحربيون يبيح لنفسه بأن يصور . فقد لاحظت انه يقف عمداً في وضع يساعد المصور على أخذ صورته بشكل سهل وملائم .

واصبحت أنا وبيرندت صديقين بالرغم من اختلافاتنا السياسية . وكان هذا الرجل الضخم برأسه الكبير المنحنى يذكرني بالدب . وكان في حديثه هدوء وثقة إلا أن خياله كان أقل رزانة ووقارا . ولم تكن تقاريره عن اختياراتنا — او بالاحرى عن اختياراته — صحيحة تماما على الدوام . وبالرغم من أنه كان يرتدي البدلة العسكرية للازم اعتيادي فقد كان يحب ان يظهر انطباعا بانه لازال شخصية مؤثرة في وزارة

الدعاية . فهل كانت تلك ياترى رغبة منـه لنيل الشهرة فحسب أم أنه كان حقا رجلا ذا شأن كبير ؟

وفي ذات يوم اسر الي انه ارتدى في وقت ما البدلة (الجيكوسلوفاكية) ودبر حوادث الحـدود التي كانت توصف في حينه رسميا بأنها (استفزازات ضد الالمان) . ولا شك أن القارىء يعلم ماحدث بعدئذ . ولكنني كجندي لم اكن قد سمعت حتى ذلك الوقت عن اية حوادث دبرت عمداً . ولو كنت قد سمعت ذلك فلابد وانني كنت اشجبها على اعتبار انها دعاية محضة لفقها اعداء المانيا ولا ينبغي الاهتمام بها . لذلك صعقت لما تبجح (بيرندت) وعلقت بصراحة على ما اخبرني به قائلا :

« انني اعتقد ان هذا ليس عمـلا دنيئا فحسب بل وخطراً أيضا اذ لو كان قد فشل لالقى الجيكوسلوفاكيون ذنب التحريض الحقيقي على الالمان انفسهم . »

وفقد (بيرندت) هدوءه الاعتيادي فصاح بي غاضبا « (شمت) ، انك مثال لكثير من الالمان التعساء الذين بنوا آراءهم على الذهول الاحمق الذي مرده العاطفة » . ثم اضـــاف قائلا « ينبغي لنا ان نطبق الشعار الانكليزي القائل (بلادي قبل كل شيء خطأ أم صوابا) » ولم اكن سمعت هذا المثل من قبل ففكرت ان (بيرندت) يحاول تحريفه على كل حال . وزدت في غضبه بقولي أن الاساليب التي اتبعها لم تكن خدعة للممالك الاخرى فحسب بل وللأمة الالمانية ايضا وخاصة القطعات .

فنظر الي (بيرندت) باسف وقال « اجل — ليست السياسة من اختصاص كل انسان » ولغرض الوئام اتفقت معـــه « قائلا

« صحيح » — ولكن بينما كان هو يطبق هذا القول علي كنت أنا بدون ان اتكلم اطبقه عليه .

وبالرغم من هذه الخصومات عشنا حياة هادئة — شبيهة بحياة عائلة كلها من الذكور — بقدر ماتسمح به حالات الحرب . على انه حدثت بعدئذ تغيرات لم تبدل حياتنا الاعتيادية فحسب بل جعلتني اقترب الى رومل اكثر من قبل بكثير .

فلم تكن بنية (الدنجر) قوية كرومل ولذا تدهورت صحته واضطر بقلب كسير على ان يتخلى عن منصبه كمساعد أيمن لرومل وموضع ثقته سنوات طوالا ، فترك شمال افريقيا عائداً الى اوربا .

وسلمت واجباته لي فانتقلت الى الغرفة المجاورة للقائد .

وطلب (بيرندت) أيضا (اجازة واجب) ليعود الي برلين ويلتحق مدة ستة اشهر بوزارة الدعاية تحت امرة (غوبلز) .

وهكذا ازدادت مسئولياتي الى حد كبير فاصبح من ضمن واجباتي الشخصية اعداد الاستحضارات للجولات اليومية للجبهة ووضع تفاصيلها . فكان علي أن اسجل كتابة وبدقة تامة كل رغبة يبديها القائد وكل امر يصدره . وكان علي بالاضافة الى ذلك ان ادون مذكرات لانهاية لها عن الاوقات المضبوطة والاسماء والاماكن وقوة الوحدات والخ . .

وكنت اقضي الامسية اعمل كسكرتير خاص . وبالرغم من أن رومل لم يكن في تلك الايام قد بلغ قمة شهرته بعد فقد كانت تصله يوميا من ثلاثين الى اربعين رسالة من جميع المقاطعات ومن مختلف الطبقات في المانية . وكان كثير منها يأتي من اولاد يعبدون الابطال إلا أن معظمها كان من البنات والنساء اللواتي كن يبدين هيامهن برومل .

وكان الجميع يطلبون التصاوير في الغالب . ولتلبية هذه الطلبات احتفظنا بعدد كبير من تصاوير رومل التي كانت بحجم بطاقة البريد والتي اخذها (هوفمان) مصور هتلر الرسمي في (مونيخ) . وكانت تأتينا منها بانتظام المقادير اللازمة للتعويض عن المصروف . وكان رومل يذيل كل تصوير ارسله بتوقيعه الشخصي .

وكان علي أيضاً أن اجيب بنفسي على الرسائل التي تأتي من معارفي رومل البعيدين . ولم يكن ذلك سهلا دائماً اذ لم اكن اعرف كاتبي هذه الرسائل ولا درجة معرفتهم لرومل . على ان وقتي كان اضيق من أن اضيعه في معرفة هذه التفاصيل . ولذلك سرعان ماهيأت عدداً من الأجوبة الخطية المطبوعة فكانت هذه تصدر من مكتب القائد بصورة رتيبة . اما الاجوبة الاخرى فكنت املها على كاتب الاختزال النائب العريف (بوتشر) .

وكنت اسلم الى (بوتشر) عدداً من الرسائل واقول له : « ثمانية عشر ولداً وفتاة يريدون تصاوير — ارجو احضارها حسب الاجوبة الاعتيادية » . ثم اسحب رسالتين اخريين فأقول : « وهاتان الرسالتان من اثنين من رفاق رومل في الحرب العالمية الاولى — ارجو ان تبدأ جوابيهما بـ : عزيزي (ميرتنس) اقدم لك جزيل شكري لرسالتك المؤرخة . . . . . . » وهكذا استمر بها باسلوب اقلد فيه طريقة رومل على قدر استطاعتي . على ان رومل كان يدقق هذه الرسائل دوما وكان لا يوقعها ان لم تتفق مع الحقيقة ، وكنت أتسلى دائما عندما يوقع رومل الرسائل إذ أرى طرف لسانه يبرز ويعقب بشكل مضحك في الهواء سير قلمه عندما يكتب حرف (ر) الكبير في توقيعه .

وأجد بين الرسائل حيانا رسالة اعرف صاحبها فأقول « آه — رسالة اخرى من (دى آلته شاخيتل) اي (العجوز الساحرة) من (ليبزغ) . »

كانت هذه المراسلة التي يظهر انها امرأة في اواخر سنها ، تذيل رسائلها دوما بعبارة (العجوز الساحرة) . وقد بدأت مكتوبها الاول بقولها : « زير كيرتر هير كنرال » اي « سيدي القائد ذا المجد العظيم .... » غير انها استهلت مكتوبها الخامس قائلة « اعزائي رومل ورجال رومل ... » وكانت تكتب عادة من صميم قلبها ولم يكن لها رادع ولا حرمة للاشخاص ذوي المراكز العليا فكانت تقول : ان (هانس فريتش) مشغول ثانية في الراديو — انني لا احتمل ثرثرته وسخريته اللاذعة » لكن رسائلها كانت تحتوي دوما على كثير من الاخبار المسرة . وبالرغم من انها كانت تعنون الى رومل نفسه فانها كانت تؤنسنا جميعا . وقد اتفقنا على انها على غرابتها تملك بلا شك روح العجوز الساحرة .

وفي ذات يوم وصلت الينا منها رزمة من الكتب . فطلب مني رومل ان آخذها الى القطعات المرابطة في (حلفاية) ، وقد فحصت الكتب اولا فسررت لأني وجدتها تحتوي على (ادب تافه) من النوع الذي حكم عليه اولئك الذين سيروا الرايخ الثالث بأنه يصلح لايقاد النار او للدمقراطيات المتدهورة . ثم اجد رسالة ثانية تبدأ كما يلي : « اننا فخورون بكم جداً يا اخي الشهير » فاسلمها الى رومل بدون ان اقرأها مفترضا انها جاءت من اخته .

وقد وجدت ان الرسائل التي تأتي من ابناء وطن رومل

(السوابيون) (١) متعة بصورة خاصة اذ انها تكشف بوضوح صفات الاخلاص والطاعة والشجاعة العالية التي تجعل من هؤلاء الناس جنوداً ممتازين . غير ان للسوابين عيبا واحداً حسبما رأيت ، فهم يفتخرون اكثر من اللازم بمنطقتهم اذ كنت اقرأ مثلا رسالة فيها ما يلي : « قرأنا بسرور عن انتصاراتكم . انه عظيم وايم الحق ان يقود (سوابياً) فيلق افريقيا وقد سمعنا ان نسبة كبيرة من قطعاتكم (سوابية) ايضا . أجل ان هذا لدليل على ان (السوابيين) هم خير الجنود .. » وكنت احاول ان اجيب هؤلاء (السوابيين) المتحمسين بأقصى ما يمكن من اللباقة فاذكر لهم بلطف ان جميع المقاطعات الالمانية ممثلة في فيلق افريقيا حتى الـ (ساوبر ويسن) الخنازير الروسية . وقد تردد رومل قليلا وهو يبتسم قبل ان يوقع هذه الرسالة .

كان ضابط الركن الاقدم يشرح في دائرة رومل كل مساء خلاصة حوادث اليوم في روسيا . وكانت خارطة موقف كبيرة قد علقت على الحائط لهذا الغرض ، وكان رومل يهتم بصورة خاصة بسير حركات الفرقة المدرعة السابعة (فرقة الشبح) وهي فرقته السابقة التي كان من دواعي فخره انها تبرز بوضوح من بين رؤوس الرماح في الاندفاع نحو موسكو .

ومن الطبيعي انه ابدى اهتماما عظيما عندما احتلت قطعات المظلات المحورية جزيرة (كريت) إذ ان ذاك مما امن لله (لوفتوافه) (القوة

---

(١) سوابيا منطقة في جنوب غرب المانية على جانبي الغابة السوداء وبين (نيكار) وبحيرة (كونستانس)

الجوية الالمانية) قاعدة ملائمة للحركات ضد العدو في الصحراء والشرق الاوسط بوجه عام . غير انه كان يعتقد انه لو احتلت (مالطة) لكان لها تأثير اعظم إذ ان هذه الجزيرة الصغيرة كانت خلال حملة شمال افريقيا كلها تهدد باستمرار شحناتنا البحرية الحيوية . فهل كانت بريطانية تكسب الحرب في شمال افريقيا لو هوجمت مالطة واحتلت في ١٩٤١ ؟ لا أظن ذلك .

الباب الثاني عشر

يوم في الجبهة

كان رومل يؤسس جبهة (السلوم) باهتمام شديد . دعني اصور لك ما يعنيه ذلك في حياتنا اليومية .

كنا نتحرك في الساعة السابعة قبل الظهر تماما للقيام باحدى زياراتنا المعتادة للجبهة . ونظراً لقصر المسافة كنا نترك (الماموث) في المقر ونتحرك بسيارتين مفتوحتين وسط الغبار المتصاعد ، فنجتاز المدخل الوحيد لمقر فيلق افريقيا فيهبط العجيج خلفنا ثانية ويحيينا الحارس . ومنذ ذهاب الدنجر كنت اركب مع رومل فيجلس هو في الامام مع السائق واجلس أنا في الخلف مع الدكتور (هاكمان) المترجم .

ونسوق مارين بـ (كابوزو) وعبر ثغرة في مانع الاسلاك الشائكة على الحدود فنتجه بسرعة نحو الصحراء مبتعدين عن مواضعنا الامامية مسافة طويلة . وفي الارض الحرام كنا كثيراً ما نلمح في الافق سيارات دوريات العدو ، ولم تكن هذه الدوريات تقدر عظم هذه الغنيمة التى تتحرك على مرأى العين من نواظيرها .

ويدرس رومل مواضعنا من نقاط مشرفة في جانب العدو ويفحصها في منظاره بدقة تامة كما يستعمل العالم مجهره . ثم ينفخ من منخاره دلالة على انه رأى شيئا لا يسره . فنقفز بالسيارة ونتجه رأساً الى النقطة القوية التي لاحظها ويظل هو واقفاً اثناء سير السيارة . وعند وصولنا يحدق الحارس في رومل بعينين مفتوحتين فيصيح به القائد « لماذا

لا تؤدي التحية » فيستعد الجندي فوراً وهو منذهل وقد انعقد لسانه .

« أين هو آمر الستار ؟ » يسأله روميل بغضب .

« انه نائم يا سيدي . . . ار . . . الرئيس الاول » يجيب الحارس بتلعثم . انه مستجد حديث في الجبهة ولم ير روميل من قبل . ثم ان علامة الرتبة تشوشه فيظن ان اي شخص بهذه السلطة لابد وان يكون برتبة ضابط في الميدان فيقامر على رتبة رئيس اول .

« ياهير سولدات » (نعم يا حضرة الجندي) — يقول ذلك روميل بسرعة ثم يضيف الى ذلك « يظهر ان الجميع هنا نائمون . ايقظ هذا السيد رجاء . »

ولا يحتاج الحارس لأن يتحرك اذ يبرز من مدخل احدى الملاجيء القريبة وجه ضابط صغير وقد تورد خجلا . وعندما يرى القائد يستعد برشاقة ويؤدي التحية العسكرية ويخبر قائلا : « ستار (فرانك) — لا شيء يستحق الاخبار »

« كيف تعلم ذلك يا حضرة الملازم» يصيح به روميل « لقد كنت نائما بل ونوماً هنيئا ايضا . » ليس لدى الملازم ما يقول — فتحصل فترة سكون . فيقول روميل : « يا حضرة الملازم ان موقعك لا يدار حسب تعليماتي فملجؤك ظاهر اكثر من اللازم . والموقع غير مغشوش وجنودك يتحركون يمينا وشمالا وانت نائم . سأعود غداً وأتأكد من انك قد أنجزت جميع مطاليبي . انعم صباحا يا حضرة الملازم » . ثم يؤشر روميل للسائق بأن يسوق ، ويثبت الضابط الصغير في البقعة التي فيها من دون حراك ويمضي روميل قبل ان ينطق هذا بعبارة « أمركم يا سيدي القائد » .

فاذا كان قد فكر مرة ان صحراء شمال افريقيا مكان خيالي فلاشك انه اصيب الآن بصدمة عنيفة .

ويجري تمييز سيارتنا قبل وصولنا الى موقع الستار الثاني المسمى (كوا) . فاذا بالنقطة القوية منتبهة ، والملازم الذي يقودها متيقظ . فيتبدل سلوك رومل تماما إلا انه يلقي مع ذلك موعظة قصيرة فيقول : « موضع منتخب بصورة حسنة وتوزيعات جيدة . ان هذا على جانب عظيم من الاهمية إذ اننا لا نستطيع ان نعتمد على الصدف وان معضلة مرور خطوط تموينا فوق البحر المتوسط مما تجعل من الصعب علينا تأمين التجهيزات والارزاق للقطعات اكثر مما لدينا الآن في افريقيا .

ولهذا السبب ينبغي لنا ان نستفيد استفادة تامة من العوارض الطبيعية وأي شيء آخر في متناول ايدينا ، ويجب ان تكون نقطة قوية جيدة واحدة معادلة لاثنتين منتخبتين من دون مبالاة ومشغولتين بغير اهتمام . . . » « نعم يا سيدي القائد » يقول الملازم ذلك مؤيداً .

« كيف حالكم من وجهة العتاد والتموين ؟ »

« لدينا كثير من العتاد يا سيدي القائد وطعام لثلاثة ايام »

« لثلاثة أيام ؟ يا صديقي انكم تحتاجون الى مؤونة تكفي لثلاثة اسابيع . ولكن . . . لا بأس سننظر نحن في ذلك » .

وبعد ان يشكره باختصار يستمر رومل في طريقه

وفي كل ستار كان ينزل من سيارته ، وبالرغم من ان سنه كان ضعف سني تقريبا فلم تظهر عليه أية علامة تعب. أما أنا فتغدو رجلاي موجعتين وثقيلتين كالرصاص اذ ان السير على الرمال متعب ، وكان علي

ان ادون ملحوظات لا نهاية لها وان اكتب كل طلب وكل أمر وكل ملحوظة ، وعندما نعود يجب علي ان اخبر رئيس الاركان او ضابط الركن الاقدم بكل ما يهمها .

وكنا نزور احد مواقـع التصنت اللاسلكية التي كان لنا منهـا موقعان في جبهة السلوم وبينها مسافة معلومة . وهذان الموقعان ينظمان موجيتها على امواج العدو ، ثم يأخذان الاتجاه على موجدات الاتجـاه الهوائية وبواسطة المثلثات يثبتان بدقة مكان محطات الارسال الثابتـة والسيارة للعدو . وأخبرنا المتصنت في احد الموقعين ان التقاطعات تدل على ان العدو ينقل محطاته اللاسلكية شمالا نحو البحر . « لا غرابة ان يفعلوا ذلك في هذا المناخ » يقول رومل ذلك مبتسما ثم يضيف قائلا : هل تتصور ان الانكليز لا يحبون الاستحمام في البحر »

وكنا نزور (الحلفاية) غالبا ، وقد جئنا اليها في هذا اليوم بعـد جولة طويلة للستارات ، وجاء الرئيس الموقر (باخ) لملاقاتنا وهو يعرج مستنداً على عصا ولم يكن يسمح لضابط غير (باخ) ان يستعين بعصا اثناء المشي وقـد سمح له بذلك لأنه تخطى حدود الشباب ، وكقس في الحياة المدنية كان جنوده يحبونه لاعتنائه في معاملتهم ، وبالرغم من وظيفته غير العسكرية في وقت السلم فانه ادار قاطعه بمقدرة فاقت مقدرة كثير من الضباط المحترفين ، وكان رومل يوليه اعظم اعتبار

كانت الحلفاية مسرح قتال من قبل ، وقـد شعر رومل بأهميتها السوقية الواضحة إذ انها تسيطر على الطريق الساحلي من مصر الى برقة واذا حرم العدو من الطريق المـار من السلوم والحلفاية فانه يضطر الى الابتعاد جنوبا في الصحراء اذا اراد القيام بهجوم على (برقة)

لذلك كان رومل يقوي هذا القاطع بأسرع ما يتمكن وقد ارسل اليه قبل مدة قليلة عناصر من الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) التي لا زالت غير سيارة نظرا لنقص نقلياتها .

وكان (باخ) قد دعى قبل برهة آمري سراياه للحضور في مؤتمره فانتهز رومل الفرصة والقى عليهم كلمة موجزة عن التعبية قائلا :

« ايها السادة ان احسن شبيه للقتال في الصحراء هو المعركة في البحر . فكل من كانت لديه اسلحة ذات مديات ابعد كان ذراعه اطول كما هي الحال في البحر تماما . وكل من كانت لديه قابليـة حركة اعظم لكفاءة آلياته وخطوط تموينه فانه يستطيع بحركاته السريعة ان يرغم خصمه على ان يعمل وفق رغباته . »

« ان قطعاتكم هنا في ممر (حلفاية) ليست سيارة ولا تكون لها قيمة ضد القطعات الآلية الا اذا كانت في مواضع قوية ومهيأة بصورة جيدة . وفي مثل هذه الحالة أيضاً تظهر مزية (اليد الطويلة) .

اننا نتمكن ان نؤمن ذلك بمدافع ٨٨ ملم وبما ان قطعاتكم غير سيارة فمن الضروري أن يكون لديكم احسن ستر مهيـأة واحسن غش ممكن واحسن ساحة رمي لمدافع ٨٨ ملم والاسلحة الاخرى . »

ووقف رومل هنيهة ثم استمر يتكلم بفعاليته الخاصة قائلا : « انني أنوي احتلال خط دفاعي طويل يمتـد من البحر الى (سيدي عمر) . ويجب أن تكون مواضع السعارات الى حد قوة سرية ؛ متباعـدة حتما تباعداً مناسباً . »

« ولكن ينبغي أن ينظم الخط كله بعمق كاف الى الخلف . »

« ويجب أن تؤلف كل نقطة مدافعة نظاما دفاعياً كاملاً قائماً بذاته . كما يجب أن يكون موضع كل سلاح مساعداً على الرمي في جميع الجهات واني اتصور التدابير المثالية للنقاط الدفاعية هذه كما يلي : —

« يجب ان يغور في الارض مدفع واحد عيار ٨٨ ملم ضد الطائرات الى اعمق ماتسمح به ساحة الرمي . وتحفر من موضع المدفع خنادق الى ثلاث جهات وتنتهي بثلاث نقاط احداهما موضع رشاشة وثانيهما موضع هاون ثقيل والثالث موضع مدفع ٢٢ ملم خفيف ضد الطائرات او مدفع ٥٠ ملم ضد الدبابات . ويجب ان تتيسر في الموضع دوما ماء وعتاد وارزاق تكفي لثلاثة اسابيع ويجب أن ينام كل جندي وهو جاهز للقتال . »

ثم استمر رومل في موضوعه وهو متحمس :

« ايها السادة ، سأذكر لكم كلمة مختصرة عن تعبية المعركة . في حالة هجوم العدو يجب ان تستر نيران اسلحتنا الثغرات التي بين النقاط الدفاعية سترا تاما . فاذا نجح العدو في اختراق الثغرات نظرا لرداءة الرؤية مثلا فيجب أن يكون كل سلاح في موضع يستطيع منه مشاغلة العدو من الخلف . وليكن واضحاً انه ليس من الصحيح ان تستهدف القطعات (الاتجاه) الى (الجبهة) بل يجب أن يكون (الاتجاه) دوما نحو (العدو) . »

ثم أضاف الى ذلك قائلا « يحتمل أن تقرر الدبابات والوحدات الآلية المرابطة خلف الجبهة النتيجة النهائية للمعركة فى حالة هجوم العدو . ولكن ليس من المهم ان تتقرر هذه النتيجة لأن المعركة تكسب عندما يتحطم العدو . تذكروا شيئاً واحداً : يجب أن تثبت القطعات المدافعة في

مواضعها بصرف النظر عما يحتمل ان يحدث في الموقف العام . اذ أن دباباتنا وتشكيلاتنا الآلية سوف لاتتخلى عنكم حتى وان لم تروها عدة اسابيع . . اشكركم ايها السادة . »

وانصرف الضباط . فرافقنا (باخ)عندما ذهبنا لزيارة بطرية ايطالية وهنا أيضا اهتم رومل بتموين العتاد . وقد ترجم الدكتور (هاكمان) حديث رومل مع الطليان لكنني لاحظت انه ينتبه بسرعة عندما لاتعبر الترجمة بدقة عن مقصده . ولا شك انه كان يعرف شيئا من الايطالية الا أنه كان لايريد أن يدرك الايطاليون ذلك .

واذكر في ذلك اليوم أن العدو قصفنا من الشرق عندما كنا نسوق في (مضيق نار جهنم) متجهين نحو السهل الساحلي . وقد خمن القائد ان النار آتية من المدافع الذاتيـــة الحركة (١) التي ارسلها العدو موقتا الى الأمام .

ولاحظ رومل في بعض النقاط الدفاعية في السهل الساحلي المنبسط ان الدبابات البريطانية العلامة (٢) المستولى عليها قد اغطست في الارض الى عمق يجعل ابراجها فقط تظهر فوق سطح الارض . فسر كثيراً بهذا الاستخدام الماهر لدبابات العدو وتابعنا المسير ونحن نشعر بحبور شديد . ولما وصلناالشاطيء اقترحت (غطسة) في البحر . ولم تكن لدينا سراويل سباحة ولكن من ذا الذى يهتم بذلك فى الخط الامامي من الصحراء . فغطست أنا ورومل في مياه البحر المتوسط الباردة التي كان لها بريق زاه (كالشمبانيا الزرقاء) . ورش رومل الماء على جسمه بخفة روح

---

(١) وهي مدافع تركب في ابدان الدبابات .

تلميذ مدرسة . وصعدنا الى المضيق الحلزوني متجهين نحو ثكنات السلوم الواقعة على حافة المنحدر . وفي منتصف الطريق الصاعد رأينا المهندسين ينسفون ثقبا يشبه النفق في السفوح الشديدة الانحدار ليضعوا فيه مدفعا ايطاليا للدفاع عن الساحل . فوقفنا نفحص العمل — واستعدار رومل كالعادة يسبر بناظوره الشرق المبهم الذي فيه العدو .

وهكذا كنا نعود خلال الغبار الى البردية قبيل المساء . ولم نكن نتناول طعاما طوال النهار ولكن كتلا من اعمال الدائرة كانت تنتظرني . اما رومل فكانت تنتظره الواجبات الجسيمة التي تراكمت على الارض والتي لا يتخلص منها حتى القائد في الميدان .

واذن فهذا هو يوم نموذجي من حياة رومل .



الباب الثالث عشر

تكوين الجحفل المدرع

في اواسط سنة ١٩٤١ حصلت تبديلات في القيادة الايطالية العليا في افريقيا . وحل الفريق (باستيكو) محل الفريق (غاريبالدي) الظريف .
ووردت الى (البردية) رسالة لاسلكية جفرية توعز الى رومل بأن يراجع باستيكو في (برقة) على الفور . ووصلنا الى (برقة) في اليوم التالي بعد رحله طويلة انهكت قوانا واتربت اجسامنا ، وقد اضطررنا طبعا الى اجتياز (طبرق) من الجانب . وشعرنا نحن الذين كنا قد اعتدنا الحياة في البيت الصغير المهدم في (البردية) كأننا ندخل قصراً امبراطوريا فخما عندما اجتزنا متنزها جميلا ودخلنا في بناء كبير اعمدته من الرخام .

كان من دواعي سرورنا ان نكون في (الجبل الاخضر) . فللمرة الاولى منذ اشهر طوال لم تر اعيننا الشمس والرمل والذباب بل شاهدت حقولا خضراء وسحبا جميلة تتهادى في السماء وتلالا مشجرة بل وحتى النساء الجميلات .

الا انني ورومل شعرنا بتكلف في هذه القاعات المرمرية والمحيط النضر اذ كنا متربين ، عرقى ، وكانت عجلاتنا قد غدت كالغربال من ثقوب الرصاص وتراكمت عليها الاوساخ منذ اشهر في الصحراء . وشعرت ان هيئة الركن الايطالية شعرت ايضا باننا لم نرتح لهذه الحياة . وطلب رومل حالا مراجعة (باستيكو) غير ان القائد الايطالي هذا

لم يجد وقتا ليقابله فيه الا بعد مضي نصف ساعة . وبعد ان اجتمعنا فترة قصيرة خرج رومل من غرفة (باسقيكو) معكر المزاج فصرنا ننعت باستيكو فيما بعد بـ (بومباستيكو) [١] .

وكان رومل في ذلك الوقت قد نال قيادة أعلى وسلطة اوسع من قبل ، اذ كانت قد وصلت الى (برقة) مجموعة مقر جديد من الضباط الالمان . فلما استوضح عنها رومل قيل له في باديء الامر ان هيئة الاركان هذه قد خصصت لجحفل مدرع تقرر جعله « تحت تصرف فيلق افريقيا الالمانى . »

ولاحظت أن رومل كان يفكر في المقصد الحقيقي الكامن وراء هذه الحركة — فهل ستعمل هيئة الاركان الجديدة هذه باتصال مباشر مع القيادة الالمانية العليا او يقصد بها ان قائداً المانيا اقدم سيشمل فيلق افريقيا تحت قيادته الواسعة ؟

ولقد اتضح الموقف خلال زيارة برقة . وبينما كنت انتظر رئيسي تعرفت على عدد من ضباط هيئة الاركان الجديدة . وكان احدهم ضابط خفر طويل القامة نحيفها يدعى الملازم (ديكمان) فحياني بمودة يبدو عليها السمو وفيها شيء من التنازل مما جعلني اشعر اكثر من ذي قبل بأننا ذوي الاجسام الخشنة الآتين من الجبهة ينظر الينا في هذا الجو الملطف كمخلوقات بلهاء وان كانت حسنة النية . على ان رومل التقى بعد رؤية باستيكو بامير اللواء (كاوزه) رئيس هيئة الاركان التي وصلت حديثا . وكان هذا رجلا لطيفا ومحترما وذا وزن وقوة فأوضح بجلاء تام ان هيئة الاركان الجديدة يجب أن تلتحق برومل .

---

(١) أي (باستيكو) الشبيه بالقنبلة .

وهكذا اتضح انه سيتكون جحفل افريقي مدرع اعتباراً من آب ١٩٤١ بقيادة رومل ، وانه سيشتمل ، لأسباب عمليــة ، على الفيلقين الايطاليين المرابطين خارج (طبرق) علاوة على فيلق افريقيا الالمـاني الذي سيقوده الفريق (كروبل) بتوجيه من رومل

وبالرغم من خلق قيادة عليا جديدة فان قوتنا في الصحراء لم تعزز الا قليلا ، بل لقد بدأ واضحا اننا لا نتوقع الحصول على تقويات كبيرة الا بعد مدة من الزمن ، وكان رومل نفسه يلح على وجوب تقويــة خطوط تموينه في الصحراء الى درجة تكفي لادامة خدمات مناسبة للفرق الالمانية الثلاث الحالية قبل نقل أية قطعات المانية محاربة الى افريقيا

وفي خلال اشهر الصيف الحارة أسست جبهة (السلوم) كما أمر به رومل .

وقد تم وضع مدافع الدفاع الثقيلة في مواضعها وزرعت حقول ألغام اضافية . وعندما اكملت هذه الاستحضارات ركز رومل جهوده في جبهة (طبرق) فأجرى استحضارات منظمة للقيام بهجوم عليهـا في اواخر تشرين الثاني . وقد امر قطعات بعض القواطع ان تحتل مواضع في الامام وجرى تشييد مواضع ستارات معركة جديدة امام الخط الحالي ليلا بالرغم من الغارات التعرضية للدوريات الاسترالية ، وقد تقرر احتلال هذه المواضع عند اكمالها .

ونوى رومل في هـذه المرة ان ينمي قاطع (ميداوا) وان يشن هجومه على قاطع (الدودة) في الجنوب الشرقي — وهو القاطع الذي كنت احبذه دوما

وقـد عالجنا نقص المعلومات الذي كنا نعانيه في شهري نيسان

ومايس عن طبيعة دفاعات العدو — بالجهود التي بذلناها في احضار التصاوير الجوية ، وتم دراسة كل تصوير بدقة متناهية وجهزت كل كتيبة وكل فوج ، وحتى كل سرية ، ستشترك في الهجوم بتصاوير مفصلة للمنطقة التي ستتجه اليها . وتقرر ان تتحمل الثقل الرئيسي للهجوم الفرقتان المدرعتان ، فسحبتا من الجبهة للراحة ولاجراء تدريب خاص. فعسكرت الفرقة الـ (٢١) بين (البردية) وطبرق وكانت كتيبة المشاة الـ (١١٥) من الفرقة المدرعة الـ (١٥) قد احتلت الخنادق الواقعة جنوبي غرب (طبرق) منذ وصولها قبل بضعة اشهر (وقد سبق ان أشرت مواضعها الى الفريق (باولوس) . فجرى سحبها من هذا القاطع غير المريح للاستجمام ولاجراء تدريب خاص قرب البحر في شرق (طبرق) وكان تأثير ذلك في اجسام الجنود فورياً وجلياً . فقد تمرض حالا نحو ٧٠ ٪ من جنود الكتيبة بأمراض مختلفة كالزحار والبرقان . وقلت فوراً قوتها الحربية التي كانت اعتيادية في خط طبرق الى درجة سيئة بحيث أصبحت قوة السرايا تعادل قوة الفصائل . ولتشتيت نيران مدفعية العدو أصدر رومل اوامره بانشاء مواضع كاذبة في مناطق غير محتلة واوعز بوجوب نصب مئات من المراصد الكاذبة المصنوعة من الخشب والجنفاص حول النطاق على ان يتم ذلك خلال اسبوعين .

واعتقد رومل ان هذه ستحمل الحامية المحاصرة على صرف مئات الاطلاقات من العتاد الثمين من دون ان تصيب قطعاتنا بضرر . وبعد ان يصرف العدو قنابله عبثاً تجري الاستفادة من بعض المراصد الكاذبة كمراصد حقيقية .

ولقد قدرت صواب هذه الخطة حينما وضعها رومل إلا انه عندما كان يبتعد عن الضباط كنت أجد المتذمرين منهم يقولون : « بحق السماء

يا (شمت) ! ما هذه الاشياء التى تخلقونها لنا ؟ انكم تطلبون منا ان نبني اثني عشر مرصداً في قاطعنا وحده ، فمن أين تتوقعون ان نجـد الخشب و (الجنفاص) في هذه الصحراء » . وكان رومل في جميع الاوقات وبخصة في تلك الآونة يطلب من قطعاته المبادءة والنشاط . فكان يدمدم قائلا : « ينبغي ان لا تجعلهم الحرب الموضعية ثابتين في مقاعدهم . »

ولكي يتيسر للهجوم أكثر ما يمكن من القطعات الالمانيـة النشيطة اقتضى ان يستلم الطليان الخطوط الدفاعية اينما كان ذلك ممكنا . وكانت اوامر رومل تقضي (ان تتمركز بضع سرايا المانية في بعض نقاط الجبهة لتكون كـ (مسند ظهر لباقي الجبهة) ولا ادري هل استساغ الطليان ذلك أم لا . على ان روملم يرد بذلك المس من شعور الطليان او التجبر عليهم — فقد سقنا بالسيارة ذات يوم على (طريق المحمور) عنـــدما كانت على وشك الانتهاء وكان رومل مسروراً حقا باعمال الطليان الذين شيدوا هـــذا الطريق . وكانت عجلة الماموث ترافق سياراتينا المفتوحتين المعتادتين لحمايتنا ضد هجوم العدو الارضي . وكان من بين جماعتنا ضابط ركن الفريق (كالني) الرئيس الاول (توزي) والملازم (تورين) والدكتور (فرانز) الذي حل محل الدكتور (هاكمـان) كمترجم لنا . فزار رومل رئيس اول ايطاليا بدينا كان يقود احـدى الافواج القائمة بانشاء الطريق وقال :

« قل له يادكتور (فرانز) انني مسرور جداً بالعمل الممتاز الذى انجزوه » فاضاء وجه الرئيس الاول المستدير سروراً بمديح رومل . وكان هذا شخصا مرحا خفيف الروح جعلنا نبتسم باستمرار . وسأله رومل فيما اذا كانت لديه شكاية . فأجاب هـذا الضابط وهو متهيج « سي سي سنيور كنيران (أي نعم نعم ياحضرة الفريق) الطعام ممل

جداً والشراب غير جيد » فنظر رومل الى هذا الشخص البدين القصير مبتسما بخبث ودمدم قائلا بهدوء « ومع هـــذا يظهر أن ذلك لم يضر بجسمك . »

٢

وعندما عين (كرويل) قائداً لفيلق افريقيـا وتولى رومل قيادة جحفل افريقيا المدرع ترك هذا جميع هيئة اركانه في (البردية) الى القائد الجديد ماعداي ومراسله (كانتر) والكاتب (بوتشر) . فذهبنا نحن الى الجبل الاخضر ونعمنا الفترة قصيرة بالحياة في محيط (بيدا ليتوريه) الاخضر البديع .

الباب الرابع عشر

كيف أثر رومل على هتلر

هل تتذكر (بيدا ليتوريا) الخضـراء في الجبل الاخضر ؟ . فاني اتذكرها بشوق قليل . غير ان رومل لم يحب هذا المكان بالرغم من البيت الصغير الذى هيأ له هناك والذي كانت تتيسر فيه جميع اسباب الراحة التي لا وجود لها في الصحراء . فلقد ابتعد عن قطعات الجبهة التي احبها مع استبداده بها .

أما الآن وبين يديه الجحفل المدرع فقـد اصبح وكأنه خاضع لمرؤوسيه . فللمرة الاولى كان لديه ضابطان من ضباط الاركان الممتازين كمساعدين مباشرين وقد برهنا بسرعة على فائدتها العظيمة له . وهذان الضابطان هما امير اللواء (كاوزه) رئيس الاركان وهو رجل هادي، قوي البنية وذو سجايا كريمة تحدث انطباعا لدى المقابل . وقد سبق ان نوهت عنه قبل هذا بقليل . والمقدم (ويستبال) وهو ضابط من الاركان العامة يقظ وكفوء وذو ضبط شديد . وفي وسعي ان افترض ان هـذين الضابطين يعادلان في المصطلح البريطاني امير لواء الاركان العامة وضابط ركن الحركات الأول (١) وان جحفلنا المدرع (الذى هو مصطلح مطاط) اضعف قليلا في المشاة من (جيش) بريطاني

---

(١) (Major — General General Staff)
و (G . S . O . I. Operation)

غير انه ربما كان اقوى منه في الدروع . ولا شك ان (جحفل افريقيا المدرع) لم يكن يوازي (جحفل جيش بريطانى) .

واستطاعت هيئة الاركان الجديدة ان تقنع رومل بدهاء ان قيمته الآن هي ليست بكثرة تماسه الشخصي بقطعاته في الجبهة بل بما يبديه من فعالية دبلوماسية ونشاط في الاشراف . ولقد اسفت بوصفي جنديا له ميل سابق للجبهة على هذا التطور الواضح خاصة وقد كنت شابا في ذلك الوقت كما يتذكر القارىء — لأننى اصبحت اعتقد تدريجياً اننا سنرى أقل مايمكن من ذلك اليوم الذى ستتمخض فيه الصحراء عن معركة عنيفة ، ولابد من حدوثها يوما ما ، اذ كنا من جانبنا نستعد اليها في الخفاء ولا شك أن العدو الذى نجابهه كان يستعد هو الآخر ، فان من يعرفه جيداً لا يستطيع أن يقول أنه كان ساكناً .

واقنع (كاوزه) و (ويستفال) القائد بلباقة أن (العلاقة) الجديدة مع الطليان — خاصة وقد صار الآن يقود عناصرهم الحربية الرئيسية في الميدان علاوة على قطعاته الالمانية — تتطلب بأن يسمح لنفسه بـ (البقاء في المقر) وانه يجب أن يركز اهتمامه على اعمال الركن اكثر من قبل تلك الاعمال التي ستكون لها في النتيجة الاهمية الاولى على ادامة علاقات طيبة مع حلفائنا .

وقد صار رومل و (كاوزه) صديقين نوعا ما إلا أن رومل لم يصبح صميميا حقا مع أي كان . وانني اذكر كثيراً من المحادثات الممتعة التي اطلعت عليها خلال سفراتنا المملة بين مقرنا والايطاليين .

فقد سأل (كاوزه) رومل ذات يوما قائلا « كيف اتصلت ياسيدى القائد بهتلر اول مرة » . فارهفت اذنى وارتمى رومل على مقعده متخذاً احدى اوضاعه التفكيرية النادرة ثم قال :

« كنت في الواقع ملحقا بمقر هتلر عندمالاحظني لأول مرة وكان قد مضى على وجودي مع اركانه مدة لايستهان بها كمقدم بسيط ليس الا . وكنت في الحقيقة اشغل منصبا صغيراً - يشابه منصب (آمر معكسر) لاحدى معسكرات المقرات هنا في افريقيا . وذلك يعنى انني كنت مسئولا عن النقلية وتدابير الأمن وغير ذلك من الواجبات التنظيمية المملة . »

« ثم حدث في احدى المناسبات المزعجة - في يوم من أيام الحرب - ان استلمت امراً من هتلر بأنه يرغب ان يغادر مقره في اليوم التالي بدون ان ترافقه اكثر من ست سيارات وانه يجب علي ان لا اسمح مطلقا لأكثر من هذا العدد لترافقه ، وفي اليوم الثاني عندما كان الزعيم على وشك ان يتحرك شاهدت الساحة التي امام المقر ملأى بالسيارات التي تحمل الوزراء والقواد وحكام المناطق والشخصيات العليا الاخرى - على انني كنت قد تهيأت الى حالة كهذه . »

« وعندما تحرك الرتل اذنت للسيارات الخمسة التي تبعت سيارة هتلر بالمرور ثم وقفت امام السيارة السادسة ، فوقفت طبعا وأخبرت راكبها بأوامر هتلر . فصرخ الراكب في وجهي - وكان وزيراً او ما شابه ذلك - وجأر على (وقاحة) مقدم بسيط يحاول ان يمنع اداريا خطيراً عن اداء مهمته التي تستند اليها مسئولية انجاز الواجبات في حاشية الزعيم بكفاءة . « انها لوقاحة والله ! »

« وقبل ان اسمح له بالذهاب اوضحت له بهدوء قائلا « انني لا استطيع ان امنعك من الذهاب ولكنك ستتعطل في تقاطعات الشوارع الثلاثة التالية بواسطة دبابتين » فاكفهر وجه الرجل غضبا وزجر بي قائلا : « يالها من وقاحة لعينة ! سأقدم تقريراً بهذا الامر الى الزعيم يا حضرة المقدم ».

وكنت قد وضعت دبابتين احداها في اليمين والاخرى في اليسار في كل من الشوارع الضيقة الثلاثة التي كانت تتقاطع في الامام وأمرتها بأن تسمح بمرور السيارات الست من رتل هتلر ثم تتقدم وجهاً لوجه عبر الشارع لتسده امام أية سيارة تمر ».

« ولاشك ان هتلر سمع بذلك من الشخصيات الكبيرة الغاضبة الذين وجدوا الدبابتين تعيقانهم على الطريق مرة بعد اخرى حتى ملوا من ذلك ، إلا انه بدلا من ان يوبخني استدعاني في ذلك المساء ليعرب لي عن تقديره إذ لم يكن يتوقع ان تنفذ أوامره بدقة تامة وان يكون حراً في التنقل كما شاء من دون أية مثقلات . وبعد هذه المقابلة الشخصية صرت أدعى اكثر من قبل الى حفلاته وكان يحدثني حول كتابي عن الحرب العالمية الاولى (المشاة في الهجوم) الذي قرأه بدقة . وصرت بعد ذلك أبدو شخصاً لامعاً في نظره » .

« وعندما نشبت الحرب سألني هتلر عن القيادة التي أرغب ان أتولاها ، فرجوته بدون تردد ان يوليني قيادة فرقة مدرعة . وقد كان هذا طلباً مفرطاً من جانبي لأنني لم اكن انتسب الى صنف القطعات المدرعة وكان هناك كثير من القواد الذين كانوا أحق مني بكثير في نيل قيادة كهذه . ولكن بالرغم من ذلك حصلت على قيادة الفرقة المدرعة السابعة كما تعلم . وربما تعلم أيضاً ان هذا التعيين لم يرق في أعين السادة في قيادة الجيش العليا . »

وأصغى (كاوزه) الى الحكاية بامعان ثم أبدى ملحوظات مؤدبة وقال : « ان هذا ممتع يا سيدي القائد ، ولكن ألم تكن يوماً كضابط ارتباط لشباب هتلر » .

« نعم ان هذا هو الواقع الى حد ما » أجاب رومل . ثم تحدث من

دون تفصيل خاص عن أعماله في أكاديمية (بوتسدام) العسكرية في تدريب حركة شباب هتلر قبل التحاقهم بالجندية . غير اني استنتجت ان آراءه حول تدريب الشبيبة الالمانية لا تتفق مع آراء (بالدور فون شيراخ) الذي كان هذا التدريب من اختصاصه . فقد وجد رومل ان (شيراخ) متجبر عديم اللباقة وسماه بصراحة (دومه يونكه) أي (الولد الغبي) .

ثم أبدى رومل الملحوظة التالية بشيء من الاشتياق وهو متكىء بظهره على مقعده في السيارة « أظن ان اسعد فترة في حياتي — وفي حياة زوجتي أيضا — هي عندما كنت آمراً للاكاديمية العسكرية في (وينر نويشتاد) (١) — واما الآن فماذا نحن فاعلون ؟ ان حصولنا على قيادة أمر حسن ، ولدينا فرصة عظيمة هنا ، ويجب أن لا ننسى اننا معشر المحترفين قد تدربنا لأجل الحرب . فماذا يجب علينا ان نفعل ؟ ان جواب ذلك سهل . يجب ان نتغلب على الانكليز . انهم خصوم من عيارنا وهم يدعون بأنهم لم يتدربوا للحرب — وفي الواقع ان ذلك صحيح . إلا أنهم رجال يجيدون فن الحرب او (لعبة الحرب) . وان واجبنا لواضح ، فعلى كل فرد في الصحراء ان يدرك هذه الحقيقة البسيطة وهي: اننا جئنا الى هنا لنكسب فلا يجب ان يكون ثمة شك في غرضنا هذا وان الواجب الملقى على عاتقنا كجنود هو (القتال في الصحراء) .

وتكلم (كاوزه) عن سيرته العسكرية الخاصة . وقد شعرت بلذة عظيمة عندما سمعته يتحدث عن عمله كأحد ضباط الاركان الذين عهد اليهم وضع خطة (حركة سبع البحر) (٢) — أي غزو انكلترة عام

---

(١) بلدة تقع على بعد ٤٠ ميلا تقريبا من فينا

(٢) Operation Sea Lion

١٩٤٠ . وقد قال (كاوزه) انني شخصيا لم أؤيـد احتمال نجاح هذه الحركة الموضوعة ، ثم أضاف مخاطبا رومل واياي « ان عدد اطنان حمولة السفن المتيسرة اولا كان غير كاف مطلقاً . ثم انه اتضح بعد المعارك الجوية التي جرت فوق انكلترة انه لا يمكن الاعتماد على الحماية الجوية بالرغم من تفاؤل (غورنك) . وقد أيدت البحرية الالمانية مشروع الغزو تأييداً تاماً إلا انها شددت على ان البحرية البريطانية الجبارة ستناضل حتى الملاح الاخير وان هذا النضال غير المتكافيء سيؤدي حتما الى تحطيم البحرية الالمانية تحطيما تاما ، واذن فهذا دليل اوضح على احتمال فشل هذه الحركة » .

وانني اذكر اننا عندما وصلنا الى (بيدا ليتوريا) في آخر هذا النهار كان علينا ان نحضر مؤتمر مع رئيس أركان الجيش الايطالي الفريق (كافاليرو) . ثم اقيمت حفلة العشاء الوحيدة التي حضرها رومل والتي جلس فيها ممثلو كلتا دولتي المحور بصورة رسمية . واني كملازم لا يعتد به ، لم اشترك في الحديث الا قليلا إلا انني أتذكر شدة ما حصل لدي من انطباع لمنحي امتيازاً عظيما لقضاء المساء صحبة رجال مشهورين كهؤلاء واشتراكي معهم في تناول طعام غير معتاد ، وكان هذا الطعام جيداً بالطبع .



الباب الخامس عشر

رومل يطارد غزالا

كان رومل صياداً . ولما ازدادت اوقات فراغه وجد متسعاً من الوقت لينهمك في رياضته المحبوبة . واني اعلم انه يفضل ، ولا ريب ان يكون في الامام مع القطعات التي تضع خطط الصيد للعبة اكبر . ولكنه اضطر لأن يكون (ولداً عاقلا) خلال هذه الفترة المستقرة على الاقل . وكان يقضي أيام راحته في صيد الغزال . وقد اعتاد ان يقول لي :

« اني اتمنى الحصول على اجازة في اوربا لتسنح لي الفرصة للصيد مع (منفرد) » (وكان شديد التعلق بابنه (منفرد) الذي كان في الثانيـة عشر من عمره وقتئذ) . وكان يندر ان يذكر عائلته او حياته الخاصة ، بل كان في الواقع كتوما حول شؤونه الشخصية مهما كان نوعها . وقد ظل يناديني بكلمة (ملازم) الرسمية عـــدة شهور ، وبعد ان قرر انني اكثر من عضو اضافي ضروري له ، صار يدعوني باسمي ويحمل نفسه عناء معرفة عمري ، وهل أنا متزوج أم لا ، وفيما اذا كنت سعيداً ، بل وصرت في نظره اكثر من مخلوق يرتدي البدلةالعسكرية ويلبي الأوامر. وفي الواقع كاد أن يكون غريباً ان اجد هذا القائد المهم بعـد معرفة طويلة انسانيا حقا .

وقرر رومل بسرعة ان (بيدا ليتوريا) بعيدة الى الخلف كثيراً ، فاسسنا مقر الجحفل المدرع جنوب (الغزالة) ، وكانت الاراضي في هذه

المنطقة قفراء على العموم ومشهورة بكثرة الغزلان فيها كما يستدل من اسمها.

واني اتذكر يوماً سقنا فيه بسيارتين بعيداً في الصحراء بقصد الترويح عن النفس ، وكان لرومل بندقية خدمة وسلاح يشبه غدارة (تومي) كانت قد اهدته له وحدة ايطالية . ومع ان اسلحته لم تكن ممتازة فقد كان الصيد الذي قمنا به منظماً كحركة عسكرية واعدت الخطط السوقية والتعبوية لقطع الطريق بوجه الفريسة من الخلف .

وكان في المقعد الخلفي لسيارتي رئيس ايطالي قام بدور (رئيس الصيد) لأنه كان يعرف هذه الاراضي منذ سنوات طويلة . فقادنا من دون تردد الى منطقة الغزلان . فشاهدنا قطيعاً منها فتبعناه ، واندفعت سيارتانا وراء ذكورها . لكن هذه الحيوانات المذعورة هربت بسرعة فاقت سرعة السيارة . فضغط السائقان على دواسة البنزين واستطعنا تدريجياً ان ندرك الغزلان .

ووقفت سيارة رومل بسرعة متزلقة على الرمل الخشن الممزوج بالصخور فاطلق رصاصة وهو واقف . فلم يصب ورأينا انفجار الاطلاقة في الرمل بالرغم من الغبار المتصاعد من الغزلان النافرة . واستمرت الطريدة في ركضها واستمر رومل يركض ورائها .

على ان سيارتي لم تقف خلال ذلك بل استمرت تعقب الغزلان عن كثب . وحاولنا ان نعترضها من الامام — ولكون بعد ثوان كانت سيارة القائد قريبة منا . وعندما وصلت الى مرتفع صحت بسائقي « قف » ! فوقف بغتة وقفة كادت ترميني على زجاجة السيارة الامامية ومن خلال الغبار رميت اطلاقة سريعة على أحد الغزلان . ومرت سيارة رومل بنا وهي تطارد بسرعة .

وهكذا استمر الصيد ردحا من الزمن ـ ولم اتمالك نفسي من ابداء الاسف على طريدتنا . انها استخدمت اساليب تعبوية ناجحة جداً . فبعد كل اطلاقة كان القطيع ينقسم الى جماعتين ـ فتذهب احداهما شمالا والاخرى يمينا . وكنا دومانتبع الجماعة الكبرى ، وكانت هذه تتألف في النهاية من ثلاثة غزلان . والظاهر ان لسان حالها كان يقول : « انكم قد تتمكنون من تدميرنا على انفراد ، ولكنكم لن تستطيعوا ان تدمروا غير هذا القسم منا . وها قد خدعناكم بمظاهرات متتاليـــة لننسيكم مقصدكم الرئيسي » .

ولكن هل حرم الصيادون حقاً من طريدتهم ؟ . ان الخطة في ساحة المعركة هذه لم تهدف تحطيم الجميع بل كان هدفها اثبات التفوق التعبوي للانسان ليس إلا ــ ولا شك ان القطيع نجح سوقيا من هذه الوجهة اما من الناحية التعبوية فلابد من وجود خاسر في هذه المعركة .

واندهشت من قابلية تحمل الغزلان الثلاثة التي مافتئت تجـذبنا الى الامام . ولقد انحرفت بشدة الى اليمين فاستطاعت ان تكسب بعض الارض حتى لكأنك تظن انها دبرت هـذه المناورة بترو مستفيدة من الخارطة ، اذ ان الارض في اليمين صارت صخرية كلما اتسعت . واراهن ان رومل دمدم في نفسه حينئذ قائلا :

« اجذب دبابات العدو الى الارض التي تختارها وحطمها هناك » . فقد كانت هذه احدى نظرياته . وكانت الارض ملأى بحفر الثعالب وصارت تزداد وعورة شيئا فشيئا فاصبحت لذة المطاردة الجنونية خطرا على الحياة والاعضاء . فماذا يحدث لو ان اكبر قولد الماني في افريقيا دق عنقه في مطاردة لامعنى لها اثر غزال ؟ . غير ان روح الصيـد كانت

متغلغلة في رومل . ولهذا فقد استمرت المطاردة من دون هوادة . وعلى كل اظن ان اللعبـة اصبحت الآن عادلة ، اذ صرنا نجازف بحياتنا كالحيوانات التي نبغي صيدها على حد سواء .

ثم وقفت السيارة ثانية لرمية اخرى . فاذا بي اكاد انضعضع من تأثير اطلاقة حارة دوت كالرعد محدثة ألما في اذني اليمنى . فماذا حدث يا ترى ؟ ان الضابط الايطالي الجالس خلفي في سيارتي رمى اطلاقة ونسي في هياجه ان يلاحظ ان فم بندقيته كان على بعد عقدة واحـدة عن اذني اليمنى . على انـه يظهر ان في وسع الانسان ان يصطاد حتى وان اصيب بالصم .

واستمرت المطاردة . وبدا كأن الفريسة ستنجو . فقد اصبحت الارض اوعر فأوعر . غير ان رومل ازداد عنـاداً واصراراً واستمر يلح على سائقه ان يضغط على دواسة البنزين وفعلت أنا نفس الشيء .

وهكذا استطعنا بهذه الطريقة الانتحـارية ان نلحق بالغزلان مرة اخرى . فرمي رومل ببندقيتـه للرئيس الاول فون (ماليفش) ضابط الاستخبارات الجالس في المقعد الخلفي . وتناول غدارته الاوتوماتيكية ورمى بها اطلاقة فسقط غزال واحد .

فوقفنا ــ واذا امامنا حيوان جميل ناعم الملمس ملقى على الارض . فشعر معظمنا بشيء من الكآبة عندما رأينا الحياة تفارق هذا المخلوق النشيط الوثاب . وخيم الصمت على الجميع . انني لم اخرج الى الصيد في حياتي قبل هذا فلم اعرف ماينبغي ان يفعله الانسان بعدئذ . ولكن رومل لم يتردد ، فاخرج سكينة صيد كبيرة وقام بمايجب . فنزع احشاء الحيوان بمهارة وقص القرنين ثم وضع الجثة في السيارة .

وعندما عدنا الى المقر ابدى الطباخ سروره .

ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ فمن جهة الربح حصلنا على صيد سمين ومن جهة الخسارة نابضين مكسورين وزجاجـــة امامية مهشمة واذنا طرشاء وضميراً واحداً معذبا . وكنا كلما خرجنا الى الصيد بعد ذلك استخدمنا اساليب احسن فكنا نختل للصيد بدلا من مطاردته بالسيارة

ومع ذلك . . . فقد كنا نحارب . وكان رومل الصياد الاول ولم يكن له شغل الا ان يقتل او يقتل . ولا شك ان هذا كان واجبي ايضا . فهل كان علي ان اتأنق وراء سدادة مدفع ضد الدبابات ؟

الباب السادس عشر

رومل في غارة

ينقطع في الارض الحرام

لم يكن رومل راضيا عن موقع المقر المتقدم لجحفله المدرع في (الغزالة) إذ كان بعيداً عن جنوده كثيراً . ثم ان زيارة الجبهة التي كانت لا تستغرق غير ساعات قلائل عندما كنا في (البردية) صارت الآن تستنفذ النهار كله ، فكان موقع المقر هذا لا يختلف كثيراً عن (بيدا ليتوريا) من وجهة البعد . كما ان بيت مهندس الطريق الذي استفدنا منه كمقر — والذي كنا نسميه (بيت الطريق) قصفته الطائرات البريطانية مراراً عديدة في الآونة الاخيرة . وكانت تأتي لهذا الغرض في الساعات المبكرة من الصباح فخامرنا شك في ان البريطانيين وجدوا مكان ثعلب الصحراء . لذلك عهد الى ضابط ليستطلع المنطقة بين طبرق والبردية بغية ايجاد موقع ملائم لمقر جديد ، فاختار بيت الطريق في (غامبوط) . وذهبنا الى الامام لتدقيق موقع المقر الجديد ولزيارة أمير اللواء فون (رافنشتاين) قائد الفرقة المدرعة الـ (٢١) . فتمكنا ان نمر من جانب طبرق في نصف المدة التي كنا نستغرقها من قبل لأن طريق (المحور) الآن كان قد تم .

وقد نقل فون (رافنشتاين) مقره الى منطقة غرب البردية وعلى الشاطىء تقريبا ، وكان يحب الجمال ولذا وضع (ماموته) في بقعة

بهيجة بين غابة صغيرة من اشجار النخيل التي كانت على العموم نادرة كالنساء في هذا القطر ، مع انهـا اتخذت رمزاً لفيلق افريقيا . وكان المساء قد حل عند وصولنا وكان فون (رافنشتاين) وضباطه على وشك ان يجلسوا لتناول طعامهم في السرداق الكبير المجهز تجهيزاً جيداً كمطعم لهم . وقد اكرموا وفادتنا .

ولاحظت بشيء من الغبطة انه ليس ثمة مطعم في شمال افريقيـا مجهز تجهيزاً بسيطا ويدار باعتدال كمطعم مقر رومـل . ففي مطعم هذه الفرقة وجدت كثيراً من اللذائذ ومن ضمنها البيض الطازج والبـيرة الباردة التي لم نكن نحلم بها في مطعمنا مطلقا ، وبدا لي ان الوقت الذي تناولت فيه بيضة طازجة كان طويـلا لدرجة انني اكملت بيضتي هذه باستمتاع شديد . وعندما انتهيت منهـا لاحظت ان فون (رافنشتاين) يرمش بعينيه فقـال : هـ .. م طيبة المذاق أليس كذلك يا (شمت) ؟ وكان يعرف بعضنا البعض أو بالاصح يجب ان اقول كنت اعرف فون (رافنشتاين) منذ سنة ٩٣٧ عندما كان يقود في (ايزرلوهن)(١) الفوج الذي تدربت فيه في وقت السلم كضابط صغير . فرفع فون (رافنشتاين) نحوي بسكون عبر المنضدة بيضته التي لم يمسها ، فاعترضت على اعطائها لي إلا انه أصر على ذلك اصراراً وديا ـ وهكذا تمتعت بأكل بيضة القائد وذهبت بعد الطعام أتمشى قليلا في تلك الليلة الكثيرة نجومها ، فالتحق بي فون (رافنشتاين) ومشينا الى اعلى كثيب من الرمـل حيث قال : « كثيراً ما أجيء الى هنا في المساء لأتمتع بجمال المحيط وهدوئه » . ثم

---

(١) بلدة في (ويستفالية) من مقاطعات المانية

تنفس نفسا عميقا من هواء الصحراء النقي وقال : « ان منظر الكثبان في ضوء القمر المنير يشبه ارضا مغطاة بالثلوج » .

وسكرنا بصمت من هذا المنظر ، وفكرت في تباين طبيعة هذين القائدين اللذين عرفتهما اكثر من غيرهما من القواد الباقين في الصحراء . ففون (رافنشتاين) محب للجمال ، رقيق ، انساني ، منصف يرى ان في الحياة لشعراً . اما رومل فانه عملي الى حد عظيم ، خشن ، لا يبالي بالمشاكل الشخصية للآخرين ، ولا يهتم بالشخصيات الا بقدر تأثيرها في اغراضه العسكرية ، ويرى ان الحياة نثر واضح وبسيط .

وعلى الرغم من الاختلاف الاساسي في سجاياهما كان بينهما تفاهم قريب وكانت نظرتهما الى فن الحرب واحدة . وكان هذا واضحا وضوحا تاما في المؤتمر الذي انعقد في اليوم التالي فكان فون (رافنشتاين) مرنا واسع الحيلة ، وقد عالج اصعب القضايا بثقة واطمئنان . ولم يكن يعترف بالهزيمة بل يبحث دوما عن طريقة للتغلب على العقبات . وشعرت عندما كانت المناقشة مستمرة انني ازاء قائد محارب في عيار رومل وكان واضحا ان رومل ينظر اليه نظرة عالية .

وكانا يضعان معا خططا جديدة . فقد علمنا ان البريطانيين اسسوا بعض المراصد اللاسلكية الامامية في جبهة السلوم . واشتبهنا ايضا ان لديهم كدس ارزاق مخفي في الصحراء تستفيد منه المدرعات التي كانت تستطلع المنطقة الامامية باستمرار . فقرر القائد ان يقوم فون (رافنشتاين) بغارة عنيفة في اواسط ايلول على المنطقة الامامية ، مستخدما جحافل معركة آلية لها قابلية حركة عظيمة وتسندها الدبابات وقليل من مدافع ضد الطيارات .

وقد تقرر ان تجري الغارة من خطوطنا الواقعة جنوب (حلفاية) . وجرى التشديد على ضرورة المباغتـة ، وعلى وجوب اجراء الحركة بسرعة فائقة اذا اريد لها النجاح . وكان على جحفل المعركة ، الذي كانت قوته تعادل نصف كتيبة تقريباً ، ان يقوم بالتخريبات ويحاول العودة بالاسرى قبل ان يتمكن العـــدو من أن يستجمع قواه للهجوم المقابل . وكان رومل وفون (رافنشتاين) فرحين بمؤامرتهما الصغيرة كولدين خبيثين . وقدقال روملِ لفون (رافنشتاين) «انني آت معك » ثم اردف يقول « حاول التأكد من شيء واحدوهو ان طائرات الاستطلاع البريطانية لاتكتشف اية علائم عن حدوث الحركة قبل اوانها . »

وفي طريق عودتنا الى (الغزالة) وقفنـــا في (غامبوط) نفحص بيت الطريق الذي سيصبح مقرنا الجديد للمعركة ، فلم يكن من دواعي التشجيع ان نعرف ان الطائرات البريطانية اسقطت عدة وجبات من القنابل على هذا البيت قبل ساعات قليلة من وصولنا . فتساءلنا مندهشين هل عرف العدو ياترى ان هذا هو مسكن رومل الجديد ؟

٢

لقد راقت غارة ايلول لخيال هيئـة اركان رومل ، اذ كانت تبدلا رحبوا به ، فطلب كثيرون منهم ، خلافا للمعتاد ، السماح لهم بمرافقة القائد . وحمل (المالموث) ايضاً الجنرال (كافالي) وضباط اركان ايطاليين .

ووصلنا الى منطقة (كابوزو) في مساء اليوم السابق للهجوم - فاخبر فون (رافنشتاين) رومل ان جميع الاستعدادات قد تمت ، الا انه اظهر اسفه لحركة بعض الدبابات الى مواضعها في النهار خلافاً لاوامره وربما شاهدتها الطائرات البريطانية .

وفي فجر اليوم التالي مررنا عبر ثغرة مهيأة في حقول الغامنا واتجهنا نحو الشرق وكان رومل يبدو ، وهو في موقع قيادته ، كانه قائد غواصة اذ كان يجثم عاليا على حافة مدخل الشمس في سقف (الماموث) وكان في حالة مرح غير اعتيادي ، فصاح في صخب غريب : « اننا ذاهبون الى مصر . »

وكان من دواعي سرورنا ان نتقدم الى قسم غير معروف من الصحراء وقد امتلكني شعور ببهجة توقع المغامرة القادمة . وتقدمنا مسرعين مسافة ما حتى اصبحنا بالقرب من غرب (بقبق) غير اننا وجدنا الصهاريج التي كنا نظنها محتلة ، خالية من العدو . ولم نجد اية علامة تدل على كدس التموين السري ، ولم نر غير قليل من علب اللحم الفارغة وبعض قناني البيرة الفارغة ايضا مع الاسف . وقد تلاشت احلامنا بالغنائم — وخاصة الفواكه المعلبة (والويسكي الاسكتلندي) — كما يتلاشى السراب في صحراء (ليبيا) وشعرت فجأة ان فمي قد جف . وعادت الينا احدى الارتال السيارة لقوة الغارة وقد استولت على سيارة بريطانية ، واسر السائق ورفيقه . ولما فحصت السيارة وجد انها تحتوي على كمية كبيرة من المواد المكتوبة وتشتمل على عدة نسخ من جفر مهمة . وكنا كلما امعنا في دراسة المواد المستولى عليها ظهرت اهميتها اكثر ، وقد ارسلها رومل الى الغرب لتدقق بالتفصيل . وفرح فون (رافنشتاين) بهذه الاوراق فقال لرومل ، « ياحضرة القائد ان الاستيلاء على هذه الوثائق وحدها كان كاف لتبرير حملتنا »

فدمدم رومل بالموافقة ، ولكنني لا ادري هل ايد ذلك تأييداً تاما أم لا ؟

وبعد ان وصلت قطعات الغارة الى المكان المقرر لها ، أمرت الدبابات والمشاة الا ليون بتأليف مأوى دفاعي . وبدأ الانكليز يقاومون زيارتنا بأشد اسلوب عدائي ، ففتحوا علينا النار بمدافعهم السيارة عيار ٢٥ رطلا التي كانت اشد مدافعهم تأثيراً والتي كنا نسميها (راتسخ بوم) كناية عن صوتها .

ثم أتت القوة الجوية البريطانية — فحامت طائراتها فوقنا ورأيت ابواب قنابرها تنفتح فتتساقط منها القنابر فوق (ماموث) رومل فقفزت الى العجلة المدرعة ألتمس الحماية ولاحظت خلال ذلك ان رومل وسائقه ينطلقان بعيداً عن (الماموث) ويمتدان على الارض ، وصفرت القنابر وهي تهوي ثم اصطدمت بالارض فارتطمت شظاياها بجدران (الماموث) الفولاذية الصلبة .

وما ان انفجرت الرشقة الاولى حتى قفزت من (الماموث) وعدوت نحو رومل . فرأيت السائق مخضبا بالدماء ، وقد جرح جرحا خطيراً . ورفع رومل الى أعلى فذعرت حين أبصرته يعرج — فسألته :

« هل أصابك أذى يا سيدي القائد ؟ »

« لا أشعر بأي شيء » قال ذلك وهو ينفض ملابسه .

ثم اكتشفنا ان شظية شقت الكعب الايسر من حذاءه .

وأخذنا السائق الى اقرب سيارة اسعاف ، ثم فحصنا عجلاتنا فاذا بشظية قد مزقت اطاراً اماميا للماموث الى عمق كبير ، غير ان الاطار كان من النوع الممتاز فاعتقدنا انه يمكن الاستفادة منه .

وأخبرنا اللاسلكي وقتئذ ان القيادة البريطانية أمرت بهجمات اخرى وقبل ان نتمكن من الحركة حدثت غارة قاصفة اخرى . فأمرت القطعات

بأخذ التشكيل اللازم للعودة الى الحدود ، وبقي رومل مع القسم الاكبر الى ان بدأ بالحركة ، وعندما تحركنا غربا كان الظلام على وشك ان يخيم على الوجود .

وتولى رومل قيادة العجلة وكنت استبدله من حين لآخر ، وكان الظلام دامسا فلم نر مرآى العجلات الاخرى في الرتل ، وانفجر الاطار المعطوب فجأة فتعذر علينا الاستمرار في المسير من دون تبديل هذا الاطار او تصليحه .

« يا لسوء الحظ ! » قلت لنفسي ، إذ كان علي وأنا اصغر جماعة الماموث سنا وأحدثهم رتبة ان أتولى تصليح الاطار المعطوب بنفسي . وبحثنا عن الادوات في الظلام — كانت الرافعة (١) أقصر من اللازم فوضعنا الحجارة تحت المحور وحفرنا في الرمل بأيدينا — وعندما اقول نحن أعني نفسي وضابطا ايطاليا صغيراً من هيئة اركان (كالفي) . ووقف الآخرون حولنا كمنتظرين ومساعدين ، لكنهم كانوا في نفس الوقت — كمراقبين ومنتقدين ، هذا وانني لم اصلح اطاراً معطوبا في حياتي فكيف به اذا كان ضخما كهذا ؟ ولم يتم العمل قبل منتصف الليل وقد أعاننا فيه رومل والسادة الآخرون فزاد ذلك في تعقيده ، وجلس مخابر اللاسلكي ملازما جهازه فأخبرنا ان البريطانيين يتعقبون آثار الارتال الالمانية المنسحبة . وكنا نميز اشارات النداء لمدرعات العدو على مقربة منا ، واذا حاولنا ارسال اشارة لاسلكية لطلب المعونة فان في ذلك هلاكنا . وكانت قطعاتنا قد ابتعدت كثيراً في طريقها الى

---

(١) الرافعة ترجمة كلمة — (Jack) الانكليزية

خطوطنا ولم يشك احد فى اننا تعطلنا ، فبقينا وحدنا في الصحراء وعلى مسافة بعيدة ، وان ارسلنا رسالة لاسلكية فلا يفيــدنا ذلك قط بـل يدل الانكليز على محلنا وسرعان ما ينقضون علينا .

واشتغلنا في تركيب الدولاب بكد والعرق يتصبب منا . وكان رومل يضيء لنـا بمصباح جيب ملون ، ونظرت في ساعتى فاذا لطلوع الشمس ساعتان . فيا لنا من صيد سمين (لويفل) في ذلك الوقت !

وأخيراً استطعنا تثبيت الدولاب — وقفزنا في (الماموث) فتولى رومل السياقة . وساق هذه العجلة الضخمة بسرعة جنونيـة . وعندما انبثق النهار وصلنا الى اسلاك الحـدود . فوجد رومل ثغرة في حقول الالغام واندفع خلالها ، وذهلت جماعة من المهندسين لمرأى عجلة منفردة تظهر بهذه السرعة الهائلة من الارض الحرام .

الباب السابع عشر

(كيز) يفتش عبثاً عن روميل

انتهى ايلول وجاء تشرين الاول ولا زالت الخطط الفعالة مستمرة للهجوم على قلعة طبرق في اواخر تشرين الثاني .

وكانت القطعات التي ستقوم بالصولة لاتزال في دور اعادة التشكيل والراحة ومشغولة في تدريب منظم على واجباتها الخاصة . وقد تقرر ان يجري الهجوم في هذه المرة من اتجاه (الدودة) وكان على هندسة الصولة ان تقوم بالخرق الأول بالتعاون القريب مع الدبابات . كما كان واجب القوة الجوية الالمانية ان تشترك بعد شن الهجوم الارضي . وكان في النية القيام بهجوم كاذب على الدفاعات الغربية لخدع العدو وجعله يحشد احتياطه السيار وقوات الهجوم المقابل في هذاالقاطع . وحال اكمال خرق الدفاعات كان على كتيبة المشاة الـ (١١٥) ان تتدفق خلال الثغرة في عجلاتها المدرعة المكشوفة وتندفع بالتعاون مع الدبابات نحو نقطة (كنكس كروس) (١) ، التي تلتقي فيها طرق طبرق والبردية والعدم . ومن هذه النقطة كان الهدف الثاني للفرقة المدرعة الـ (٢١) ميناء طبرق .

وتلقى كل فصيل وصايا مفصلة عن واجباته كما ان خطة تعاون

---

(١) ـ " King's Cross " لقد اعتاد البريطانيون تسمية بعض الاماكن غير المعروفة اسمائها باسماء الاماكن الشهيرة في لنـــدن ومن بينها هذا الاسم . (المعرب)

الفصائل وضعت بدقة الى اصغر نقطة . وجهزت التصاوير الجوية الى اصغر المجموعات (حتى الحضائر المؤلفـة من ستة جنود) ليتسنى لكل جندي بذلك ان يحصل على صورة واضحة عن منطقة المعركة التي كان فيها هدفه . وجرى تدريب القطعات بدقة وانتظام على اسلوب اقتحام المنعات وعلى فن الهجوم على منظومات الخنادق المختلفة .

وقد تعرقلت الاستحضارات من جراء تفشي امراض اليرقان والزحار والاسقربوط . وقد انقصت هذه الامراض عشر القوة المحاربة لبعض التشكيلات . وكان مقرنا قرب مطار (غامبوط) وكان مقر جحفل المقاتلات للقوة الجوية الالمانية مؤسسا هناك . وكان ضباطه قد قلبوا بئراً قديمة تحت الارض الى مطعم لهم . وكان الصهريج القـديم مريحاً لاتؤثر فيه القنابر ومجهزاً تجهيزاً كاملا بغرفة راحة ومحل للبار نقل اليه من أحدى ابنية العدم . وعندما تناولت عشائي هناك كضيف اكرموني كثلك بالمشروبات المثلجة والفواكه الطرية والسكاير . وادعى ضبـاط القوة انهم يجلبون هذه المواد من اليونان بالطائرات وكانت كمالياتهم هذه بعكس مافي مطعم رومل من اكل هزيل .

وبدل القائد البريطاني العام فذهب (ويفل) ليتولى القيادة العامـة في الهند وحل محله الفريق السير (كلود اوكنلك) كقـائد عام في الشرق الاوسط .

واخبر الطيارون عن امتـــداد سكة الصحراء بين الاسكندرية (ومرسي مطروح) غربا نحو منطقة (سيدي براني) . وايد (بهرنت) معاون رئيس شعبة (ا ج) لرومل أن هذا يدل على تعرض مقبل . وقد تراهنت مع الدكتور (هاكمان) على ان العدو سيهجم قبل نهاية السنة .

وظهر أن ماتنبأت به صحيح بالطبع اذ قام الجيش الثامن بـ « حركة كروسيدر (١) » بعد ثلاثة أيام من يوم ميلاد رومل (٢) وقبل خمسة أيام من الموعد المقرر للتعرض على (طبرق) وذلك تحت قيادة الفريق السير (الن كننكهام) وهو الذي طرد حلفاءنا الطليان من الحبشة .

٢

ونزلت جماعة من المغاوير(٣) الانكليز بقيادة المقدم (جيفرى كيز) ابن الاميرال الشهير ، من غواصة على ساحل (برقة) بمحاولة جريئة لقتل رومل او القبض عليه قبيل التعرض . وقد كانت هذه المخاطرة كلها خائبة ومبنية على معلومات خاطئة . فقد ارسل المقدم (كيز) والمقدم (ليكوك) وخمسة ضباط آخرين ونحو (٥٠) من المراتب الاخرى الى منطقة (برقة) في غواصتين . فنزل (كيز) وجميع رجاله (ما عدا اثنين اصيبا بأذى) على الساحل من احدى الغواصتين ، اما (ليكوك) فلم يتمكن من ان ينزل غير سبعة من رجاله من الغواصة الاخرى . ولاقى (كيز) وضابطان و (٢٥) من المراتب ضابط استخبارات بريطانيا متنكراً بزي العرب فأخبرهم ان مقر رومل كان في (بيدا ليتوريا) وكان عليهم ان يقطعوا مسافة ١٨ ميلا سيراً على الاقدام ليصلوا الى هناك فقادهم الاعراب في ليلة ممطرة فى القسم الاول من الطريق ثم تابعوا المسير وحدهم . وفي مساء اليوم التالي اخفوا معداتهم الزائدة وطعامهم

---

(١) (Crusader) وقد بدأت في ١٨ تشرين الثاني .

(٢) ولد رومل في ١٥ تشرين الثاني ١٨٩١ في (هايدنهايم) قرب اولم في (وورتمبرغ) .

(٣) المغاوير م (الكوماندو) .

فلاقوا جماعة من الاعراب الموالين لهم ، فأخبروهم ان مقر رومل ليس في (بيدا ليتوريا) بل في بيت في (سيدي رفاعة) . فبدل (كيز) على أثر ذلك خططه .

وفي اليوم الثاني ارشدهم الاعراب الى البيت المقصود فأغاروا عليه في الدقيقة الواحدة بعد منتصف الليل ، فقتلوا حارساً في الباب الخارجي ورموا قنبرة بين الرجال الذين كانوا في الفرقة الاولى وعلى أثر ذلك اطفأ الالمان النور في الغرفة الثانية ، وفتح (كيز) بجرأة باب هذه الغرفة على مصراعيه وهو ينوي الهجوم على من فيها ، غير انه جوبه بحزمة من نيران المسدسات فسقط مضرجا بدمائه . ورمي ضابط آخر مع (كيز) قنبرتين في الغرفة نفسها فانفجرتا حالما اغلق الباب . ثم سحب (كيز) الضابطان اللذان كانا يرافقانه لكنه مات بعد ذلك بقليل .

وعند انسحابهم اصابت اطلاقة رجل الضابط الذي كان مع (كيز) فكسرتها فلم يتمكن رفاقه من أخذه معهم فوقع اسيراً . وقد قتل اربعة ضباط المان من قسم التموين — وكان هؤلاء هيئة اركان المقدم (اوتو) رئيس شعبة (١ ب) . وقد دفنوا في (سيدي رفاعة) مع (كيز) الذي منحه البريطانيون بعد وفاته (وسام فيكتوريا) .

ولا شك ان ما قام به البريطانيون كان عملا باهراً وجريئاً . ومما يؤسف له من وجهة نظرهم انهم ضلوا بشكل سيء ، ولم يكن رومل في ذلك الوقت حتى في افريقيا — بل كان في حفلة عيد ميلاده التي اقيمت على شرفه في روما وحضرته زوجته ، كما حضره فون رافنشتاين (١) .

(١) وقد قال في (فون رافنشتاين) بعد انتهاء الحرب انهم ذهبوا الى (الاوبرا) في مساء ذلك اليوم وبعد الاستماع الى غناء رائع قصدوا غرفة التدخين ، فالتفت اليه رومل وباحثه ، ولكن ليس في موضوع الاوبرا بل فيما كان يدور في مخيلته على مايظهر فقال : فون رافنشتاين - ينبغي لنا ان ننقل تلك الافواج التي في قاطع (ميداوا) . .

وان البناية التي هاجمها المغاوير لم تكن مقراً لرومل قط بـل كان مقره وقتئذ في (غامبوط) على بعد نحو (٢٠٠) ميل

وفي الواقع كان البيت الذي أغار عليه (كيز) في (سيدي رفاعة) هو الذي تعشيت فيـه مع رومل و(كوزه) و (كافاليرو) وغيرهم من الضباط الذين هم ارفع مني رتبة وذلك عندما زار رومل « بومباستيكو » في برقة لأول مرة ، وعـلم على أثر هذه الزيارة عن تكوين (جحفل افريقيا المدرع) .

وقد اتجهت النية في الحقيقة للاستفادة من هذا البيت كملجأ خاص لرومل ليتمكن ان يبتعد فيه من حين لآخر عن مشاكل الحرب وحتى عن هيئة اركانه . ويجب ان لا ننسى ان داء اليرقان كان يقلقه خلال جولاته في افريقيا فكان مريضا في معظم الاحيان لشدة فعاليته ونشاطه في الجبهة .

وقد بات رومل فعلا في بيت (سيدى رفاعـة) مرة او مرتين إلا ان الاستخبارات البريطانية اخطأت خطأ كبيراً في ظنها انه يحتمل ان يكون هناك في معظم الليالي ولاسيا في ذلك الوقت الذي جرت فيه الغارة .

الباب الثامن عشر

كروسيدر

جاءت حركة (كروسيدر) كمباغتة لنـا . وقد اخبر الاستطلاع الجوي بأن كتلا كبيرة من القطعات تتحرك في الصحراء العميقة جنوب (مطروح) . غير اننا لم نكن نتوقع ان يزحف جميع الفيلق البريطاني الـ (٣٠) (١) المحتوي على الدبابات وفرقة جنوب افريقيـا التي يقودها امير اللواء (بينار) عبر الاسلاك جنوب (فورت مادالينا) ثم يتجه نحو نيسم العبد متجها نحو بئر (غوبي) ومستهدفا (العدم) وقد اتجهت القطعات الهندية نحو (العمرين) (٢) الواقعين على الحدود ، وحاصر الفيلق البريطاني الـ (١٣) (٣) مع النيوزلنديين ودبابات الجيش (السلوم) والبردية الى حدما ثم استمر تقدم النيوزيلنديين على محورى (نيسم كابوزه)و (فيا باليبيا) وعبر الارض الواقعة بينهما متجهين نحو(غامبوط) ومهددين مقر رومل الذى كنا جعلناه سياراً عنـدما شعرنا بقوة التعرض . فأرسل رومل فرقة (بولونا) الـ (٢٥) من نطاق (طبرق) الشرقي الى الجبهة لمجابهة اندفاع النيوزيلنديين قرب (غامبوط) وكان القتال بعد هذا مرتبكا الى حد بعيد و كان غرض الطرفين تحطيم دروع الخصم .

---

(١) الذى كان يقوده الفريق (ويلوبي نوري)

(٢) وهما (عمر نوفو) و (عمر ليبيا) وقـد استولى عليهما اللواء الهندي السابع من الفوج الاول (رويال سـكس) وفوج ٤ ـ ١٦ (بنجاب) وفوج ٤ ـ ١١ (سيك) .

(٣) الذي كان يقوده الفريق (كودين اوستن)

وكان هجومنا على طبرق مقرراً في ٢٣ تشرين الثاني غير انه كان من البديهي ان يعتبر الآن ملغيا . على ان رومل صرح بأن هذا التطور ربمــا كان لحسن حظنا . فاذا امكن مجابهة تعرض الجيش الثامن على ارض منبسطة والقضاء على تأثيره فان الفرصة ستسنح اكثر للاستيلاء على طبرق بدون خوف الهجوم من الشرق . وقال رومل انه قـد يكون من صالحه مجابهة تعرض (كاننكهام) الآن وتشكيلاته نشيطة ومرتاحة بدلا من ان يجابهه بعد الهجوم على طبرق حيث يحتمل ان تصبح تشكيلاته ضعيفة ومنهوكة القوى .

وعلى كل حال فان خططنا تغيرت من أساسها وتغير معهـا طريق حيــاتي .

٢

وعندما اوشك الهجوم على طبرق ان يبدأ اقتضى جمع كافة انواع المواد والقطعات البعيـدة او المفرزة في الاماكن الزائدة ليتسنى بذلك ايصال السرايا والافواج والكتـائب وحتى الفرق الى قوتها المؤثرة . وكانت بعض الوحدات ناقصة العجلات في حين ان غيرها كان ينقصها الوقود والزيوت والعتاد ، كما كان معظمهـا يعاني نقصا في الجنود والضباط .

وقد طلب الي ذات يوم ان اضع بين يدي رومل تقريراً عن الفرقة المدرعة الـ (١٥) فلاحظت منه ان نقص هذا التشكيل يكاد يعادل ٥٠ بالمائة من ملاكه الاصلي ، وذلك من جراء الخسائر والمرض . فقررت قراراً كنت افكر فيه منذ مدة طويلة . وفي الاشهر الماضية كان يعاودني حنين الى القيادة من حين لآخر . فتـذكرت الايام المسرة في

سنة ١٩٤٠ عندما كنت كامر سرية — بين ضباط وجنود في سني — فكنت اشاركهم المزاح والضحك كما كنت اشاركهم المصاعب والقتال. وكنت مستقلا وسيداً لنفسي على وجه التقريب. اما الآن فانا مرافق رومل، وكنت اعرف بالطبع ان كثيرين من الضباط يحسدون مركزي واتصالي القريب برومل. ولكن هل كنت في الواقع محظوظا الى هذا الحد؟. لاشك ان وجودي الى جانب قائد لامع كان ميزة كبرى لي، اذ كنت اراه وهو يضع خطط حركاته، وارقب تطبيق هذه الخطط وانطباعات القائد في المعركة. غير ان لمعظم الضباط فكرة خاطئة عن طبيعة واجبي الذي لم يكن سهلا على الاطلاق.

إذ كان علي ان ارتب امور القائد من مطلع النهار حتى مغيب الشمس وان أضع خطط فعاليته مقدما، وكان علي ان اكون خلال ساعات اليقظة كلها في حالة انتظار مستمر وتيقظ تام. كما كان علي أن ألاحظ كل كلمة يقولها وان افهم فحواها وان ادون بدقة في مفكرته الشخصية تفاصيل اوامره كلها، وتعليقاته، وملحوظاته، مع بيان الاوقات بالضبط والاماكن والاشخاص. وكان يجب ان استخرج كل أمر شفوي اصدره في الجبهة من المفكرة وان ابلغه بدقة الى ضابط الركن المختص. وعند السياقة كنت مسؤولا عن معرفة اسم المحل الذي نمر فيه في أية لحظة، وكان المنتظر ان أقود القائد من دون تردد الى اية نقطة صغيرة في الصحراء. وكان مما يرهقني الشعور المستمر بمسؤولية سلامة شخصه، واتخاذ التدابير بوجه خاص لحمايته ضد احتمال الهجوم الجوي المفاجيء من قبل الطائرات التي تطير بارتفاع واطيء. واذا ما انتهت الواجبات في النهار كان علي ان استمر على العمل ليلا

لأجيب على الرسائل الكثيرة التي كان معظمها شخصيا او شبه شخصي. والخلاصة لم تكن حياتي ملكا لي بل كان علي ان اكون ظلا للقائد ليس إلا . على ان الذي ألجأني الى قراري لم يكن طبيعة واجباتي المرهقة بل رغبتي المحضة لأن اخالط شبانا في سني ولأشاركهم في السراء والضراء. وشعرت بقوة اني افضل ثانيـة ان احس بشيء من الحرية الشخصية والاستقلال حتى ولو ادى ذلك الى ان اتولى منصبا اقل شأنا . ويجب ان لايعزب عن البال انني لم اطمح بالاحتراف في الجيش .

ان هذه الافكار كانت تتسابق في ذهني عندما وجدت نفسي اطوي ، واطوي ثانية ، تقرير الفرقة المدرعة الـ (١٥) بدون شعوري . فعدلت الطيات التي عملتها في الورقة واخذت نفسا عميقا وطرقت الباب ثم دخلت الغرفة . كان القائد يجيب نداءا تلفونيا بعبارته النشيطة المعهودة « رومل هنا » ، وكانت المحادثة طويلة ومهمة على مايظهر . وقد استفدت من هذا التأخير فرصة تمكنت خـلالها من تنظيم كلماتي . وعندما انتهت المكالمة التلفونية وضعت التقرير على منضدة رومل . فأخـذه وقرأه بهدوء . ثم هز رأسه وتناول قلما وكتب عليه (٢ آ - تكلم) واعاد التقرير لي مع كلمة واحدة « لا يمكن تصديقه » فأجبته « اجل ياسيدي القائد » وكان الوقت قد حان لأن اقول ماأريد . فسألني القائد وهو يتفرس في :

« ألديك شيء آخر ياشمث ؟ »

« أجل ياسيدي القائد . اتسمحون لي بأن ارجو باحترام نقلي الى وحدة مقاتلة ؟ »

وزفرفت عينا رومل برهة من الزمن ثم نظر الى عيني بشدة . وفي

هذه اللحظة الحرجة دارت فى رأسي الفكرة التالية : هل هو يفكر فى ان هذا الطلب لم يكن سيحدث او بقي معه (الدنجر) المخلص الذى لازمه منذ الحرب العالمية الاولى والذى كان على فراش المرض في المانيا ؟ وهل يظن انني قليل الشعور بالواجب ؟

وسألني رومل باسلوب شبه مزاحي وهو لايزال يحدق بي : « هل تعبت من العمل لي ياشمت ؟ » . فأجبته بسرعة وأنا غير صادق تماما : « لا ، ياسيدي القائد . ولكنى كضابط صغير ارغب ان اكون مع القطعات . » فأجابنى رومل جوابا غير متوقع قائلا :

« انك على حق ياشمت ولو كنت ملازما لعملت مثلك تمـاما » ثم اردف قائلا وفى عينيـه بريق غير اعتيادي « ان حياة ضابط الركن لاتروق لي ايضا . ثم لاك جانب شفتيه وقال لاشك انه يوجد نقص فى الضباط اللائقين للعمل فى الصحراء .. حسنا . »

واضاف جملة قصيرة اخرى الى تقرير الفرقة المدرعة الـ (١٥) وقال : « اذهب وواجه رئيس الاركان بشأن خلفك . »

وكان علي ان ادرب خلفي ليستلم مني . وقد سمح لي ايضا بأن اختار الفرقة التى سألتحق بها بمنصب آمر سرية . فوقع اختياري على سرية ثقيلة من كتيبة المشاة الـ (١١٥) من الفرقة المدرعة الـ (١٥) . وكانت هذه السرية مؤلفة من مدافع (٥٠) ملم ضد الدبابات ومدفع (١٥٠) ملم وفصيل مشاة وفصيل هاون وفصيل من هنـدسة الصولة . وكان خلفي الملازم الاول (كراف فون شويبنبورغ) وهو شاب خبر الحرب وكانت ذراعه الأيسر مقطوعة حسبما اتذكر . فشعرت نحوه

بالمودة حالا . على انني سمعت فيما بعد انه لم يبق مع رومل غير اشهر ثلاثة ولم اعلم ماحل به بعدئذ .

٣

وذهبت حالا لألتحق بالفرقة المدرعة الـ (١٥) التى وعدت بقيادة سرية ثقيلة فيها . وكانت هذه الفرقة وقتئذ على الساحل شرق طبرق ، وكانت الامطار الشديدة قد هطلت في الليلة الماضية في المنطقة القريبة من الساحل الا انها لم تصل الى الجنوب . ولا بد ان الذين كانوا فى الجانب البريطاني يتذكرون كيف ان الرمل انقلب الى طين فعرقل حركاتهم في اليوم الاول من حركة (كروسيدر) .

وكانت منطقة فرقتى قد انقلبت الى بحيرة من الوحل عمقها نحو قدم ، فقضى افرادها النهار كله في تخليص انفسهم من المستنقع .

وتحشدت الفرقة جنوب (غامبوط) تحت قيادة امير اللواء (نويمان سيلكو) . وكانت تطير فوقنا مئات من الطائرات البريطانية الا انها لم تتعرض لنا مطلقا . فبقينا في حيرة من ذلك ، وكانت طائراتنا في الوقت نفسه ، قد عجزت عن الطيران تقريبا من جراء المياه التى غمرت اراضي النزول .

ونظرت في خريطة الموقف فقررت ان موقف رومل مرضي نوعا ما . فقد جرى سحب الفرقتين المدرعتين الـ (١٥) والـ (٢١) والفرقة الخفيفة الـ (٩٠) قبل مدة من الزمن استعداداً للهجوم المقرر على (طبرق) في ٢٣ تشرين الثاني . وكان يحتل خطوط طبرق الفيلق

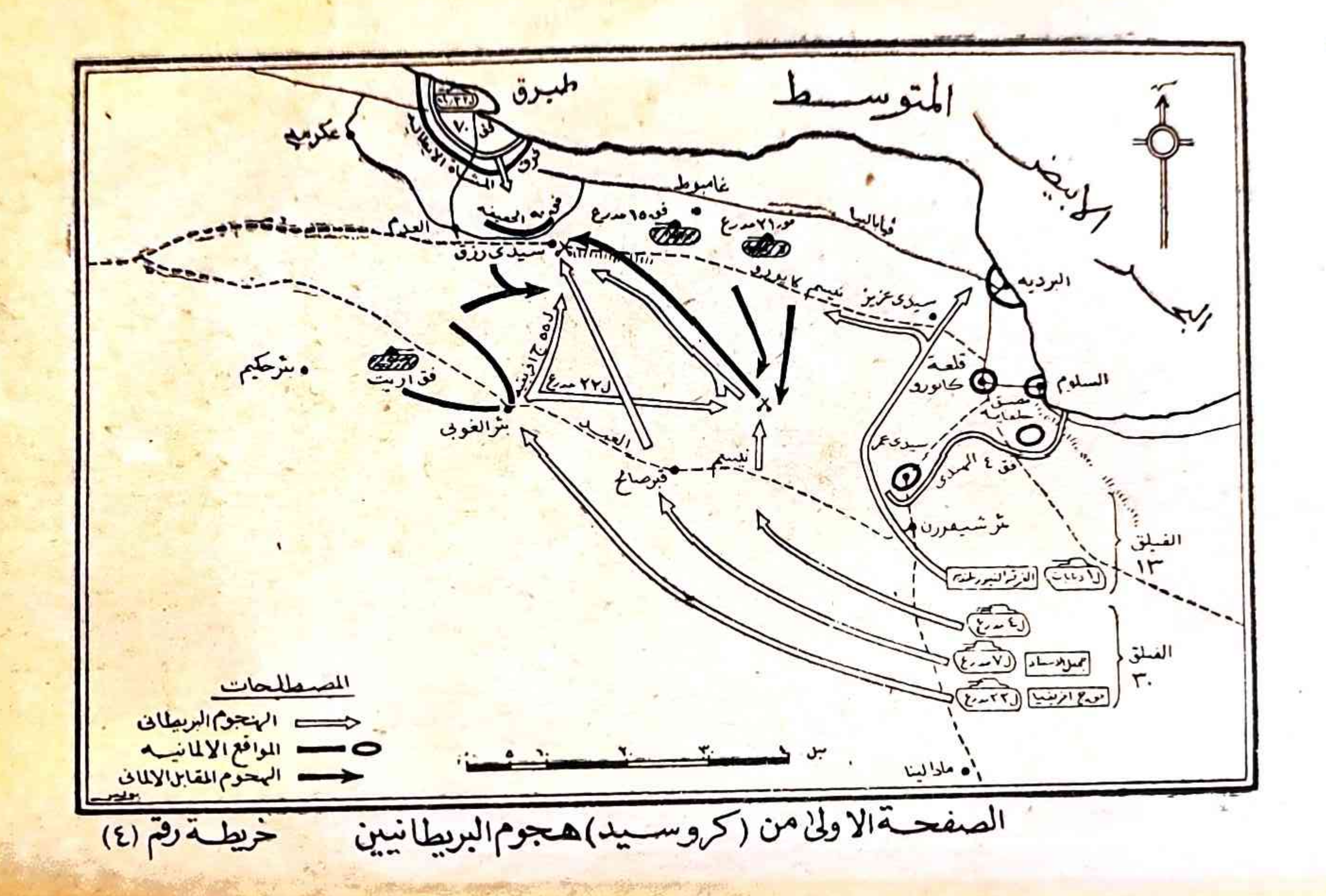
الايطالي الـ (٢١) المعزز ببعض افواج المشاة الالمانية . وكانت الفرق الـ (٢٧) (بريسيا) والـ (١٧) (بافيا) والـ (١٠٢) (ترينتو) والـ (٢٥) (بولونا) موزعة حول نطاق القلعة من الغرب الى الشرق . وكانت الفرقة الايطالية الآليـة الـ (١٠١) (تريست) في (بئر حكيم) والفرقة المدرعة الـ (١٣٢) (ارييت) (بئر غوبي) وفرقـة المشاة (سافونا) في (العمرين) . اما المثلث الدفاعي المؤلف من (الحلفاية) (والسلوم) (والبردية) فـكان يشغل معظمه الايطاليون وعناصر من فرقة المشاة الـ (١٦٤) الالمانية التي كانت تشتمل على عدد كبير من الاحتياط المسنين والمستجدين الذين لم يدربوا تدريباً كافيا .

والفت من الفرقة المدرعة الـ (١٥) عندئذ جحافل معركة ، وسرنا جنوبا بينما كانت المقاتلات البريطانية لاتزال تدوي فوقنـا من دون أن تهاجمنا . ثم تعرضنا بغتة لنار المدفعيـة من الجنوب الشرقي ، وازدادت النار شدة شيئاً فشيئاً فانتشرنا على جبهـة واسعة في الصحراء . الا اننـا تابعنا تقدمنا ودخلنا منطقة كان العدو قد غزاها من قبل فاذا بنا نحاذي في مسيرنا خطوطا تلفونية ملونة كان البريطانيون قد مدوها على ارض الصحراء فقطعناها .

ولحنا عن بعد دبابات ترفع رايات مستطيلة خاصة فعلمنا انها بريطانية . وقدرنا انها من الفرقة المدرعة السابعة .

ولم يشترك جحفلي الا في مناوشات صغيرة خلال الايام المرتبكة التي استمرت حتى ٢٣ تشرين الثاني .

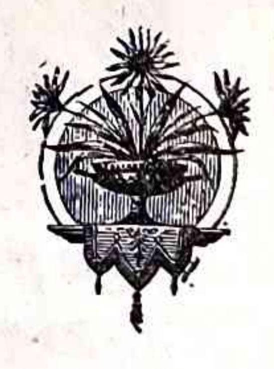
ووصلنا في صباح ذلك اليوم الى منطقة قريبـة من (سيدي رزق) وكانت منبسطة كمنضـدة (البليارد) ، وعند بزوغ النهار شاهدت



الصفحة الاولى من (كروسيد) هجوم البريطانيين — خريطة رقم (٤)



تحشدين كبيرين من دبابات العدو احدهما في الشمال والاخر في الشمال الغربي . ففتحت مدفعيتنا نارها عليها من مدى بعيد واشتبكت دباباتنا مع دبابات العدو في الافق البعيد . فراقبناها خلال ساعات الصباح . اما نحن فلم يزعجنا شيء . وانحدرت علينا مرة دبابات من اتجاه الشمال — وكنت قد هيأت مدافعي للمعركة — وهي من خمسة مدافع (٥٠) ملم ضد الدبابات . فلم اكد افتح النار على العدو حتى اشتركت معنا مدفعيتنا الثقيلة من الخلف فولت دبابات العدو هاربة والتحقت بتحشد آخر كان بعيداً في الشمال .



الباب التاسع عشر

الهجوم في (سيدى رزق)

حاولت ان افهم الغرض من هذه التنقلات — فبـدا لي ان هجوما يحتمل ان يشن ضدنا . ورأيت في الناظور عـدة بطريات من المدفعية البريطانية تظهر من تحشد الدبابات في الشمال ، فاصدرت الأوامر الى جنودي بحفر خنادق شقية . وقـد كان يجب ان نحفرها قبل هذا . وكانت الارض حجرية . فلم نكد نبدأ بالحفر الا ودوت القنابل الاولى فوق رؤوسنا .

وكان آمر الفوج ، وهو رئيس أول مسن من الاحتياط ، واقفا بجانبي كما ان المقدم القائم بوكالة آمر الكتيبة لم يكن بعيداً عنا ، وكان كلاهما هادئين . وفي اللحظة التي كنت انظر فيهـا اليهما شعرت ان نار العدو تزداد نشاطا . وبتأثير الغريزة مسكت ذراع الرئيس الأول الواقف بجانبي وصحت به « امتد حضرة الرئيس الأول » . وفي اقل من ثانية هبطنا الى خندق شقي ، فاذا بقنبلة تنفلق في المـكان الذى كنا فيه قبل لحظة او لحظتين ، فانتشرت الشظايا خـلال الغبار مارة فوقنا غير انها لم تصب أيا منا .

وارسل آمر الكتيبة طالبا ضباطه للاجتماع . فاستلمنا منه الاوامر التى صدرت اليه من الفرقة . لقد كان الموقف باجمعـه غامضا . ولم يكن رومل نفسه متأكداً من قوة العدو فاخبرنا بأن موقفنا خطراً يتطور

جنوب غربي طبرق على الهضبة العالية فى (سيدي رزق) . ورأى رومل بأنه يجب أن يقطع ، بعد قليل ، خطوط مواصلات البريطانيين جنوب (سيدي عمر) . لكنه ينبغي في هذه اللحظة الاهتمام في موقف (سيدي رزق) . وقد قال لنا المقدم :

« ان المعركة التي على وشك ان تقع في هذه المنطقة سيكون لها شأن عظيم . »

واستلمنا الأوامر ونحن وقوف بالرغم من الرشقات التي كانت تنفجر حوالينا باستمرار . وعندما سقطت رشقة جديدة على مسافة اقرب وقع أحد الضباط جريحا ، فامتد عدة ضباط على الارض كأن فعلا انعكاسيا حركهم خلافا لارادتهم .

فزجرهم المقدم قائلا « ايها السادة ! ان الضابط الالماني لا يمتد . »

وجوابا لذلك دمدمت للرئيس الاول قائلا « اما رأيي فاني اعتبر ان هذا التصرف مبالغ فيه ولا ينطبق على الحروب العصرية . »

فجفل الرئيس الاول لصراحتي ورمش بعينه وأومأ برأسه علامة الموافقة قائلا « نعم اظنك على حق . »

على اننا بقينا واقفين . وبدا ان البطريات المشتركة في القصف قد ازداد عددها اذ صارت القنابل تتساقط بكثرة حولنا ، فوقع ضابطان آخران جريحين فلم نر بداً من ان نستتر جميعا .

٢

وحان الوقت لاستئناف التقدم على (سيدي رزق) . وكانت اوامرنا تقضي بالهجوم على تشكيلات دبابات (كانتكهام) مهما كلف الامر ،

وتحطيم المشاة الساندين لها . ومع اننا لم نعلم هوية هؤلاء ، فقد كانوا جنود جحفل اللواء الخامس لافريقيا الجنوبية ، وكان يقودهم الزعيم (ارمسترونك) .

وركبت المدافع بجراراتها وجلس الجنود في مقاعدهم — فانتشرنا في السهل الواسع واتجهنا نحو الشمال الشرقي مرة اخرى . وكان العدو مرابطا جنوب مرتفع (سيدي رزق) بقليل — وقد قام قبل يوم بهجوم خائب على مواضعنا المدافعة عن ارض النزول الواقع على بعد ثلاثة اميال عن قبر هذا الامام المسلم — وتكبد فوج (اسكتلندي ترانسفال) الثالث وفوج (ايرلندي افريقيا الجنوبية) خسائر فادحة في حين ان كتيبة (بوتا) (١) كانت خسائرها اقل نسبة . وكانت هذه القطعات قد دخلت مأوى دفاعيا لقضاء الليل ، فارتكبت خطأ في وضعها عجلات التموين لنقليتها القدمة (ب) في جناحها الجنوبي مع كتلة من قطعات غير مقاتلة وملحقين مدنيين .

والظاهر ان هذه القطعات ظنت ان هجومنا سيأتيها من الشمال فاتخذت تدابيرها الدفاعية على هذا الاساس ، وفاتها ان تعلم ان تعبية رومل في معركة سيارة في الصحراء كانت تستهدف التصميد من جميع الجهات للعثور على جناح ضعيف وانزال الضربة عليه . وقد اصبحت تعبيته هذه واضحة حتى للعدو . ففي نحو الساعة الثامنة والنصف صباحا (الاحد ٢٣ تشرين الثاني) قامت بعض دباباتنا بمناوشة مع الدبابات البريطانية فتغلبت عليها وطاردتها . واستمرت المطاردة حتى دخلت موضع النقلية القدمة (ب) لقطعات افريقيا الجنوبية . فحدث من جراء ذلك اضطراب

---

(١) ان هذه الوحدات كلها من جنوبي افريقيا .

كبير ، وكانت مقاومة العدو ضعيفة الى حد بعيـد . وقد اخبر عن ذلك آمر دباباتنا بعد عودتهم من هـذه الغزوة ، فوضعت على اثر ذلك فوراً خطة للهجوم على مواضع العدو من الخلف .

وكنا في ذلك الصباح غرب قوات افريقيا الجنوبيـة في (سيدى رزق) فتحركنا قليلا نحو الجنوب فاخذت نيران مدافعها ذات الـ (٢٥) رطلا تربكنا . فاستدعينا دبابات اخرى كانت شرقنا فالتحقت بنا هـذه متنقلة عبر الجناح الجنوبي لقطعات افريقيا الجنوبية وضمن مدى قريب من مدافعها . وقد اندهشنا من قلة فتح النار على هذه الدبابات فعلمنا بعدئذ ان العدو ظنها خطأ رتلا مواليا — ربما كان لواء (بينارد) الاول وصل من الجنوب — غير انني لم اتمكن من فهم ذلك مطلقا لأن دباباتنا كان يسهل تمييزها من ارتال مشاة افريقيا الجنوبيـة . ثم ان العدو ارسل مدرعاته لتتحقق عن هوية هذه الدبابات فدحرت بنيران المدافع .

وكان لرومل مراصد على المرتفع الواقع شمال قوات افريقيا الجنوبية فبدأ يقصفها بعد الظهر ليوهم العدوان ذلك استعداد للهجوم من الشمال . لكننا في الواقع كنا نحشد قوة دباباتنا — التي كانت تقدر بنحو(١٠٠) دبابة — في الجنوب الغربي . وقد علمت ان تقارير عن ذلك وصلت الى مقر اللواء الخامس للعدو غير ان الظاهر انهم لم يدركوا الخطر ، وكانت امامنا قوات افريقيا الجنوبية وفي جبهتنا اليمنى جحفل الاسناد السابع . وكان اللواء المدرع السابع قد طرد من ارض النزول في معركة دبابات خاطفة قبل يوم . وكان غرب قوات افريقيا الجنوبية وفي جبهتنا اليسرى جميع الدبابات التي تركها اللواء البريطاني المدرع الـ (٢٢) .

وكانت الخطة ان تقوم وحـدتنا وهي كتيبة المشاة الـ (١٥)

بالهجوم ، وان يتعاون معهـا القسم الاكبر من دباباتنا من الجناح الايمن . وكان على الدبابات ان تندفع نحو الدبابات البريطانية وتحاول تحطيمها ثم تتخللها فتحدث الاضطراب في صفوف مشاة افريقيا الجنوبية بتمزيق نقليتها القدمة (ب) الضعيفة .

وكانت هذه خطة جيدة الا ان تنفيذها لم يكن سهلا كما يظن . وفي نحو الساعة الثالثة بدأنا بقصف تمهيدي واستعدت قواتنا الهاجمة للعمل . وكانت في الامام كتلة متحشدة من دبابات العـدو — اللواء المدرع الـ (٢٢) — وكانت تبدو لنا كأنهـا تؤلف حاجزاً . والى يسارها كانت مدافع افريقيا الجنوبية ضد الدبابات وذات الـ (٢٥) رطلا من بطرية الميدان السابعة (كما علمنا ذلك فيما بعد) .

وكانت هنالك بعض مدافع عيار (٥ ر ٤) عقـدة قوس علاوة على ذلك .

وانفتحت كتيبتنا الآلية متخـذة تشكيل القتال ، واندفعت مدافع ضد الدبابات الى الامام . وقد تنفسنا الصعداء عنـدما لاحظنا ان بعض دباباتنا اتت الى جناحنا الايمن .

وتلقينا امراً سريعاً ان « اهجم ! » وقاد الهجوم آمر الكتيبـة وهو واقف في سيارته المفتوحة ، منتصب القامـة ، وتبعته سيارة الرئيس الاول وكنت خلفه مباشرة . فمضينا رأساً صوب دبابات العدو . والقيت نظرة الى الوراء ، فاذا بعجلاتنا التي كانت مجموعة غريبة مختلفة الانواع قد انفتحت على شكل مروحة وانتشرت الى ابعـد ماتستطيع العين ان تراه . وكانت هنالك حاملات القطعات المدرعة وسيارات مختلفة الانواع وساحبات تجر المدافع السيارة وعجلات ثقيلة تحمل المشاة ومفارز آلية ضد الطيارات — وهكذا اندفعنا نزمجر نحو (مانع) العدو .

ونظرت الى الامام وأنا مفتتن بجلال المنظر . ففي المقدمة كان المقدم القائد للكتيبة بقوامه المنتصب ، وبالقرب من يساره وقليل الى خلفه كانت سيارة الرئيس الاول . وكانت قنابل الدبابات تصفر في الهواء كما كان المدافعون يرمون من فم كل مدفع من مدافعهم ذات الـ (٢٥) رطلا ومن مدافعهم ضد الدبابات الصغيرة ذات الرطلين . اما نحن فقد كنا فتسابق بسرعة انتحارية .

وترنحت سيارة آمر الفوج فوقفت بغتة . لقد اصيبت باصابة مباشرة . وسنحت لي الفرصة لأرى المقدم فاذا به مستمر على التقدم بثبات ، ثم سرعان ما تمايل الى الجانب وسقط من السيارة كشجرة مقطوعة . فمررت به بسرعة البرق .

وكان الرئيس الاول لايزال في الامام بعد ان استأنفت سيارته التقدم بالرغم من اصابتها .

واستطعت ان اميز مواضع مشاة العدو امامي . وكان في العراء شخص طويل نحيف البنية يركض الى الخلف كأن نافورة دفعته من انبوبها . وسمعت اصوات اطلاقات خلفي فتتبعت اثر الرصاص المذنب وهو يمر بي مبتعداً الى الامام — فتراآى لي انه يسير ببطء . وسقط ذلك الشخص الطويل .

واوشكنا ان نصل الى حجاب مدافع ضد الدبابات والدبابات فسرت رعشة باردة في عمودي الفقري ، اذ رأيت ثقوبا مستديرة صغيرة تتكون في واقية الريح لسيارتي كأن ميكانيكيا خفيفاً يثقبها فيها . انها نار رشاشة ! فأخذ سائقي ينحني شيئاً فشيئا خلف عجلة القيادة لئلا يصيبه الرصاص .

وترنحت سيارة الرئيس الاول وانقلبت على جانبها ، فبقيت

وحدي في الامام وسط هذه النار الجهنمية ولم أر في الجبهـة شيئاً غير المدافع وهي تقذف حممهـا . ثم حدثت فجأة رجة عنيفة وتلتها زعقة فهسهسة ، فتوقفت سيارتي تماما . ورأيت خندقا امامي فقفزت من السيارة واندفعت اليه . وقفز سائق مثلي ايضا ، لكنه قبل ان يتمكن من الانبطاح على وجهـه تصلب فجأة وانتصب فدار حول نفسه ثم انهار على الارض .

وجلست في احضان امنا الارض . وكنت بلا شك في موضع ستار تركه مدافعو (سيدي رزق) .

فرفعت رأسي بحـذر — عجبا ماذا حل بحشد العجلات التي كانت تندفع خلفي ؟

ياللسماء ! انها توقفت .

وماذا يفعل سائقي ؟ وهل هو حي يرزق ؟

انه مضطجع على مقربة مني — ميتا !

ولقد وقفت المروحة (١) العظيمة لعجلاتنا على مسافة بعيدة خلفي وهي لاتبدي حراكا . واكتشفت اخيراً ان راكبي العجلات بعد ان رأوا ضباطهم يتساقطون الواحد بعد الآخر امامهم ترددوا واضطربوا ثم توقفوا . غير ان ضابطا صغيراً كان لايزال على قدمه فلم شعثهم واستثار هممهم ودعاهم الى استئناف التقدم — فمنح على عمله الباهر هذا وسام (صليب الفارس) .

---

(١) لابد وان القارىء الكريم يتذكر ان هـذه العجلات اتخذت تشكيل المروحة عند تقدمها للمعركة . المعرب

وكان من الخطأ ان ارفع رأسي اذ كان واضحا انني اكتشفت .
وظهر بوضوح ان القذائف التي تمر بي الآن وهي تصفر مصوبة نحوي
فقط . وكان كلما ازداد تساقط الرصاص ازددت التصاقا بالارض .
وكان الخندق الشق لحسن الحظ عميق .

ثم سمعت صوتاً مضطربا اعقبه انفجار . وكنت اعرف هذا الصوت
جيداً . وقد تكرر مرة بعد اخرى — انه صوت قنابر الهاون !

فاصبحت الان واثقا من ان منيتي قد اقتربت . وكان فمي يابسا
وشفتاي ملفوحتين . ففكرت في اهلي . وقلت لنفسي : واذن فهذه هي
النهاية — حفرة تعسة في قذارة افريقيا ! . ثم فكرت في الأمر من
الناحية الفلسفية . وتساءلت ولكن لماذا يجب ان يختلف مصيري عن
مصير المقدم او الرئيس الاول (١) او سائقي ؟

ثم شعرت بلطمة عنيفة على حافة الخندق من انهيار في الرمل كاد ان
يطمر رأسي . فعلمت انني اصبت . لكنني شعرت حالا باطمئنان غريب
فلم اعد اهتم بالموت .

وانقطعت النار على اثر ذلك . فبقيت مضطجعا من دون حراك ،
فشعرت بألم في رجلي اليمنى لكنني كنت استطيع ان احركها . وتحسست
العمود الفقري والحوض والورك وعظام الفخذ واذا بها سالمة . فلم اكن
اعاني غير اهانة جرح في مقعدي .

---

(١) على الرغم من ان الرئيس الاول جرح جرحا خطيراً فانه لم يمت . وقد
قابلته ثانية في ايطالية في آخر الحرب .

وماذا بعد الآن ؟ هل سيتقدم العدو فيجدني ؟ . لم اتمكن من ان امنع نفسي من التفكير في الحراب الاسترالية . ولكن هل الذين امامي استراليون . أم انكليز ، أم نيوزيلنديون ، أم هم من افريقيا الجنوبية ؟؟

ثم مابال قطعاتنا لاتستمر على تقدمها ؟ واين هي دباباتنا ؟ لقد اعطتني جوابا ، اذ بدأت القنابل تصفر فوق رأسي وهي آتية من الخلف . وصار قصفنا الآن يفوق شدة النيران التي يردها الجنود الذين أمامنا . وكانت مدافع ضد الطيارات الخفيفة تجلجل . كما ان زعيق الدبابات وهديرها صارا يتعاليان شيئا فشيئا ويقتربان . وعندما اصبح الدوي فوقي تقريبا قمت واقفا .

فصاح جندي من كتيبتي وهو يقفز علي : « هو ذا أحدهم . . »

فصحت به وقد تولاني شعور غريب ممزوج بالغضب والارتياح : « يالك من احمق . . ! »

فتردد ثم عرفني وتخلى عني وهو يبتسم ، ثم استأنف التقدم فتبعته وأنا اعرج .

والتهبت النيران بالدبابات البريطانية فاعتراها سكون مميت . وانهزم بعضها متراجعا من بين عجلات افريقيا الجنوبية فعقبتها دباباتنا ، فاصيب بعضها باصابات مباشرة من المدافع الافريقية الجنوبية الا انها نجت من الضرر لتنطط القنابل بعد مس الدروع او لانفلاقها عليها من دون ان تحدث أذى . وظهر ان كثيرا من المدافع الافريقية الجنوبية لم تكن في وضع الرمي . وكانت مواضعها غير محفورة كما ان بعضها لم يزل على حاملاته وربما كانت هذه معطوبة او عاطلة . ولكن لو فرضنا انها

كانت كذلك لوجب ان توزع بشكل ملائم لمجابهة هجومنا لكى تبدو خطرة اكثر .

وانقلب موضع قطعات افريقيا الجنوبية الى فوضى تامة . فصارت دباباتنا ومشاتنا تسرح وتمرح بينها ، وسرعان ما اكتسح مقر اللواء اسيرا . والفت الدبابات رتلين رئيسيين فشرعت في اسر مشاة كتيبتي (بوتا) و (ايرلندي افريقيا الجنوبية) . اما (اسكوتلنديو الترانسفال) فكانوا على مسافة في الشمال وقد جرى اسرهم فيما بعد . غير انه قبل ان تنتهي المعركة هوجمت قطعات افريقيا الجنوبية في آن واحد من كل جهة ومن كل زاوية فكانت لا تعرف ماذا يحدث .

ثم بدأت قطعات العدو تظهر من بين الانقاض ، ومن بين الدبابات والعجلات المشتعلة ، ومن بين المدافع الصامتة ، وهي رافعة يدها الى السماء . وكان بعضهم يلعن فوق اكوام القنابل المرمية ، اذ كان عتادهم قد نفد . وكان جنود اسعافهم يداوون جرحاهم الكثيرين .

وطلبت ارسال الاطباء والمراسلين الطبيين لمساعدتهم فجاء من هؤلاء عدد غير قليل . واشتكى ضابط من افريقيا الجنوبية من أن الضمادات لم تكن كافية للجرحى . فاشرت بصمت الى جرحي المشين — وكان الدم قد سال على ساقي وجمد على بدلتي العسكرية . ولاحظت بغرابة الدثار الكبير الذي كنت البسه عندما دخلت المعركة . وكان قد ارتفع منطويا على ظهري عندما كنت مضطجعا في الخندق الشقي . فكان فيه اربع وعشرون ثقبا بعضها مستدير بانتظام وبعضها الآخر شقوق ممزقة . فنحن ايضا كنا نعاني نقصا في ضمادات الميدان وفي الاربطة خلال ذلك اليوم .

وفي الغسق ضمدوا جرحي واستطعت ان احصل على كوب من الشاي الحار . ونمت في تلك الليلة على وجهي وأنا ارتدي سروالي يحيط بي الموتى والجرحى والاسرى من كل جهة . وتمكن كثيرون من جنود افريقيا الجنوبية من التملص من الاسر مستفيدين من الظلام ، في حين ان الباقين كانوا منهوكي القوى لدرجة لم يتمكنوا معها ان يقوموا بمجازفة يائسة سيراً على الاقدام في ظلام الليل ومجاهل ميدان المعركة في الصحراء .

وانبثق الفجر على الفوضى السائدة في (سيدي رزق) . وكان الدخان لا زال ينبثق من الانقاض . وكان الرجال مضطجعين بعيون لامعة يحدقون الشمس التي لم تشرق لهم .

والف من الاسرى عدة صفوف ثم ساروا تحرسهم بضع عجلات ومفارز من قطعاتنا . وسقت سيارتي بجانب احدى ارتال الاسرى خلال الستة اميال الاولى من مسيره نحو الشمال . فشرع رئيس عرفاء الماني وقح يدعى (تود) ينشد باستهزاء « سنعلق ملابسنا المغسولة على خط (سيكفرد) . . » (١) . فحملق فيه بعض الاسرى الاماميين من الرتل السائر ، وكشر البعض الآخر من الخلف بتهكم وجرأة وامسك غيرهم عن الكلام — إلا انه لم تمر بضع ثوان إلا وكان جميع الرتل ينشد بقوة « سنعلق ملابسنا المغسولة على خط (سيكفرد) » ولكن ماذا في وسعنا ان نفعل بهؤلاء ؟

---

(١) (We Will Hang ont our Washing on The Siegfried Line)

وهي اغنية مشهورة كان يتغنى بها الانكليز في بدء الحرب العالمية الثانية عندما كانت مواضعهم تواجه خط « سيكفرد » الالماني . المعرب

لقد انتهت الحرب بالنسبة لهؤلاء .

اما أنا فجاءتني أوامر جديدة تقضي بأن نضرب شرقا في فوضى تلك المعركة المتأرجحة . فنظرت في لوحة خريطتي وفي العلامات الحمراء والزرقاء المؤشر عليها .

ان هذا المكان حيث يرقد الموتى وتنتشر العجلات هو (سيدي رزق) فكم من مرة مررت (بجامع مربوط) هناك برفقة رومل . وكم تناولنا فطورنا او غداءنا على مرأى من ذلك الضريح . ولولا تلك البناية ذات القبة البيضاء لم يكن في (سيدي رزق) مايبرر تسميتها باسم . ولم يدر بخلدنا قبل هذا ان ذكرى هذا المكان ستبقى ماثلة في اذهاننا الى الأبد !

هذا اذن كان (سيدي رزق) . لقد اصبح له الآن اسم يذكر والحق يقال !

الباب العشرون

فوضى الصحراء

حال سقوط (سيدى رزق) جاءتنا وصايا رومل تفيد : انه لما كان لايزال لدى (اوكلنك) قطعات دبابات قوية فهو لا يريد ان يبدد قواته المدرعة في قتال مستمر ، كما انه يجب علينا ان نتجنب الخسائر على انفراد . »

لذلك قرر أن الانتكاس الذي مني به الجيش الثامن في (سيدي رزق) لم يقتصر على تدمير لواء افريقيا الجنوبية الخامس فحسب بل ان الضربة الشديدة التى اصيبت بها الدروع البريطانية وانهاك قوى جحفل الاسناد السابع بالقتال العنيف ، واضعاف القطعات النيوزيلندية الماهرة ، كل ذلك مما ولد ظروفا نفسية ملائمة لخلق حالة من الفوضى باتجاه الحدود جنوب مواضعه الدفاعية بين (الحلفاية) و (سيدي عمر) .

ولابد أن القاريء يتذكر أن رومل غرس في القطعات التى كانت جوار (الحلفاية) الاعتقاد بأن كل نقطة قوية هى قلعة منيعـة مكتفية بذاتها ، ويجب ان تكون لديها ساحة نار الى جميع الجهات . وانه حتى وان اختفت قواتنا السيارة أياما او اسابيع عن المدافعين في النقاط القوية ، فينبغي ان يحتفظوا بمواضعهم مهما كلف الأمر وان يعتقـدوا اعتقاداً جازما بأن فيلق افريقيا سيرجع لتخليصهم .

وادرك رومل الخطر الناجم من احتمال نجاح (اوكنلك) في الاتصال

بحامية طبرق ، غير انه كان يرى ان ذلك سوف لايقوى الجيش الثـامن مالم تحدث معركة حاسمة ولا سيما في الدروع بين طبرق وجبهة السلوم .

ومن هنا نشأت فكرة الغارة الرائعة نحو الشرق عبر الاسلاك الشائكة تلك التى أمران يقوم بها (فون رافنشتاين) وفرقته المدرعة الـ(٢١) .

وكان استطلاعنا الجوي وقتئـذ ضعيفا ، في حين ان استطلاع البريطانيين كان ممتازاً . فلم نكن نعلم بوجود مستودعين من مستودعات التموين المتقدمة الكبيرة — وهما المستودع (٦٣) والمستودع (٦٥) — على بعد نحو (١٥) ميلا جنوب شرقي (قبر صالح) .

فلما انزل فون (رافنشتاين) ضربته على (نيسم العبد) وشق طريقه عبر الحدود محدثا الارتباك في مقر معركة (كاننكهام) ، شمال هذين المعسكرين فاضاع بدون أن يعرف فرصة عظيمة . ولو كان قدصادفها لاحتمل ان يتغير مجرى معركة الصحراء اذ كان البريطانيون يعجزون عن ادامة النيوزيلنديين وجعلهم يستمرون على القتال — مع العلم ان هؤلاء هم الذين كسبوا معركة تشرين الثاني بالدرجة الاولى . واندفع فون (رافنشتاين) الى الحـدود يوم ٢٤ تشرين الثانى وهو اليوم التالي لانتصاراتنا على قوات افريقيا الجنوبية في (سيدي رزق) . وكان مقر رومل المتقدم وقتئذ في (البردية) الا انه كان يترك مقره ويذهب بنفسه الى منطقـة القتال . فكان يعتقد ان القيام بحركة مقابلة نحو مصر ستكون ناجحـة ، وستربك البريطانيين على الاقل ان لم يكن فى الامكان استثمارها اكثر . ولا شك ان ارتال فون (رافنشتاين) قد سببت ذعراً لدى البريطانيين اذان احدها ، وهو الذي سار جنوبا طوار الاسلاك ، احدث فزعا في المقر المتقدم للجيش الثامن . وهاجم الاخر

الهنود في (سيدي عمر) مرتين من دون نجاح تام ، وان استولى على كثير من الاسرى . وفي ٢٥ تشرين الثاني كان فون (رافنشتاين) على مسافة (١٩) ميلا داخل مصر وعلى بعد لا يتجاوز الخمسين ميلا عن رأس سكة البريطانيين في (بئر ثلاطة) في الصحراء .

وكان لدى فون (رافنشتاين) البنزين الكافي لقطع مسافة اخرى . وكان رومل ، وهو في موضعه في الجبهة ، يريد ان يسدد فون (رافنشتاين) ضربته الى مسافة أبعد على ما اظن ، ولكن المقدم (ويستفال) رئيس شعبة (١ آ) في مقر رومل ، قرر بعد ان درس الخرائط البريطانية المستولى عليها وتقارير قواتها العمومية ، ان التعرض المقابل أمر يتعذر اجراؤه .

وكان يرى القطعات البريطانية قوية جدا ، لاسيما وان فرقة افريقيا الجنوبية الثانية التي كانت شرق خط (الحلفاية) لاتزال نشيطة تنتظر . فادرك اننا لانستطيع التغلب عليها بقواتنا وهي في حالتها الحاضرة من فقدان النظام والضعف الذى اصابها من جراء المعركة . وعلى هذا فانه ارسل في صباح يوم٢٦ تشرين الثاني برقية لاسلكية الى فون (رافنشتاين) مفادها « ارجع » فشقت الفرقة المدرعة الـ (٢١) طريق العودة عبر الفرقة الهندية الرابعة وقامت بهجمات ضعيفة على (كابوزو) و (موسيد) وهي متجهة شمالا نحو (البردية) . ثم مرت من احدى الثغرات التى فشل النيوزيلنديين في سدها شرق ثكنات (السلوم) فدخلت قلعة البردية .

وكان رومل قد عاد من جبهة القتال واغتنم فرصة راحة قصيرة نام خلالها في ماموثه ، فراجعه فون (رافنشتاين) شخصياً واخبره بشيء من الافتخار عن تمكنه من اجتياز العدو والعودة بسلام . فانتفض رومل

وقد استولت عليه الدهشة والغضب وصاح به « لماذا أنت هنا ؟ لقد أمرتك أن تكون في موضع تستطيع منه الهجوم شرقا نحو مصر » . فاخبره فون (رافنشتاين) بالبرقية التي أمر بها أن يعود عبر اسلاك الحدود ، غير ان رومل ادعى بصراحة انه لا بد وان تكون هذه البرقية كاذبة وان الانكليز هم الذين ارسلوها مستفيدين من جفرة استولوا عليها من فيلق افريقيا . ولما اخبره ضابط ركنه فون (ويستفال) بأنه هو الذي ارسل هذه البرقية مبيناً الاسباب التي دعته الى ذلك ، ايد رومل ان عمله كان صحيحا على ضوء المعلومات التي كانت لديه ، تلك المعلومات التي لم تصل الى رومل نفسه لوجوده وقتئذ مع الارتال السيارة .

٢

ولتنفيذ خطة رومل ايضا ، تحرك جحفل معركة من الفرقة المدرعة الـ (١٥) ، وكنت أنا فيه من منطقة (سيدي رزق) بسرعة متجها من جنوب (غامبوط) شرقا صوب (البردية) .

وفي (سيدي عزيز) ، حيث اشتبكنا مع النيوزيلنديين بقتال عنيف يوم ٢٧ منه واسرنا مقر لوائهم الخامس ، اتذكر كيف ان سريتي رأت عجلة بريطانية ضخمة تستعمل لانقاذ الدبابات وقد ركبت عليها باتقان الروافع والبكرات وتحرسها بضعة عجلات اخرى . وكانت تتراءى لنا كأنها غنيمة ثمينة . فطاردناها بمفرزة سيارة صغيرة يرافقها مدفع خفيف مركب على ساحبة . وعندما اقتربنا منها ترك السواقون عجلتهم واخذوا موضعا في الارض المتكسرة الواقعة على مقربة منها فصاروا يرموننا . وبعد الاستيلاء على غنيمتنا ، عدنا الى القسم الاكبر من رتلنا . ووقفنا

مدة قصيرة بعد ذلك بساعة بغية اعادة التشكيل ، فانتهزت الفرصة للقيام بزيارة سريعة لمستشفى الميدان هناك لتنظيف جرحي وتضميده ولتناول حقنة ضد الكزاز .

وبعد ساعتين التحقت بوحدتي . فأمرني الملازم الاول (ويشسيل) الذي تولى قيادة الفوج عندما جرح آمره في (سيدي رزق) ان اجعل سريتي في ذيل الرتل . ثم تابعنا المسير في الجانب الليبي من اسلاك الحدود متجهين جنوبا فمررنا بكابوزو (التي شن عليها هجوم خادع) و (بالعمرين) ثم يممنا شطر (مادالينا) . وكانت تأتينا النيران من حين لآخر تارة من اليمين واخرى من اليسار .

وتلقيت مرة خبراً خطيراً مفاده « دبابات خلفنا » فاسرعت الى اول الرتل لأخبر (ويشسيل) فسمعني هذا واجاب باختصار (روملي) « اطلق عليها النار ! » .

وعدت الى جنودي فأوعزت الى الملازم الذي يليني في القدم ليتولى قيادة السرية وامرت رعيلا (من ثلاثة مدافع ضد الدبابات) ليخرج من الرتل .

واستمر الرتل في التقدم ، وبعد بضع دقائق صار يرى عن بعد كسحابة غبار ليس الا . وهيأنا مدافعنا للرمي . وبعد قليل تحقق الخبر حيث رأينا دبابات بريطانية ذات العلامة (٢) تعقب اثرنا — كان عددها اثنتى عشر دبابة وكانت تتدحرج الينا ضمن مدى المدافع . فصوبنا سدادات مدافعنا عليها اثناء تقدمها نحونا . وحالما اصدرت امر الرمي خرجت ثلاث قنابل لتحييها . فاشتعلت النار بالدبابة الامامية . وخففت الدبابات الباقية من سرعتها فانتشرت .

ثم اكتشفتنا الدبابات فوجهت رشاشاتها علينا ، وكانت نيرانها تمر بنا ونحن ممتدون خلف مدافعنا . وقد كشطت رصاصة منها كتفي . ثم انتشرت الدبابات اكثر من قبل وظهر ان التي كانت في الجناح تتحرك نحونا كقرون جيش (الزولو) (١) . وبدا لي ان الموقف خطير . فنظرت الى الوراء وفي رأسي فكرة مهمة عن الانسحاب ، لأرى امكان ذلك وسط هذه النيران . ولكن يا للهول ! لقد رأيت دبابتين بريطانيتين اخريين من ذوات العلامة (٢) تتحركان نحونا .

ثم تنفست الصعداء عندما لمحت علامة السواستيكا عليها . لقد كانت من الدبابات البريطانية التي استولينا عليها في مضيق (حلفاية) أثناء « معركة الفاس » قبل أشهر مضت . فزمجرت الدبابتان ووقفتا الى جانبي فتبادلت مع رئيس العرفاء الذي يقودها بضع كلمات بسرعة ، فصاح بي « اسرع في اللحاق بالرتل مع مدافعك يا سيدي الملازم فسأثابر على سترك » .

وقطعت الدبابات البريطانية نارها فخمنت انها احتارت عند ظهور الدبابتين خلفنا فظنت أنهما ستأسراننا ، وقبل ان تتمكن من تحليل الموقف كنت قد حركت مدافعي وانطلقنا للالتحاق برتلنا . وظل رئيس العرفاء ودبابتاه يتربصون بالعدو خلفنا ليستروا انسحابنا . واستغرق الوصول الى الرتل ساعة واحدة . وعندما وصلنا اليه كان الظلام قد خيم .

٣

واستدعى جحفلنا من واجب الغارة على (مادالينا) ومحاولة الاستيلاء

---

(١) (زولو) قبيلة كبيرة في جنوب افريقيا .

على مقر الجيش الثامن . ولست أدري في الحقيقة مالدافع لذلك ؟ فقد اتضح الآن انه كان في وسعنا ان نقضي بسهولة على مقر (كاننكهام) لأنه لم يكن محميا . والظاهر ان رومل قرر وقتئذ انه لابد من استعادة الموقف جوار (سيدي رزق) فقد كان النيوزيلنديون اثناء ذلك قدشقوا طريقهم شرقا الى (سيدي رزق) و (بيل حامد) بعد ان تركوا لواء خلفهم في (سيدي عزيز) فاستولوا على (سيدي رزق) ليلة ٢٥ تشرين الثاني ، ومما ساعدهم على ذلك عدم وجود دبابات لدينا بين (سيدي رزق) والبردية في ذلك الوقت . وفي اليوم الثاني قامت حامية (طبرق) بحركة خروج ناجحة عبرمواضع الايطاليين فاتصلت بالنيوزيلنديين يوم ٢٧ منه وفي أثناء ذلك استطاع لواء افريقيا الجنوبية الاول من الصمود بثبات خلف حجاب من مدافع ٢٥ رطلا في (طيب العسم) فصدفرقة (اريبت) الايطالية وبعضا من دباباتنا .

وارسل رومل من البردية أمراً لاسلكيا الى جميع القطعات بالعودة من واجباتها في الحدود ، وقد استخدم كل دبابة لديه لضرب الفيلق البريطاني الـ (١٣) بين البردية وطبرق . وكانت الفرقة المدرعة السابعة البريطانية قد لمت شعثها ثانية وكان لديها (١٢٠) دبابة صالحة ، فحاولت مراراً عديدة بعد الظهر ان تصد فرقة (رافنشتاين) إلا ان الدبابات التي خسرتها في هذه المعارك زادت على خسائرنا .

على ان البريطانيين نجحوا نجاحاً واحداً كبيراً — اذ وقع (فون رافنشتاين) بطريق الصدفة أسيراً في ايدي نيوزيلندي الفريق فرايبورغ فكان اول قائد الماني أسر في الحرب . وأسر في ذلك اليوم الرئيس الاول (وستفيلد) من هيئة أركان فيلق افريقيا وفقدنا (٦٠٠) جندي علاوة على ذلك .

وكنت قد تحدثت مع فون رافنشتاين قرب (سيدي عزيز) قبل أسره بساعتين ، وربما كان هذا هو السبب الذي جعله يقرر ان يسمي نفسه « العقيد شمت » عندما وقع أسيراً بيد العدو ، وكان يأمل ان لا يعزوا علامات رتبته ، لكنه بعد ان اخذ الى الفريق (فرايبورغ) قدم نفسه له قائلا من تلقاء ذاته « فون رافنشتاين امير لواء . »

وكانت مع (فون رافنشتاين) خارطة تبين توزيعاتنا بصورة تامة فوقعت هذه ايضا بيد العدو

وقضى (فون رافنشتاين) ايام اسره في كندا ولم يطلق سراحه إلا سنة ٩٤٨ حيث عاد الى المانية . وهو يسكن الآن في (اسير لوهن) وهو نفس المكان الذي قابلته فيه لأول مرة عندما كنت افضي خدمتي العسكرية قبل الحرب .

٤

وعهد الي في ذلك اليوم قيادة مؤخرة مؤلفة من سريتين ، فضايقتنا باستمرار الدبابات وسيارات الاستطلاع التى كانت تعقب اثر ارتالنا المدرعة اينما تحركنا . وكانت معركة الصحراء بالنسبة لي قتالا غريباً يجري بصورة معكوسة . فبينما كنا نشق طريقنا بالقتال الى الامام من جهة ، كان على أن أنظر دوما الى الوراء وان اقف لاقاتل ثم استأنف الحركة الى الوراء . وكثيراً ما كنا نضطر لأن نتجه الى اليمين تماما اذ كان العدو يحيط بنا من الجنوب ايضا . وقد كانت سريتاي تتحركان

دباخا (١) بالتعاقب فبينما كانت احـداها تقف وتقاتل كانت الاخرى تتحرك الى الخلف ثم تقف لتسند الأولى اثناء انسحابها ومرورها بها. وكانت الصحراء ملآنة بارتال العدو السيارة الصغيرة — وهي التي سميت بـ « بأرتال جوك (٢) » — وكانت هـذه مزعجة كالبعوض إلا انها ليست أشد وخزا منه في النتيجة — وفي الواقع لم تكن هذه قط قوية بدرجة تستطيع معها ان تحدث ضرراً شديداً.

وكان رومل لايزال يعتقد ان الخسائر التي تكبدها العدو تزيد على خسائرنا. وعندما ساء الجو في ٢ كانون الأول شرع في اعادة التجحفل (٣) فتحشدنا متجهين نحو منطقة (سيدي رزق).

وكانت الايام التالية مبهمة إلا أن المرء ليتذكر قتالات محلية كثيرة وانني اذكر بصورة خاصة قتال مؤخرتي من (البردية) الى (الدودة). فقد هاجمتنا قطعات قوية من الدبابات التي تعقبت أثرنا بشدة عظيمة لدرجة اننا لم نكد نجد متسعاً من الوقت لنأخـذ مواضعنا الدفاعية المعتادة. وشعرت بارتياح عظيم عندما جاءنا اسناد مدفعي غير متوقع من احدى مواضعنا الدفاعية جنوب (الدودة) وقد قصفتنا الطائرات في ذلك النهار. وفي اليوم التالي حاولنا عبثاً التغلب على مقاومة البريطانيين العنيدة في

---

(١) « دباخا » ترجمة (Leap — Frog) « وهو اصطلاح عسكري وضعه المؤلف اعلاه. « المعرب »

(٢) (Jock eolumns) « نسبة الى القائد البريطاني الذي استخدمها لاول مرة في حركات الصحراء الغربية. (المعرب)

(٣) اعادة التجحفل — وهو مصطلح عسكري معناه اعادة تقسيم القوة الى جحافل او مجموعات.

(الدردة) نفسها . اذ قامت دبابات العدو بعدة هجمات مقابلة جريئة من (الدردة) فنالت نجاحا لا يستهان به . ومن بعد ذلك قرر روملی نهائيا انه لا يستطيع ان يفعل شيئا لدفع الجيش الثامن بقوة الى الوراء. فامتد خطنا الامامي من جنوب (العدم) بقليل متجها نحو (بئر غوبی) .

وانتهزت الفرصة لزيارة مستشفى الميدان في (العدم) واخذ حقنة أخرى ضد الكزاز لأن جرحي لم يشف تماما . وقد صادفت خارج المستشفى (فرايهر فون نوراث) ابن البارون (فون نوراث) وزير الخارجية الالمانية السابق . وكان (فون نوراث) في طرابلس ممثلا استشاريا ، اما هنا في الصحراء فكان يحمل رتبة (سوندر فورر) (١) شبه عسكرية . ولست ادري ماذا كانت واجباته . لكن المفروض انه كان مهيئا للقيام بواجب ضابط الشؤون المدنية فى المدن التي نستولي عليها من العدو .

وأخيراً أخذت فرقة افريقيا الجنوبية الثانية التي تشترك في المعركة من قبل ، تتقدم نحو الغرب . وكان قتال المهارشة جوار (سيدي رزق) معقداً بشكل لا يمكن البحث فيه هنا بالتفصيل . وقد انتهى بتفوق الجيش الثامن . وعلى اثر ذلك أمر روملی بانسحاب عام .

---

(١) وهي رتبة خاصة من الرتب التي تمنح للذين يقومون بواجبات تتعلق بالشؤون المدنية فى الحرب .

الباب الحادي والعشرون

المؤخرة

« في ١٢ كانون الأول وصل رومل تحت ستر قتالات مؤخرة — كلفته ثمنا باهضا — خطا يمتد من (الغزالة) نحو الجنوب الغربي ». هذا ماذكره تقرير رسمي بريطاني فيما بعد . ولا شك انني تدربت تدريبا خاصا على اعمال المؤخرة في هذه الايام القلائل . وتلقيت قرب مرتفعات (الغزالة) اوامر اتقضي بتأسيس خط دفاعي واسع يتجه شرقا بقوة سريتين ومدفعين بعيدي المدى (عيار ٢١٠ ملم) . فاستطلعت الموضع على عجل ووزعت نقاط الاسناد المختلفة واسست مقرى في الجناح الجنوبي حيث اعتقدت ان احتمال الهجوم منه اكثر من غيره .

واقتربت دبابات العدو الاولى حوالي الظهر ، وكانت تتحرك بعيدة نحو جنوبنا وفي اسفل مرتفع (طهار) . ففتحت مدافعنا البعيدة المدى نارها عليها إلا ان الدبابات لم تبال بذلك بل استدارت شمالا واندفعت نحو جناحنا . وفي الوقت نفسه تقدمت علينا من الامام قوة أخرى من الدبابات وهي منتشرة — وكان عددها يتراوح بين ثلاثين واربعين دبابة . وكنا ممتدين خلف مدافعنا ضد الدبابات التي كانت مواضعها محفورة بصورة جيدة ومغشوشة غشاً حسناً .

وضبطنا نارنا في بادىء الأمر ، ثم فتحناها عندما اصبحت الدبابات

على مدى قصير فاشتعلت النار في دبابتين حالا وترددت الدبابات الباقية عن التقدم . وبتأثير نيران مدافعنا البعيدة المدى أيضاً اضطر البريطانيون على التراجع والانسحاب الى خارج المدى المؤثر لاسلحتنا .

وكنا نرى من بعيد عدة مئات من عجلات الجيش الثامن تتقدم غربا تتخللها الدبابات .

ولما حل الظلام استلمت أوامر تقضي بارسال المدفعين البعيدي المدى اللالتحاق بالقسم الاكبر . وأمرنا أيضا بأن لانترك مواضعنا مهما كلف الأمر حتى تصلنا وصايا أخرى .

وانتظرت وصول الأوامر طيلة ليلة الشتاء الطويلة إلا ان انتظاري كان عبثاً . ولما كان من الواضح اننا لانستطيع ان ننسحب في ضوء النهار فقد هيأت نفسي للقتال حتى النفس الأخير وبينما أنا كذلك أذ بأوامر الانسحاب تأتي لاسلكيا قبيل الفجر . فبلغت الوصايا بجهازي اللاسلكي السيار الى سريتي الشمالية التي يقودها الملازم (كلينك) إلا انني لم استلم اعترافا بوصولها ، لذلك ارسلت على عجل ساعي دراجة بخارية ليتصل به ، فلم يعد الساعي . وكانت وسيلتي الأخيرة ان ارمي اطلاقات التنوير آملا ان يفهم (كليتك) معناها . ثم تحركنا بهدوء نحو الغرب وقد خمن (كلينك) معنى الانوار التى اطلقتها وتمكنت سريته بعد ثمانية أيام أن تلتحق بنا بعدمخاطرات متنوعة ضاربا عبر الجبل الاخضر بينما سرنا نحن في الصحراء .

وطلع الفجر علينا ونحن نسوق بسرعة جنونيـة . فتمكنا ان نسير سيراً حثيثا تحت شعاع شمس الشتاء الكئيبة . وكان رتلنا طيلة ذلك اليوم علامة الحياة الوحيدة على سطح الصحراء .

وفي ذات مرة جاءتنا اسراب من القوة الجوية البريطانية يقدر عدد طائراتها بنحو (٦٠) طائرة فظننت اننا سنلقي منها اذى كبيراً . وفي غمار اليأس أمرت الرتل بأن يرمي بكل مالديه من سلاح ولكن الغريب ان الطائرات اجابتنا على ذلك بارسال مشاعل التميز . فقبلناها شاكرين ، وقطعنا النار . ولا يمكن تفسير هذه الحادثة الغريبة الا بشيء واحد وهو إنه : لابد وان الطيارين اعتقدوا باننا رأس رمح الجيش الثامن المندفع غربا وذلك لكثرة وجود العجلات البريطانية الاسيرة ذات اللون الرملي في رتلنا .

ولحقنا بالقسم الأكبر من قوتنا في اليوم الثاني — وليتنا تأخرنا قليلا اذ كان تشكيل جوي يهاجم القسم الاكبر عند وصولنا . فصرنا نخبط خبط عشواء تحت قنابل العدو التي كانت تنهال علينا من كل جهة . وقفزت من سيارتي الى حفرة . فلما انتهت الغارة وجدت مقاعد السيارة ممزقة اربا اربا . فناديت سائق الجندي الاول (شمت) لكني لم اسمع جوابا . ولمس جندي ذراعي وأشار الى ماتحت السيارة . كانت هناك جثة سائقي ممددة وقد قطعتها القنابل .

لقد كنا قبل بضع دقائق نتكلم عن زوجته وعائلته وعن الاجازة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر .

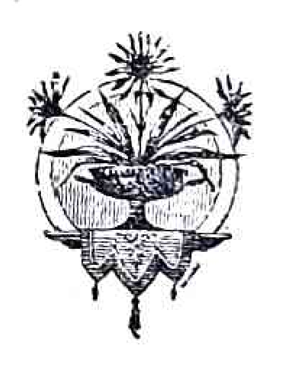
ولكنه سوف لايجتمع بهم بعد الآن .

وكان عدد من جنودي يصرخون من الالم . وعلى مقربة مني كان احدهم يتلوى وقد فقد كلتا يديه وكلتا قدميه . وجاءه طبيب بعد قليل وانحنى عليه ليعالجه . فلوى وجهه المترب محاولا الابتسام وهو يسأل

الطبيب : « هل سأتمكن ان استمر بمهنتي كممثل يادكتور ؟ فاجابه الطبيب « نعم ، ياصاحبي طبعا . »

وبينما كان يحقنه بالمورفين اذ به يذهب الى رحمة ربه .

وكانت الحرب مستمرة فوجب علينا أن نستمر . ولم نجد متسعا من الوقت لدفن موتانا لأن الدبابات كانت تعقب اثرنا بشدة . ويمم جيش رومل صوب الغرب حيث الشمس الغاربة .





أمير اللواء فون رافنشتاين



رومل ، مع المؤلف ، يفحص مدفعا كبيراً
قرب (الحلفاية)

الباب الثاني والعشرون

العودة الى (العقيلة)

ورجعنا الى (بنغازي) فوجدنا مستودعات تموينا هناك تشتعل. فوقفت بعض سياراتي وأخذ الجنود ينقذون ما يمكن حمله من المواد اللازمة للسرية ، وعثرنا على حمولة سيارة من الاشياء اللذيذة التي لم نكن نحلم بها — كالفواكه الايطالية المعلبة وخيار (شبر يوالد) [1] والبيرة والسكاير والشكولاتة . ولم تكن أعيننا قد رأت اشياء كهذه منذ أشهر طوال .

وأطلقت جماعات الاعراب النار على فيلق افريقيا طيلة انسحابه الى (بنغازي) وفي اليوم الذي سبق عيد الميلاد حدثت مناوشة بيننا وبين مدرعات افريقيا الجنوبية والمدرعات البريطانية . وقد تمكنا من أسر ضابط بريطاني شاب وثلاثة من المراتب الذين جازفوا بالتقدم الى الامام اكثر من اللازم ، وكان الضابط يبدو انسانا لطيفاً لكنه كان متحفظاً الى حد بعيد ، وهو أمر قد يكون طبيعياً في تلك الظروف . ولم أسأله غير أسئلة قليلة لأتثبت من هويته .

وكانت تلك الليلة ليلة عيد الميلاد فأمرت باعطاء كل من الانكليز قنينة بيرة وشيئاً من الشوكولاتة والسكاير ، فعاق على ذلك ضابطهم قائلا: « أرى لديكم شيئاً كثيراً من المأكولات والمشروبات لعيد الميلاد » . ولم

---

(١) مكان يقع غرب برلين .

أشأ ان اقول له اننا انقذنا هذه المواد من احدى الاكداس التي احترقت لئلا يستولي عليها العدو الذي كان يتعقب أثرنا .

وطلب الضابط البريطاني الشاب اذناً لينـــام مع جنوده في العراء وأضاف قائلا : « أعدك بشرفي اننا سوف لا نحاول الهروب » .

فأجبته « اعتقد اعتقاداً تاماً انك ستحافظ على وعدك وانا مستعد للسماح لك بما تريد ولكن انظمتنا تستوجب تسليمكم من دون تأخير الى الفرقة » .

لكنه ألح ثانية وقال انه سيفي بكلامه كضابط وكانسان شريف . ولما كان رؤسائي لا يعرفون اننا اخذنا اسرى ، فقـد سمحت له بما أراد وأنا أشعر بشيء من السرور مع قليل من الذنب .

وفي صباح عيد الميلاد نهضت من فراشي في سيارتي وأنا لم أزل أشعر بالنعاس — فاذا بالجنود البريطانيين الثـــلاثة مصطفين برشاقة يستعرضهم ضابطهم . فأدى لي التحية بنشاط قائلا : « الكل حاضرون ! » وعندما اضطررنا الى ارسال اسرانا الى الفرقة شعرت بأسف على فراق هذا الجندي الباسل النبيل .

ودخل البريطانيون (بنغازي) — المرة الثانية — في يوم عيد الميلاد .

وانسحبنا جنوبا على الطريق المؤدي الى الخانق الواقع بين مستنقعات (العقيلة) والبحر وكان فيلق افريقيا في تلك الآونة قوة مغلوبة لكنها لم تفقد معنوياتها ، إذ لم أر أية علامة تدل على ضعف المعنويات بين قطعات مؤخرتنا . وقد وقفنا وقاتلنـــا أينما وجدنا أرضا عالية . واستطاعت

مواضعنا قوات خفيفة من الدبابات البريطانية — من اللواء المدرع الـ(٢٢) على ما يظهر — واجبرتنا على ان ننتقل من مكان الى آخر عدة مرات .

وأصدرت قيادة فيلق افريقيا اوامرها بوجوب الاقتصاد في صرف العتاد واجتناب القتال خلال موسم العيد ان امكن — ولم يكن ذلك لرغبتها في عدم القتال لأسباب عاطفية بل لقلة عتادنا ليس إلا . على ان الضباط والجنود في الخط الامامي شعروا بوجوب القيام بشيء ما للاحتفال ببدء السنة الجديدة ، وقد وضعت الخطط اللازمة لذلك سراً بدون ان يصل منها شيء الى آذان الآمرين الاقدمين .

وفي منتصف ليلة رأس السنة اشتركت جميع القطعات في عرض ممتاز للالعاب النارية من مواضعها المتباعدة ، فرمت مدافع ضد الطيارات الخفيفة والرشاشات العتاد المذنب ، واطلقت مسدسات التنوير الانوار الحمراء والخضراء والبيضاء ، وقذفت القنابر اليدوية التي لم تستعملها لحد الآن إلا قليلا ، فاحدثت انفلاقات مرضية جداً ، واشتركت حتى المدافع فاطلقت قنابلها في الهواء او في استقامة الصحراء البعيدة . فحدث ضوضاء عظيم وانيرت الاراضي المقفرة الى عدة اميال واستمر العرض ثلاث دقائق بالضبط ثم خيم الظلام والسكون على الصحراء مرة اخرى .

وقد فرحنا كتلاميذ المدارس الشاردين عندما شاهدنا في الظلام البعيد عرضا مقابلا من الانوار الصفراء التي ارتفعت الى عنان السماء — في المكان الذي كنا نعلم ان الدبابات البريطانية رابضة فيه — لتحي السنة الجديدة .

ولم تصدر الينا كلمة توبيخ واحدة من رومل او أحد قواده بواسطة سلسلة القيادة ، وبعد أيام قلائل انتهت صفحة واحدة من

معركة الصحراء ، إذ عدنا الى (العقيلة) بعد ان كنا قد اندفعنا منها الى الامام اندفاعا غير متوقع نوعا ما قبـــل نحو ثمانية اشهر ، وحدث في الوقت نفسه قتال عنيف تحول معظمه الى نوبة معارك مستمرة لا هوادة فيها . وقد تكبدت جميع تشكيلاتنا خسائر فادحة وانهكت قوى الجنود واستهلكت التجهيزات . على ان البريطانيين لم يكونوا بأحسن حال منا . فلم يكن في وسعهم انزال ضربة فيشـــا والاستمرار على التقدم نحو طرابلس .

وقد كانت النتيجة مشكوكا فيها خلال الاسابيع الاولى من « كروسيدر » ـــ واظن انه كان في الامكان انتصـار رومل لو تيسر لديه اسناد جوي اقوى واستطلاع جوي اوسع . على ان (او كنلك) حصل على الاقل نصراً معنويا وماديا ، وقد احسن عملا حينما استمر على الهجوم علينا بشجاعة بعد النكسة التي منيت بها قواته في (سيدي رزق) وذلك باعطائه القيادة الى امير اللواء (ريجي) وأمره باستئناف التعرض بكل قواه .

على ان قوات رومل في جبهة (السلوم) كانت لا تزال صامدة . ولم يتخل رومل ـ كما أكد لنا ـ عن فكرة القيـام بتعرض مقابل في اول فرصة ملائمة . فبذل كل ما في وسعه بسرعة لجعل تشكيلاتـه في قوتها الكاملة مستفيداً من تقويات الجنود ومواد التموين والذخائر التى كانت قد ارسلت أخيراً على عجل عبر البحر الى طرابلس

وقد اراد (او كنلك) ايضا ان ينهي مسألة الحدود ـ فوجه انتباهه الى (البردية) والسلوم والحلفاية . وكانت فرقة افريقيا الجنوبية الثانية

التي يقودها امير اللواء (دى فيلير) موزعة امام (البردية)وفي منطقة (كابوزو) وجوار (سيدي عمر) وقد عهد اليها في بداية تعرض « كروسيدر » حماية مؤخرة الجيش الثامن ضد أية حركة التفاف واسعة يحتمل ان يقوم بها رومل . فشن (دي فيلير) صباح يوم ٣١ كانون الاول هجوما على (البردية) بعد قصف المدفعية الشديد ، وبعد قتال عنيف دام يومين استسلم أمير اللواء (شمت) الذي كان يقود القطعات المرابطة هناك .

ومن الواضح انه لم يبق لدينا غير وقت قصير لانقاذ حاميتنا المحصورة في (الحلفاية) . وقد ظهر بعد حين انه لا يمكن القيام بتعرض مقابل في وقت مبكر لاسترجاع برقة والوصول الى الحامية . وقد سقطت (السلوم) بيد قوات (دي فيلير) يوم ١٢ كانون الثاني بعد هجوم قام به فوج من (سكوتلندي الترانسفال) وقوة من شرطة افريقيا الجنوبية . وبينما كان الافريقيون الجنوبيون يتهيأون للهجوم على مواضع الحلفاية اضطر مدافعوها الى الاستسلام يوم ١٧ كانون الثاني بعد ان نفد ماكان لديهم من ماء وارزاق . وكانت القوة المدافعة عن هذه المواضع مؤلفة من الايطاليين ومن مفرزة قوية من الالمان بقيادة الرئيس الأول الوقور (باخ) .

وكان فيلق افريقيا وقتئذ على بعد (٣٠٠) ميل في الغرب غير ان « ثعلب الصحراء » كان حاضراً لينزل ضربته . ولم يظهر رومل أية علامة تدل على تزعزعه بنتيجة انسحابنا السريع . بل ازداد تفاؤله بوصول معدات جديدة من طرابلس ، ذلك التفاؤل الذي كان يتأثر به الجميع واصبح مضرب الامثال .

وعلمت استخباراتنا ان جحفل الاسناد السابع الذي يعتبر من اكثر قطعات (او كنلك) خبرة والذي ابلى بلاء حسنا في « كروسيدر » سيبدل بجحفل اسناد جديد وهو الجحفل الأول الذي لم تكن لديه خبرة في حروب الصحراء . فقوى هذا من عزم رومل على انزال ضربة مقابلة في اول فرصة ممكنة . وقد تهيأنا لذلك فعلا وفي ٢١ كانون الثاني اصدر رومل الامر بالتقدم .

ويظهر ان البريطانيين ظنوا بأننا نقوم باستطلاع قوي فقط لأن بلاغهم الرسمي وصف تقدمنا بهذا الاصطلاح . غير ان استطلاعنا الجوي كشف ان للبريطانيين حشداً من الدبابات في (مسوس) فافترضنا انها في دور تصليح عام وقررنا انزال ضربتنا بهـا .

الباب الثالث والعشرون

رومل يضرب ثانية

كان موضع سريتي على (وادي فارغ) في اقصى الجناح الايمن لفيلق افريقيا — وكنا نرى من السفوح الشديدة الانحدار لهذا الوادي الذي هو اكبر الوديان في منطقة (سيرت) ، منظراً خلاباً نحو الجنوب ، وهو منظر الجروف العظيمة الجرداء لساحل بحري قديم يرجع عهده الى ماقبل التاريخ .

وتولى أمير اللواء (فون فارست) قيادة الفرقة بعد موت (نريمان سيلكو) في الايام الاولى من « كروسيدر » . ومن هـذا القائد ، الذي نال ثقتنا بسرعة جاءنا أمر المسير نحو الشمال الشرقي .

وبما اننا كنا في أقصى الجنوب فقد كانت سيارتي على حافة السفوح الشديدة الانحدار للوادي الواقـع على يميني . وكنت أرى بين آونة وأخرى عجلات بريطانية تنتقل بسرعة نحو الشرق على الارض القاحلة التي تطل عليها السفوح .

وكنا نثب الى الامام من حين لآخر برشاشة خفيفة مركبة على ساحبة . وقد باغتنا ذات مرة سيارة استطلاع تابعة . وكان نوتيتها على مقربة منها — وهم ثلاثة جنود جالسين بدون انتباه على كراسي معسكر حول نار يهيأون عليها الشاي ، فشربنا الشاي وأخذنا سيارتهم كغنيمة وتركناهم مع تمنياتنا الطيبة لهم بالحصول على واسطة نقل تأخـذهم الى

قطعاتهم . وحدثت اول مناوشة لنا مع الدبابات البريطانية في اليوم الثاني من المسير (٢٢ كانون الثاني) في منطقة (انتيلات) بعد ان اندفعنا خلال حجاب خفيف من لواء الحرس الـ (٢٠٠) . اذ رأينا نحو ثلاثين دبابة واقفة في اسفل مرتفع في منطقة التلول ، وعندما اخذنا امر الهجوم عليها كنا واثقين من اننا لم نرصد بعد . فادخلنا مدافعنا ضد الدبابات عيار (٥٠) ملم في موضع يقع في منخفض .

وبوغت العدو مباغتة تامة عندما فتحنا النار عليه ، واندفعت نحو اثنتي عشرة دبابة من دباباتنا على دبابات العدو . فقرر العدو انه لا يستطيع البقاء في موضعه وانسحب بسرعة بعد ان خسر بضع دبابات .

وكنا قد توصلنا وقتئذ الى اسلوب جديد للهجوم . فصرنا نقفز دباخا بمدافعنا ضد الدبابات الاثني عشر من نقطة مشرفة الى أخرى ، بينما كانت دباباتنا تبقى ثابتة ان امكن في مواضع ضامرة (١) لتسدي لنا النار الحمايوية . ثم نثبت انفسنا في موضع ملائم لنؤمن للدبابات ناراً ساترة عندما تندفع ثانية الى الامام . وقد نجحت هذه التعبية نجاحا جيداً ، وبالرغم من شدة نيران دبابات العدو فانها لم تتمكن من صد تقدمنا . وتكبد العدو خسائر كبيرة واضطر على ترك مواضعه مرة بعد اخرى . وشعرنا اننا لسنا ازاء اولئك الخصوم الأشداء المحنكين الذين طاردونا بشدة اثناء انسحابنا على نيسم (كابوزو) . وفي يوم ٢٢ كانون الثاني استولينا على (انتيلات) و (ساونو) وقد حاول عبثاً اللواء المدرع الثاني (المؤلف من كتيبة الرماحة التاسعة وكتيبة الفرسان الملكية العاشرة وكتيبة الكميت الملكية) ايقاف احدى هجماتنا . وبتأثير توجيهات الفريق

---

(١) (Hull Down Positions) وهي مواضع تساعد الدبابات على ان تستتر بها بحيث لا يظهر منها غير ابراجها .

رومل الشخصية تكونت لدى قطعاته مقدرة لاشك فيها : وهى تكييف نفسها بسرعة حسب تطور الظروف . وقد تعلمت كيف تطبق قوله « ان كل نجاح صغير قد يكون مقدمة لنجاح اكبر . »

وبهذه الغريزة المكتسبة التي تستهدف استثمار كل فوز مهما كان صغيراً والمثابرة على كيل الضربات للعدو كلما بدا انه يترنح ، اندفعت دبابات فيلق افريقيا الى الامام وهي تحمل ارزاق ثلاثة أيام . غير انها لم تكن تستطيع ان تعمل ذلك او تتجاسر على القيام به ، لولم تكن لديها ثقة لاتتزعزع في تفوق اسلحتنا ضد الدبابات في ذلك الوقت على دبابات العدو ومدافعه ضد الدبابات . وقد كان اصدقاؤنا (القوة الجوية البريطانية) ساكنين سكوناً نسبياً في ذلك الوقت فادى هذا الى اعلاء معنويات القطعات . فاستنتجنا من ذلك ان البريطانيين لم يتمكنوا من جلب كميات كافية من البنزين الى (بنغازي) كما كانوا يأملون . وكانت النتيجة انهم عجزوا عن ادامة طيران مقاتلاتهم القصيرة المدى من مطار (بنينا) ومن اراضي النزول الاخرى امام (طبرق) .

وظهر ان تقرير الاستطلاع الجوي عن وجود معسكر بريطاني لتصليح الدبابات كان صحيحا . وقد تقدمنا نحو هذا المعسكر دون ان نلاقي مقاومة تذكر فوجدنا في احدى معامل الميدان غنائم ثمينة وهى عدد من الدبابات التي يمكن تصليحها والاستفادة منها .

ولم نكن مطمئنين تماما من موقفنا من وجهة البنزين . وقد قال احد الضباط الاحداث لرومل « اننا بحاجة الى وقود اكثر ياسيدي القائد» فتلقى من رومل الجواب السريع التالي « حسنا ، اذهب واحصل عليه من الانكليز » . واستمر تقدمنا فوق السهول الجرداء جوار (مسوس)،

التي هي ارض مبارزة مثالية للقتال بين القوات المدرعة حتى النفس الاخير بالنظر لخلوها من علائم الحضارة ولعدم وجود مايلهي الجنود عن واجبهم الرئيسي ألا وهو تدمير بعضهم بعضا . وجاءت لمددنا الفرقة البريطانية المدرعة الاولى الخبيرة بالصحراء ، كما ان الفرقة الهندية الرابعة خرجت من (بنغازي) للاشتراك في المعركة . فشطرنا الفرقة الهندية الى قسمين . وحصرنا لواءها السابع فى (بنغازي) . ولم تكن الدبابات البريطانية قوية لدرجة تستطيع معها الوقوف بوجه دباباتنا ، كما انه كان ينقصها الوقود . وكنا نجد في كل مكان مجموعات منعزلة وارتال تموين للفرقة المدرعة وقد تعطلت لنفاد البنزين .

ووقفنا بمدافعنا ضد الدبابات على خط دفاعي قرب (مسوس) مدة يومين غير ان سير المعركة كلها كان يتجه نحو الشرق . وقـد ذهل (اوكنلك) من تطور الحوادث فطار من القاهرة الى مقر امير اللواء (ريجي) في (تميمي) والغي الاوامر الصـادرة الى الفيلق الـ (١٣) بالاستمرار في الانسحاب . اذ كان يأمل ان يقوم بهجوم مقابل في ٤ شباط . كان الجيش الثامن على خط دفاعى جديد فى (الغزالة) وكانت فرقة (بينار) الافريقية الجنوبية قائمة باعاقة تقدم رومل نحو الشرق .

على ان رومل كان قد تقدم الى اقصى مايتمكن — بل وفي الواقع اكثر مما كان يأمل ان يذهب في الصفحة الاولى هذه من تعرضه المقابل وكان لا يستطيع المجازفة بالتقدم اكثر من ذلك بوجه معظم الجيش الثامن مالم يتلق الامدادات — وخاصة امدادات الدبابات الجديدة التى كانت تصل وقتئذ الى طرابلس . ولذلك فقد اكتفى بالاستقرار على خط (التميمي — المخيلي) .

الباب الرابع والعشرون

خطة طبرق

أسس (اوكنلك) و (ريجي) بسرعة خطا قويا في (الغزالة) . اما نحن فقد حصل لدينا انطباع ان (اوكنلك) ينوي التعرض وانه لا يريد ان يترك طبرق تطوق مرة اخرى . بل يعتبر الاحتفاظ بالميناء حيوياً لتموين الجيش الثامن عند قيامه باندفاع جديد ضد فيلق افريقيا .

وكان الخط البريطاني يمتد جنوباً من البحر الى (بئر حكيم) وهو مؤلف من سلسلة أماكن دفاعية قوية تتصل بحقول الغام واسعة . وقد أفادت استطلاعاتنا الجوية التي كانت تراقب هذا الخط مراقبة تامة ، انه يزداد قوة يوما بعد يوم . وصرح رومل انه ينوي شن تعرض مقابل قبل البريطانيين فسر لهذا الخبر كل جندي في فيلق افريقيا . غير انه حدثت فترة هدوء سوف ابحث عنها باختصار .

فمن اواسط شباط حتى اواخر آذار لم تكن هنالك غير فعالية الدوريات . ثم دبر (ريجي) حركة (تحويلية) ليصرف انتباه المحور عن قافلة قوية كانت تمر من الاسكندرية الى مالطة ، وكانت هذه الجزيرة كما قال رومل مراراً (أحد شوكة في جانبه) . وشعر انه لو أخذت هذه الجزيرة بعد ان نزلت قوة حملته الى شمال افريقيا بقليل ، لنجح في غزو مصر سنة ١٩٤١ بل لاستطاع ان يشق طريقه نحو (دلتا

النيل) لعدم وجود ما كان سيمنع عنه ورود مواد التموين والتقويات بانتظام .

واني لأتذكر حقا كيف رفض رومل التقويات التي اريد ارسالها اليه في سنة ٩٤١ معلقا على ذلك بقوله « ينبغي تأمين طرق التموين الى افريقيا قبل ان اوافق على نقل فرق اخرى » .

ولقد اعتقدنا ذات مرة ان القيادة العليا في برلين قررت وجوب الاستيلاء على (مالطة) . إذ قامت القوة الجوية الالمانيـــة فعلا بهجمات مستمرة من (صقلية) ضد هذه الجزيرة التي جرى الدفاع عنها بشجاعة . وبنتيجة هذه الهجمات الشديدة تحسن ولا شك موقف التموين في افريقيا إلا انه كان من الضروري شل الجزيرة اذا أردنـا ان نكون في موقف يضمن لنا النصر .

ولم نقاتل غير قتال قليل بالفرق المدرعة خلال تلكم الاشهر الهادئة. واني لأتذكر ان دباباتنا كانت ترتاح في منطقـة (درنة) خلال شهر مارت وسريتي تتمتـع بفترة استرخاء في وديان (مرطوبة) . وبينما كنا نقضي الوقت معجبين بسماء الصحراء ذات الالوان الجميـلة في اوائل الربيع ، إذ داهمنا هجوم غير متوقع — من المطر — فهبت عاصفة هائلة في الليل وعلمتنا ان حياة الفتور في واد جميل لها محاذيرها ، كما ان لها في الحقيقة اخطارها . فقد تضرر عدد غير قليل من العجلات والاسلحة بنتيجة هذه العاصفة الممطرة . واكتسحت الى الوادي .

٢

ومر نيسان ومعظم أيار والقوة لا زالت تتهيأ لانزال ضربة على (طبرق) مرة اخرى .

وقرر رومل ان ينفذ نفس خطة الحركات التي كان يريد تطبيقها في تشرين الثاني الماضي عندما سبقنا الجيش الثامن بهجوم « كروسيدر » وكان على فيلق افريقيا ان يلتف تحت ستر ظلام ليلة ٢٦ مايس ؛ حول الجناح الجنوبي لخط (الغزالة) في (بئر حكيم) ثم يندفع شمالا الى خلف العدو . وكان على فرقة (اريت) الايطالية المدرعة ان تحاول في نفس الليلة احتلال (بئر حكيم) كما كان على فرقة (تريست) الايطالية في الوقت نفسه ان تسعى لفتح ثغرة في حقول الالغام البريطانية على المرتفعات التي يمر منها نيسم (العبد) ـ اي جنوب خط القاطع الذي كانت تحتله فرقة افريقيا الجنوبية الاولى .

وكان من واجب التشكيل الايطالي المواجه لخط (الغزالة) مشاغلة الافريقيين الجنوبية والفرقة البريطانية الـ (٥٠) في اليسار ومنعها من القيام بأية مغامرة الى الامام على طوار الطريق الساحلي . وفي اليوم الثاني كان على قسم من دباباتنا — من الفرقة المدرعة الـ (٢١) — أن تضرب خلف خط (الغزالة) بينما يهجم الايطاليون على الجبهة . وقد اعتبر هذا الهجوم تمهيداً لهدفنا الاساسي ألا وهو الهجوم المباشر على طبرق في اليوم الثالث بالفرقة المدرعة الـ (١٥) ، وكان من المأمول ان هذا الهجوم قد ينجح فيتحقق بذلك الغرض الذي نستهدفه ، او انه سيمنع العدو على الاقل من توجيه فرقة افريقيا الجنوبية والفرقة الـ (٥٠) نحو الشرق للتدخل في حركات قواتنا التي ستحاول احتلال طبرق .

وكان المقرر احتلال هذا الميناء في اليوم الثالث من الهجوم حسب جدول الاوقات الذي وضعه رومل ، ووصل أمير اللواء فون (بايرلاين) ليكون رئيسا لهيئة اركان (كرويل) قائد فيلق افريقيا . ولا بد ان

القارىء يتذكر ان هذا الفيلق اصبح جزءاً من جحفل افريقيا المدرع الذي كان يقوده رومل والذي لم يزل (كاوزه) رئيسا لهيئة اركانه. وعين امير اللواء (فون بسمارك) لقيادة الفرقة المدرعة الـ (٢١) في حين ان الفرقة المدرعة الـ (١٥) لم تزل بقيادة امير اللواء (فيرست).

وكان في خطة المعركة هذه شيء من المقامرة وقد ذكر كل من (كاوزه) وفون (باير لاين) لرومل وكرويل انه من المحتمـل جداً ان يحدث موقف حرج بين القوات المدرعة المتقابلة خلال المعركة اذا لم يؤمن خط مواصلاتنا باحتلال (بئر حكيم) او بتأسيس ثغرة معينة عبر حقول الغام العدو.

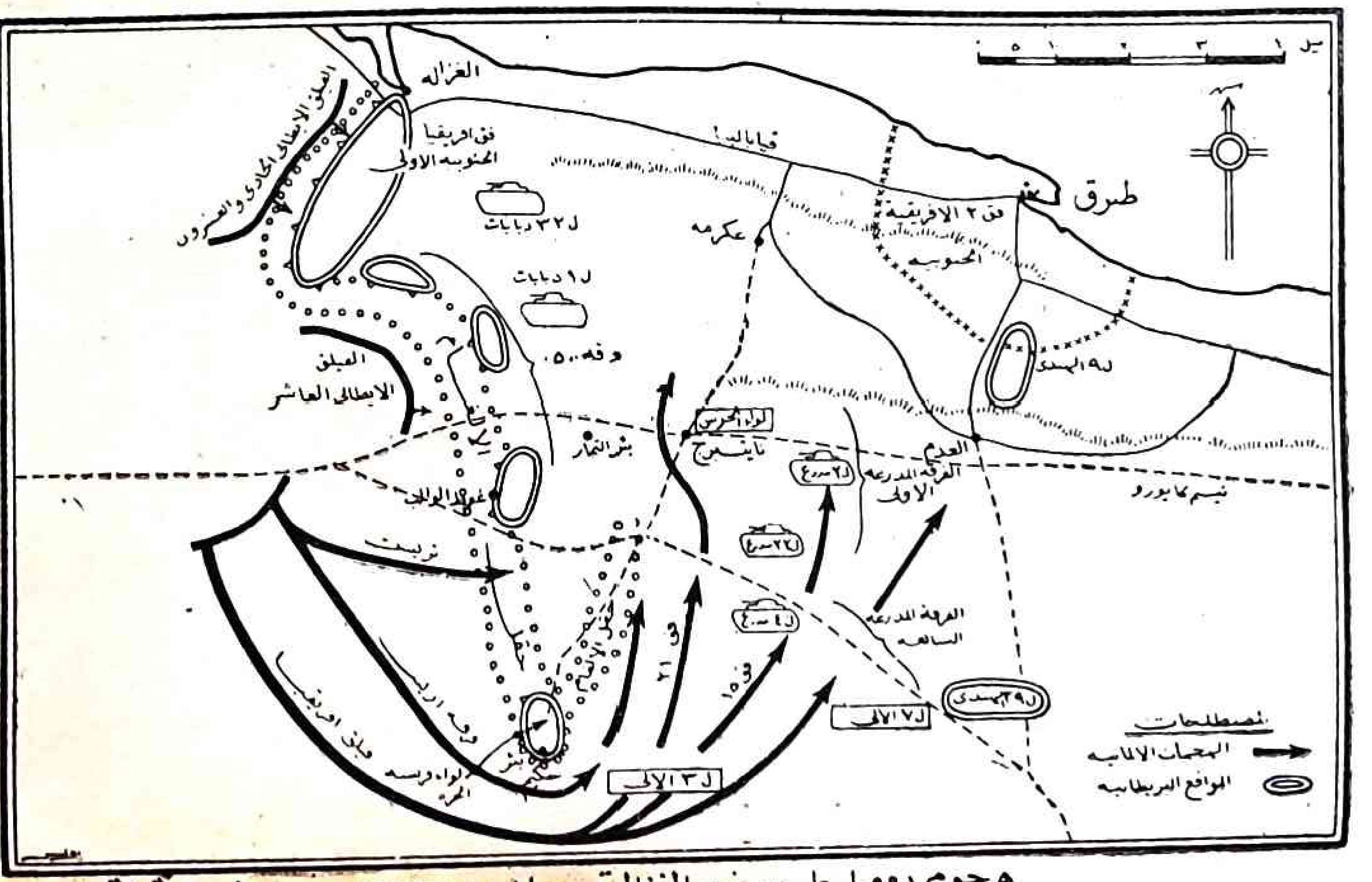
وأدرك رومل نفسه ذلك بوضوح، إلا انه قال «لا بد لنا من هذه المجازفة. وفي وسعنا تجنب المقامرة بالهجوم على العدو بمهارة وعزم، وفق اسس الخطة الموضوعة. ويجب ان لا يعزب عن البال ان البريطانيين لا يعوزهم التدريب السوقي، فلابد وانهم أخذوا بنظر الاعتبـار احتمال اندفاعنا خلف خط الغزالة، ولا يحتمل ان نتمكن من شلهم بمباغتة تامة. لذلك ينبغي ان نتغلب عليهم بتنفيذ ما يقتضي لنجاح هذه الخطة من الامور الجوهرية. ان دباباتنا ستكون خلف خطوط العدو، ولادامتها في المعركة ينبغي ان تشق خطوط المواصلات للوصول اليها»

٣

وبقينا في وضع الانتظار في منطقة (روتندا سيكنالي) وفي ليلة ٢٦ / ٢٧ مايس تقدمنا حول الجناح الجنوبي لـ (بئر حكيم) وفي الوقت نفسه ذهب الايطاليون الى بئر حكيم والى حقل الالغام الواقع بين الغزالة و (علم حمزه) وعلى مرتفعات (نيسم العبد).

وفي الصباح اندفعنا نحو الساحل فجوبهنـا بهجات جوية شديدة ونار مدفعية قوية من اجنحتنا ، وبذل اللواء الآلي الهندي الثالث ما في وسعه ليصد تقدمنا ، فشققنا طريقنا خلال الهنود بعد ان خسرنا عدداً من دباباتنا . وكانت الفرقة المدرعة الـ (٢١) تتقدم على جناحنا الأيسر فاتجهت نحو غرب (عكرمة) مهددة خط (الغزالة) من الخلف . إلا أن الفرقةالمدرعةالاولى اشتبكت معها في معركة حاسمة مريعة في (نايتسبرج) واتجهت الفرقة المدرعـة الـ (١٥) صوب (عكرمة) واندفعت جحافل معركة منها مستهدفة الوصول الى (العدم) وسيدي رزق (والدودة) .

ولم يدم ابتهاجنا بتقدمنا السريع في الصفحات الاولى الا قليـلا اذ اننا اصطدمنا بلوائين بريطانيين مدرعين (ظهر لنا بعدئذ انهما اللواءآن الـ (٤) والـ (٢٢) . فبدأ الشك يخامرنا لأول مرة في تفوق اسلحتنا . واشتبكنا باللوائين المذكورين على المنحـدر الواقع جنوب (عكرمة) ببضعة اميال وكنت لازال اقود سريتي في الفوج الثـاني من كتيبة المشاة الـ (١١٥) ـ وكانت الاوامر الصـادرة لي تقضي بالوصول الى (عكرمة) . ولم يكن ذلك واجباً سهلا البتة ، لاسيما وانه لم يعزب عن بالنا اننا كنا خلف خط (الغزالة) للعـدو وكنا نعلم ان له قوة دبابات جبارة واقفة لنا بالمرصاد .



خريطة رقم (٥) هجوم روميل على موضع الغزالة - مايو ١٩٤٢



الباب الخامس والعشرون

فوجي بياد

وصلنا الى حافة المنحدر وكانت الدبابات التى اسندتنا عندما شققنا طريقنا عبر الهنود ، مرابطة في الخلف وعلى الرغم من ان الاراضي التى في الشرق والغرب منبسطة نسبيا فاننا لم نشاهد للعـدو اية قطعات او مدفعية ، إلا ان نيران المدافع كانت تنصب علينا من كلا الجناحين . وكانت القنابل تتساقط بيننا عندما وصلنا الى حافة المنحدر . وكنت وقتئذ في اقصى الجناح الايسر ، فلمحت عن بعد مرة او مرتين ساحبات عالية وضخمة تجسب مدافع بريطانية بسرعة .

وكانت الدبابات تظهر من بعيد احيانا فترمي بضع اطلاقات علينا ثم تختفي ثانية . وهاجمتنا طائرات (هاريكين) فازعجتنا كثيراً بنيران رشاشاتها . وكنا نسمي هذه الطائرات بلغة الجنود العاميـة البسيطة « هورن كينه » (١ « قوارب الدعارة » . وقد تكرر هجوم هـذه الطائرات علينا فاشتعلت النيران في ساحبتين من احسن ساحباتنا واجددها . وكشفت اعمدة الدخان التى ارتفعت من هاتين الساحبتين موضعنا بوضوح .

---

(١) « (Huren — Kahne) » وسبب هذه التسمية هي ان الالمان يلفظون كلمة (Hurri cane) » الانكليزية التي تطلق على طائرات القتال المشهورة « هوري كينه » ومعنى هـذه بالالمانيـة (قوارب الدعارة) . « المعرب »

وقفت عالياً في سيارتي على قمة المرتفـع والشمس خلفي فرأيت في ناظوري باتجاه (عكرمة) سحباً كثيفة من الغبـار خمنت ان الدبابات احدثتها . وكان مرتسمنا في ذلك الحين واضحـا في الافق الذي كانت تنيره الشمس . فانحـــدرنا الى اسفل المرتفـع واندفعنا الى الامام دون أن نقاوم او نرمي بالقنابل .

وكانت معظم عجلاتنا منتشرة في السهل انتشاراً واسعا وهي تتسابق نحو (عكرمة) . ولم نكن نرى غير دبابات قليلة أمامنا عنـــدما بدأت قنابل العدو الأولى تسقط علينافوقفنا وادخلنامدافعنا في الموضع وجاوبنا مدفعية العدو فقطع العدو ناره ثم ركبنا المدافع واستمررنا على التقدم . وشاهدنا أمامنا العلامات التي قد الفناها قبـلا وهي الاعمدة التلفونية التي تربط (عكرمة) بمقرنا القديم في البيت الابيض .

ثم شرع العدو يصب علينا نيران المدفعيـة الشديدة من الشرفة الصخرية قرب قلعة الصحراء الصغيرة في عكرمة فاضطررنا الى التوقف قبل ان نصل المواضع البريطانية وادخلنا مـدافعنا الى الموضع ثانية . وهكذا شاء الموقف ان تتلاقى مرة أخرى مدافعنا ضـد الدبابات مع عدوتها اللدودة القديمة ــ الدبابات البريطانية . ودسسنا عجلاتنا في واد صغير يقع قليلا الى الغرب . وحاول الجنود بقلق ان يحفروا مواضـع لأسلحتهم ولأنفسهم ، غير ان الارض كانت صخرية فاقتضى ان يبذلوا جهداً جباراً ليهيأوا ستراً قليلا لحمايتهم . على ان الحظ ساعد بعض مفارز المشاة فوجدت خنادق شقية قديمة كانت قد حفرت في معركة سابقة . وبقينا ننتظر المعركة بفارغ الصبر .

وبعد ان انتهيت من اعطاء الوصايالضابط الصف المسئول عن المدافع

الموضوعة خلفنا رأيت غزالين يقفزان بين الصخور على بعد (٥٠) ياردة أمامنا . نخطفت بندقية أحد قداحي المدافع القريبين مني واستطعت أن اصيب غزالا بطلقة واحدة وهو مار أمامي . لقــد عجبت من قابليتي ، لانني كنت ضعيفا في الرمى عندما كنت مستجداً في الجيش . اما الآن فالظاهر انني وهبت قابلية سحرية . وجلبنا الغزال الينا حالا فقطعناه ثم اشعلنا ناراً في الوادي حيث ترابط العجلات وشويناه .

وظل كل شيء هادئا في قاطعي الذي كان في اليسار في حين ان السرية التي في يميني اصبحت تحت نار الرشاشات وصرت اسمعهـا وهي تجيب نيران العدو . فبحثت عندئذ عن الخندق الشقي الذى حفره الجندي الأول (مولر) لي ولنفسه . وكان هذا في السابق مراسلا لي فاصبح الآن كساع للسرية بعد ان حرم الضباط دون العقيد رتبة من المراسلين بغية الاقتصاد في القوى البشرية اللازمة لخط القتال .

ونظرت فى ناظوري ، الذى كان قد وضعه لي (مولر) بشكل ملائم على حافة الخندق ، فرأيت اننا نكاد ان نكون امام ستارات البريطانيين مباشرةفكنت اشاهدسعاتهم يتحركون بين الصخوز على مسافة لاتتجاوز ميلا واحداً . والى يميني وقف رئيس عرفاء سريتي (تود) مكشوفا الى حد الخصر في خندقه وقد بدأ يرمي على العدو .

وفكرت ثانية في لحم الصيـد فصحت في (مولر) ان يركض الى الوادي ليتأكد من عدم استيلاء جنود المدفعية الجياع الذين كانوا خلفنا على حصتنا . فلم اسمع منه جوابا بل سمعت بدلا من ذلك صرخات تنبعث من حناجر عـديدة وهى صرخات الحرب المعروفـة في الصحراء « دبابات في اليمين ! » . وفي تلك اللحظة شاهدت (تود) يسقط ميتا بعد ان اصيب برأسه .

ثم ظهرت نحو اثنتي عشرة دبابة معادية من الارض الميتة الواقعة أمام السرايا التي في يميني ، وكانت من نوع لم نعرفه من قبل واثقل من الدبابات التي قابلناها حتى الآن . وقد علمت فيما بعد انها كانت من نوع « الجنرال غرانت » الاميركية التي وصل عدد منها الى الشرق الاوسط وكان هذا العدد اقل مما توقعه (اوكنلك) بكثير . وكانت هذه الدبابات اكثر شبها بدباباتنا العلامة (٣) و (٤) من اية دبابة ارسلها الانكليز الى الصحراء من قبل . اما الدبابات السابقة التي جهزها الامريكيون — وهي الجنرال (ستورتس) — او دبابات « هاني » — فقد كانت سريعة إلا انها لم تكن في الحقيقة أشد تأثيراً من المدرعات .

ولا شك انها لم تكن ملائمة لمجابهة الدبابات الثقيلة .

ومسكت نار مدافعي ضد الدبابات إلا ان السرايا في اليمين فتحت نيران مدافعها ذوات الـ (٥٠) ملم فشاهدت ان بعض قنابلها تتنطط من الدبابات دون ان تحدث فيها اذى . ومن الجهة الاخرى كانت النيران التي يصبها العدو على قطعاتنا فظيعة . فكانت انفلاقات قنابله بين مشاتنا مهلكة الى حد بعيد) .

وفي تلك الآونة سرت رعشة في بدني اذ برزت من الارض المنحدرة صفوف بعد اخرى من الدبابات الجديدة — يقارب مجموعها الستين — وقد جاءت الينا وجميع افواهها تقذف بالنيران .

ففتحت النار بمدفعي الأيمن فتوقفت دبابة واحدة واصيبت دبابات أخرى فاشتعلت فيها النار ، الا ان معظمها اندفعت نحونا دون هوادة . وساءلت نفسي « ماذا اصاب مدفعي الايسر ياترى ؟ » فقد كان صامتاً وكان فمه لايزال متجها نحو الارض . فقفزت من خندقي وبالرغم من

النيران التى كانت تصفر في كل مكان وركضت نحو هذا المدفع . فاذا بي أرى اثنين من القداحين ممددين على الارض وكان مغلاق المدفع ممزقا - وكان مالي، القنبلة مضطجعا قرب احـدى الدواليب والدم ينزف من صدره بعد ان اصيب برصاصة رشاشة وهو يصيح « ماء ، ماء ! »

وانفجرت رشقة جديدة قرب هـذا المدفع فكان من الواضح ان الدبابات تهاجمه من مدى قريب ومؤثر جداً . وكان الوقوف فى هذا المكان معناه الموت ، فامتددت حالا وحاولت ان امسك رأس الجنـدي الجريح لاخفف عنه .

فهز رأسه لي . وصحت في اذنه قائلا :

« سأحملك الى خندقي — يوجد ماء هناك » فهز رأسه ثانية .

ثم لشد ما اندهشت عندما رفع نفسه على قدميه ومضى يتعثر تارة ويركض أخرى الى خندقي الشق .

واصبحت الدبابات عندئذ فوق الخطوط الاماميـة للقاطع الذي فى يميني . فزحفت عائدا الى خندقي . لم يكن (مولر) هناك فسحبت الجندي الجريح الى الحفرة معي . وكانت زمزميتي الايطالية ملآنة بالقهوة الى منتصفها وموضوعة فى الخندق فشرب منها بنهم ثم مال الى الخلف واسلم الروح وتدلت رجلاه في الحفرة والتوى جسمه على حافتها . ثم بدأت انفجارات القنابل تثور في كل جهة . وبينما اسائل نفسي « هل أنا الآن وحيد هنا ؟ » اذ جاءني الجواب من الخلف حيث كان العريف (ويبر) رامي مدفعي الثالث . وكان يقذف بالقنبلة بعـد الاخرى — ولكن بسالته لم تنفع الا قليلا .

واستدارت اثنتى عشرة دبابة نحونا لاسكات هـذا التهديد . فقذفتنا

مدافعها بنيرانها الحاميـة بشدة وجعلت تندفع نحونا مباشرة . فتركت ناظوري وتدحرجت الى اسفل خندقي حيث فرش (مولر) بطانية فغطيت بها نفسي كوسيلة للحماية لافائدة منها — وكان مقدم حذاء الجندي الميت يتدلى على بعد ست عقد من عيني .

واهتزت الارض . وكانت حنجرتي كورق السنفرة (١) - واذن فهذه هي نهايتي . لقد نجوت من الموت في (سيدي رزق) اما الان فلا مفر لي منه . وسيقولون لخطيبتي « نخبرك بمزيد الاسف ان . . . » وستقرأ انني مت موتـة بطل في سبيل وطني . وماذا يعني ذلك ؟ يعني انني كنت محض لخبطة دموية في الرمل فى بقعة مجهولة وقرب نقطة غير مهمة فى الصحراء تدعي (عكرمة) . وداست دبابة على حافة خندقي وسمعت صوتا انكليزيا ينادي . فهل كان ذلك من شخص في الدبابـة أم صوت جندي مشاة يسير وراء الدبابة وحربته مركبـة ؟ . ان البطانية لاتفيد شيئا ازاء الحربة ، ولكن ربما لايرونني او ربما سابقى مضطجعا هنا فأجن . او ربما اقتل بقنبلة . او ربمـــا تسحقني دبابة أخرى . ومرت الدقائق ببطء فسمعت بعدئذ اصواتا المانية . يظهر ان البريطانيين يجمعون الاسرى فى قاطعي . وهانذا مضطجـع في الخندق . ثم انقطعت النار وبعـد نحو ربع ساعة سمعت الدبابات تتدحرج نحو الجنوب وخيم السكون على ميدان المعركة ، لكنني لم ازل مضطجعا كشخص نائم

وعندما رفعت رأسي . كانت السماء قد عتمت بعد وميضها النحاسي

---

(١) وهو الورق المستعمل لصقل الخشب ويسمى باللغـــة العادية العراقية (كاغد جام دة) . المعرب

وقت العصر وكان المساء مقبلا . فلم أر علامة حياة في جميع الجهات . ثم جفلت من شبح برز كالعفريت من خندق شق على بعـد قليل في الخلف . لقد كان هذا الجندى (مولر) .

وكانت على وجهـه علائم عذاب فنادانى « هل انت بخير ياسيدي الملازم الاول ؟ » ثم اردف يقول بغرابة « اما أنا فلست بخير »

فأمرته قائلا « تعال هنا . سننتظر حتى يحل الظـلام ثم نتحرك » . فقال مولر « ياسيدي الملازم كان لحم الغزال جاهزا للأكل عندما جاء الانكليز » .

وحالما خيم الظلام على ميدان المعركة أخذنى (مولر) الى الوادي الذي شوى فيه الغزال . فكانت احدى فخذيه لاتزال حارة وموضوعة على صفيحة من الحديد هناك . وكانت زمزميـة (مولر) لاتزال تحتوي على شيء من القهوة . فقطعنا نتفا من اللحم الشهي الذى كان قويا فابتلعناها . ولازلت اتذكر كيف كنت اشعر بعصـارة اللحم وهى تنحدر من زوايا فمي .

كان من حسن الحظ ان ابقى حيا . وذهب ما كان قـد انتابني ، وأنا في الخندق الشق ، من شعور بعدم اهميتى وحسي بالموت المحقق . اذ ان روح العزم على الحياة قوي فينا .

ولم يبق من فوجنـا إلا اقله ، وقد قتل منه عـدد لايستهان به . ونظرت الى مدفع العريف (ويبر) - كانت دبابة بريطانية قد توجهت

نحوه مباشرة ومرت عليه فتمزق اربا اربا . اما (ويبر) نفسه فقد تمكن من الافلات ولقيناه على بعد نحو مائة ياردة في الوادي مع ثمانية من الاحياء الباقين . وكانت بعض عجلاتنا محطمة وقد غنم العدو كثيراً منها فلم يبق منها غير عدد قليل .

وتوليت قيادة الجماعة الباقية فتحركنا جنوبا . وفى نحو الساعة العاشرة ليلا صادفنا زمرة اخرى من الاحياء الباقين من الفوج ، وتابعنا المسير معهم . وانير الجو باطلاقات التنوير ، فخمنت من لون (منغنيزها) اللامع انها كانت المانية . فرمى احد جنودي لغرض التمييز اطلاقة تنوير خضراء تلتها بيضاء فحمراء — ثم استمررنا على المسير ، وكنا نتبادل علامات التمييز هذه من حين لآخر . وبعد ساعة صادفنا سرية من المدرعات وكانت هذه قطعـــة خاصة تابعة لـ (خيالة هوهمير) التي هي وحدة الاستطلاع الخاصة برومل .

وفي صباح اليوم الثانى أخذتنا السيارات الملحقة بسرية المدرعات الى مقر الكتيبة الـ (١١٥) التي كانت قد انسحبت جنوباً . فعلمنا هناك ان فوجنا قد دمر على وجه التقريب ، وان آمر الفوج المقدم (روسكه) الذي التحق بنا في آذار أخذ أسيراً ، وكنت أنا آمر السرية الوحيد الذي نجا من الموت بل ولم يبق من ضباط الفوج إلا أنا وضابط آخر .

اما المراتب فبقي منهم نحو (٣٠) من نحو (٣٥٠) ضابط صف وجندي اشتركوا فى المعركة . وقد وزع الباقون من فوجي على فوجي الكتيبة الآخرين الى ان تم اعادة التجحفل . وبعد ان اعيد تكوين الفوج اشترك في معركة العلمين أخيراً .

ولقد اعتبرت بعد ذلك أهلا لتولي منصب آمر فوج وجعلت في احتياط الفرقة . ثم الحقت بمقر الكتيبة واشتركت مع القطعات التي هاجمت طبرق . وبعد انتصارنا هناك ساعدني الحظ لأن أطير الى المانيا باجازة ، وكانت مدة اجازتي الاصلية ثلاثة أسابيع إلا انها مددت الى ثمانية . ولاشك انه كان للضابط الشاب الآتي من الصحراء حكايات كثيرة — من بينها قصة طبرق — فاتحف بها الذين بقوا في الوطن



الباب السادس والعشرون

في المزانه

كان ذلك اليوم الذي أبدى فيه فوجي يوما جنونياً في المعركة ، وكانت طبرق لا تزال هدف رومل . لكننا كنا في مأزق حرج . وتراءى لنا لمدة طويلة كأننا سنكون المغلوبين وليس الغالبين في هذا الصراع الصحراوي القاسي . وقد استطاعت احدى جحافل المعركة من الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) ان تقضي على مقر امير اللواء (مسيرفي) قائد الفرقة البريطانية المدرعة السابعة وان تأخذه أسيراً مع جميع هيئة أركانه وكان هذا القائد يرتدي القميص والسروال القصير ولا يحمل علامات الرتب ولذلك لم نعرف هويته فاستطاع ان يهرب في غمار الاضطراب الناجم عن هجوم مقابل ، ولم نعرف انه وقع في ايدينا إلا بعد ذلك بوقت طويل .

وجابهتنا صعوبات جمة . فقد اسقطت طائرة « اللقلق » للفريق (كرويل) فوق مواضع الفرقة البريطانية الـ (٥٠) في خط (الغزالة) فأخذ اسيراً ، وكان رومل وهيئة اركانه معنا في الامام كالعادة ، فعاش القائد حياة محفوفة بالاخطار دون ان يصاب بضرر . إلا ان (كاوزه) قد جرح فتولى (بايرلاين) منصبه كرئيس لأركان رومل وجيء بـ (نهرنك) بالطيارة عبر البحر المتوسط ليحل محل (كرويل)

وتعرقل تقدمنا بشكل سيء في (غوط الوالب) حيث كان اللواء

البريطاني الـ (١٥٠) يحتل موضعا قريبا هناك وقد فشلت جهودنا في خرق حقل الالغام ، وكان علينا ان نعتمد في تموينا على الطريق الطويل المكشوف المار حول (بئر حكيم) . فتحرك معظم قوتنا جنوبا بأوامر من رومل ليتصل بقافلة تموين كانت القوة الجوية البريطانية قد قصفتها قصفا شديداً .

والتقت معنا دبابات البريطانيين يوم ٢٩ مايس ، فنشبت بينها وبين دباباتنا معركة مستميتة ، وكانت امامنا فرقة مدرعة كاملة (١) مع لوائين آخرين ، إلا ان زوبعة رملية هبت بعد الظهر فانهت المعركة . إذ لم يكن الانسان يرى اثناءها عدوه من صديقه ، ولو استمرت هذه المعركة لكان من المحتمل ان تكون نتيجتها سيئة بالنسبة الينا ، وربما بقيت (طبرق) بأيدي البريطانيين .

وفي فجر اليوم الثاني جاء البريطانيون ثانية الى حيث كنا مرابطين إلا اننا تراجعنا تدريجيـا نحو الغرب دون ان يضطرنا العدو على التورط في انسحاب عاجل . على ان الايطاليين تمكنوا اخيراً في المعركة التي جرت قبل يوم من ان يفتحوا عنوة ثغرة خلال حقل الالغـام في نيسم (العبد) ونيسم (كابوزو) فتيسر لنا بذلك مجال نستطيع منه الانسحاب الى غرب خط (الغزالة) ثانية عند الحاجة او نتمكن بواسطته من ادامة قطعاتنا القائمة بالحركات الالتفافية بصورة احسن من قبل ، وقد قصف الفرنسيون والبريطانيون هذه الثغرة من كلا الجانبين قصفا شديداً إلا انها ظلت مع ذلك قابلة المرور .

وقرر رومل ان يسحب دباباته الى الخلف خلال الثغرة فاستخدمنا

---

(١) الفرقة البريطانية المدرعة الاولى

طريقتنا المجربة استر الانسحاب ونظمنا حجابا من مدافع ضد الدبابات على قوس واسع على طرفي نيسم (العبد) وفي الجانب الشرقي من الثغرة. وكان الجناح الايمن للحجاب مستنداً على حقل الالغام البريطاني .

وجاءت الدبابات البريطانية من الجنوب محاولة احاطة حجابنا هذا ، إلا انها كانت على مسافة بعيدة . وبالاضافة الى ذلك ظهر ان امير اللواء (ريجي) صار يفكر الان فيما اذا كان قد حان له الوقت ليتحول الى التعرض فيرسل دباباته حول (بئر حكيم) من الجنوب ليحيطنا بدوره من الجناح والخلف .

وفي ذلك اليوم نفسه كان قد قرر — كما علمنا بعدئذ — ان يهجم بالفرقتين الافريقية الجنوبية الـ (٥٠) على الطريق الساحلي هجوم مشاغلة ليحول انظار قواتنا عن حركة دباباته في الجنوب . إلا ان تشكيلاته لم تكن جاهزة للهجوم المقرر .

وفي اليوم التالي شعر (ريجي) ان رومل لم يدحر وانه لاينوي الانسحاب بل كان يعيد التجحفل فقط غرب ثغرة حقل الالغام . وقد سبق له ان وضع الخطط لاستئناف الهجوم في اللحظة التي يتمكن فيها من ذلك .

٢

مر اليوم الذي كان مقرراً فيه احتلال طبرق . ولم نكن مرتاحين في النتوء الذي كنا نحتله في نهاية حقل الالغام اذ كان العتاد قليلا ومواد التموين تأتي عبر الثغرة بصعوبة وبكميات قليلة وقد هاجمت القوة الجوية البريطانية كل قافلة تموين جاءت الى الامام هجوما عنيفاً وكان الافرنسيون

الاحرار لايزالون يقاتلون بشجاعة وقد استولوا على بعض الاسرى في هجماتهم المقابلة . وبدا لنا ان الاحتياطات السيارة للجيش الثامن التي كانت مقدمة علينا قد تتمكن من محاصرتنا . وكنا جالسين وكأننا في قفص بين حقل الالغام والعدو . وكان عتادنا قليلا وارزاقنا ناقصة وماؤنا غير كاف . ولم يكن لدينا مانتمكن من الاستغناء عنه لاسرانا الذين كان معظمهم من جنود اللواء الهندي الالي الثالث حتى ان جنودنا كانوا يخرجون الماء خلسة من مبردات العجلات لغرض الشرب .

وكان مصير فيلق افريقيا متوقفاً على امكان تأسيس المواصلات بصورة جيدة عبر حقل الالغام .

وقام رومل ثانية بعد ظهر يوم ٣١ مايس . فزج بكل مالديه في هجوم ضد اللواء الـ (١٥٠) . فجاءت الدبابات البريطانية لمعونة المشاة إلا اننا تغلبنا عليها عند ظهر اليوم الثاني اذ قضينا على القسم الاعظم من احدى الوية دبابات العدو (١) . وقد قام (ريجي) أيضا بهجوم مقابل بلواء بريطاني آخر من الشمال وبلواء هندي من الشرق (٢) الا ان كلا الهجومين قد فشلا .

وكان غرض (ريجي) ان يشق طريقه بالقتال عبر حقل الالغام وان يرسل أدباباته غربا لتسد ثغراتنا فتضطر دباباتنا للاشتباك في

---

(١) لواء دبابات الجيش الاول .

(٢) قام (ريجي) بهجومه المقابل الرئيسي يوم ٥ حزيران باللوائين الهنديين التاسع والعاشر (وليس بلواء هندي واحد كما يقول المؤلف) . وكان يسندهما اللواء المدرع الـ (٢٢) من الشرق . اما اللواء الهاجم من الشمال فكان اللواء الـ (٦٩) وقد اسنده لواء دبابات الجيش الـ (٣٢)

معركة أخرى معها بينما يحاول الافريقيون الجنوبيون في الشمال التقدم على الطريق الساحلي . غير ان محاولة البريطانيين هذه قد خابت . وكانت النتيجة باختصار ان (ريجي) فقد اربع كتائب من مدفعيـة الميدان ولواءاً هنديا (١) والفوج الآلي للواء مدرع (٢) . وحطمنا عـدداً كبيراً من الدبابات علاوة على الخسائر الكثيرة التى تكبدتها الوحـدات الاخرى . واضطرب نظام العدو بشكل سيىء لأنـنـا قضينا على المقر التعبوي لاحدى فرقه ومزقنا مواصلاته بتحطيم عـدد من وحدات مخابرته .

واصبح روميل الآن هو الغالب واظن انه خمن في مساء ٥ حزيران ان (طبرق) اصبحت في جعبته !

---

(١) وهو اللواء الهندي العاشر بقيادة الزعيم (باوشر) م.
(٤) وهو اللواء المدرع الـ (٢٢) بقيادة الزعيم (كار)

الباب السابع والعشرون

على أبواب (طبرق)

استخدم روملى الآن الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) للهجوم على (بئر حكيم) وكان هذا تشكيلا ذا قابلية حركة عظيمة ومدرباً في الاصل للقيام بحركات خاصة في الشرق الاوسط (وقد عهد الي فيما بعد بقيادة فوج من هذا التشكيل) . ولكن على الرغم من هجمات طائرات (شتوكا) ونيران المدفعية الكثيفة ثابر رجال (كونيك) الافرنسيون على الدفاع عن انفسهم بعناد ، وقد قاوموا حتى ليلة ١٠ حزيران حيث كان يجري تموينهم جواً . ثم تعذر على البريطانيين تموينهم بعدئذ فأمروا بالانسحاب ونجح قسم كبير منهم في الخروج من الحصار والالتحاق بالجيش الثامن في الشرق ، وكان دفاع هؤلاء المجيد اول علامة من علائم احياء روح القتال الافرنسية منذ اندحار فرنسة سنة ٩٤٠ . في هذه المرة صمدوا ازاء روملى العظيم قائد « فرقة الشبح »

لقد اخترق الآن خط (الغزالة) من مكانين مع ان مواضع قطعات (بينار) الافريقية الجنوبية لا تزال سالمة في النهاية الشمالية من هذا الخط ، وقرر روملى ان يجازف في الاندفاع نحو (العدم) فتقدمت الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) الى الامام تتبعها الفرق المدرعة التي كانت قد ضعفت بنتيجة القتال واستطاعت ان تحتل الارض الواقعة جنوب مطار (العدم) وفي تلك الايام حدثت في (نايتسبرج) معركة الدبابات الفظيعة الحاسمة .

ويعزى سر انتصارنا فيها الى تفوق القوة الضاربة لدباباتنا ومدافعنا ضد الدبابات ليس الا ، واندحرت بنتيجة تلك الدروع البريطانية . وبخسران معركة الدبابات هذه كانت (طبرق) قد ضاعت في الحقيقة .

ولما ساء موقف دبابات (ريجي) شعر بأن فرقة افريقيا الجنوبية والفرقة الـ (٥٠) اصبحتا في خطر فسحبها . فضربت الفرقة الـ (٥٠) عرض الصحراء وشقت طريقها بالقتـال خلال تشكيلاتنا لتصل الى (طبرق) وعلى الرغم من تكبدها خسائر فادحة فان معنوياتها لم تتأثر على ما يظهر .

اما فرقة افريقيا الجنوبية فانهـا خرجت سالمة تقريبا ما بين مساء ١٤ حزيران وبعد ظهر ١٥ منه مستفيدة من ثلاثة طرق في انسحابها من المنحدر الى الطريق الساحلي وجئنـا بالقطعات والدبابات الى اسفل المنحدر فقطعنا الطريق الساحلي الا ان كثيرين من العـدو استطاعوا الوصول الى (طبرق) من النياسم الوعرة القريبة من البحر .

وكان (اوكنلك) قد قرر مبكراً، كما استنتج رومل فيما بعد ، اجتناب حصار ثان في (طبرق) . وكانت خطته تتلخص في احتـلال الحصن وابعاد قوات رومل وذلك باحتلال مواضع صحيحة من الوجهة التعبوية على مسافة مناسبة جنوب نطاق (طبرق) وجنوبها الغربي مع الاحتفاظ بقطعات ثابتة وبارتال سيارة تستند على الأماكن الدفاعية كقاعدة لحركاتها .

والظاهر ان (اوكنلك) بعد استيلائنا على مواضع (الغزالة) اصدر اوامره بوجوب ايقافنا على خط يمتد من (عكرمة) الى (العـدم) ثم يتجه نحو الجنوب ويمنعنا من احاطة القلعة مهما كلف الأمر . ولم يتخل

(اوكنلك) عن خطته التي تنطوي على القيام بتعرض مقابل بالتشكيلات التي سيعيد تنظيمها حالما يتلقى التقويات من سوريا (١) — وقد ابدى رومل أسفه لأنه لا يستطيع ان يفعل شيئاً ليحول دون وصول هذه التقويات — على ان (اوكنلك) احضر في نفس الوقت مواضع دفاعية على الحدود المصرية . وكان قد جرى تعزيز حامية (طبرق) فصارت تحتوي على اربعة او خمسة الوية مشاة مضافا اليها دبابات المشاة البطيئة والمدفعية — إلا ان المدفعية لم تكن كافية كما وجدنا ذلك بعدئذ .

وتولى قيادة القلعة الفريق (كلوبر) قائدفرقة افريقيا الجنوبية الثانية . فقام لواءآه الرابع والسادس مع لواء مختلط من فرقة (بينار) الاولى باشغال القاطع الواقع غرب (طبرق) من البحر حتى طريق (العدم) . وكان اللواء السادس في اقصى الغرب والرابع قريباً من الجناح الجنوبي وكان اللواءآن يستران القاطع الذي هاجمه رومل مراراً في ١٩٤١ عندما كان الاستراليون يحتلون (طبرق) .

وكان اللواء الهندي الـ (١١) (٢) يشغل القاطع الواقع شرق الافريقيين الجنوبيين . وهو القاطع الذي كنت مهتما به بصورة خاصة ، اذ اننا كنا سنهاجم القلعة في هـذه المرة من (الدودة) التي جرت باستقامتها حركة خروج البريطانيين من (طبرق) فى تشرين الثاني الماضي والتي قرر رومل ايضا الهجوم على القلعة منها . وفي نفس اليوم الذي تولى فيه (كلوبر) القيادة (١٥ حزيران) وصل جحفل الاستطلاع المدرع الذى يقوده (ريتمايستر فون هوهمير) ، والذي كان تحت سيطرة

---

(١) وهذه هي مقر الفيلق العاشر والفرقة النيوزيلندية .

(٢) بقيادة الزعيم (اندرسون) .

رومل الشخصيـة الى (سيدي رزق) . فادخل ثعلب الصحراء حالا التعديلات النهائية على خطة الهجوم .

ولقد اصبحت (طبرق) تشغل بال رومل كثيراً وكانت رغبـة الاستيلاء عليها تسيطر على فكره مـدة تزيد على سنة وان كان مشغولا خلال ذلك بحركات أخرى . وقد قال انه لايستطيع احتلال مصر اذا ترك (طبرق) خلفه . وكانت الخطة التي وضعها للهجوم في تشرين الثاني والتي فكر في تفاصيلها بدقة عظيمة قد احبطت بحركة « كروسيدر » . اما الآن فهو متفوق ثانية وقد عزم على تطبيق خطته القديمة بحـذافيرها وباقصى مايمكن من الدقة في التوقيت . وقرر ان يستخـدم كل مالديه من القوة المتيسرة .

ووجدت نفسي مرة أخرى في الارض التي اعرفها جنوب (العدم) . وكان رومل يتنقل بيننا طول الوقت بقامته القصيرة تبدو عليه امارات العزم ، ويتصرف كما كان يفعل في الاشهر التي كنت فيها بجانبه .

وجعلت نيران مدفعية العـدو وقوته الجوية حياتنا تعيسة . فكان الهجوم الذي قام به جحفل معركة من فرقتنـا المدرعة الـ (١٥) تسلية لنا . وقد دافع البريطانيون عن مواضعهم بثبات تسندهم الدبابات . وارسلت الفرقة المدرعـة الـ (٢١) جحفل معركة للهجوم على الهنود في (سيدي رزق) الا انه صـد بالمدافع والقصف الجوي . وبينما كانت الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) تقوم بهجوم ضعيف باتجاه (العدم) تحرك القسم الاعظم أيضاً من الفرقةالـ (٢١) من الوادي نحو(سيدي رزق) فاستولوا عليه في اليوم الثاني .

وانسحب المدافعون (١) عن (العدم) خلافا لرغبـة (اوكنلك) .

---

(١) اللواء الهندي الـ (٢٩) (بقيادة الزعيم ريد) .

على ما اظن ، اذ انه كان ينوي تعزيزهم بقوات أخرى ليتسنى لهم الاحتفاظ بمواضعهم . وبانسحاب هؤلاء بات مصير حامية (طبرق) مقرراً اكثر من ذي قبل .

وفي يوم ١٧ حزيران رأت عيني ثانية مسجد (سيدي رزق) من المكان الذي سبق ان جرحت فيه قبل سبعة اشهر والذي مني به الافريقيون الجنوبيون بخسائر فادحة . وقد حدث قتال عنيف آخر بعد ظهر هذااليوم اذ زج رومل نحومائة دبابة من دباباتنا ضد اللواء البريطاني المدرع الرابع فحطم جميع دباباته عدا عشرين منها . وتراجعت الدروع البريطانية الى (غامبوط) تاركة (طبرق) من دون حماية .

ورأيت في ذلك الحين عجلة القيادة المعهودة — الماموث — تتدحرج على منحدر (العـــدم) ثانية ورومل جالس في وضعه المعتاد في فتحة السقف . فقال :

« لقد تحطم الدرع الذي كان يجب ان يحمي الجانب الضعيف من القلعة شرق هذا المكان . فاكتسبنا بذلك الجولة الاولى قبل ان نخوض المعركة لخرق النطاق الحمايوي المباشر حول طبرق . وينبغي لنا الاستفادة من هذا الموقف حالا . فعلى جميع التشكيلات ان تهجم على القلعة بجميع مالديها من حول وقوة » .

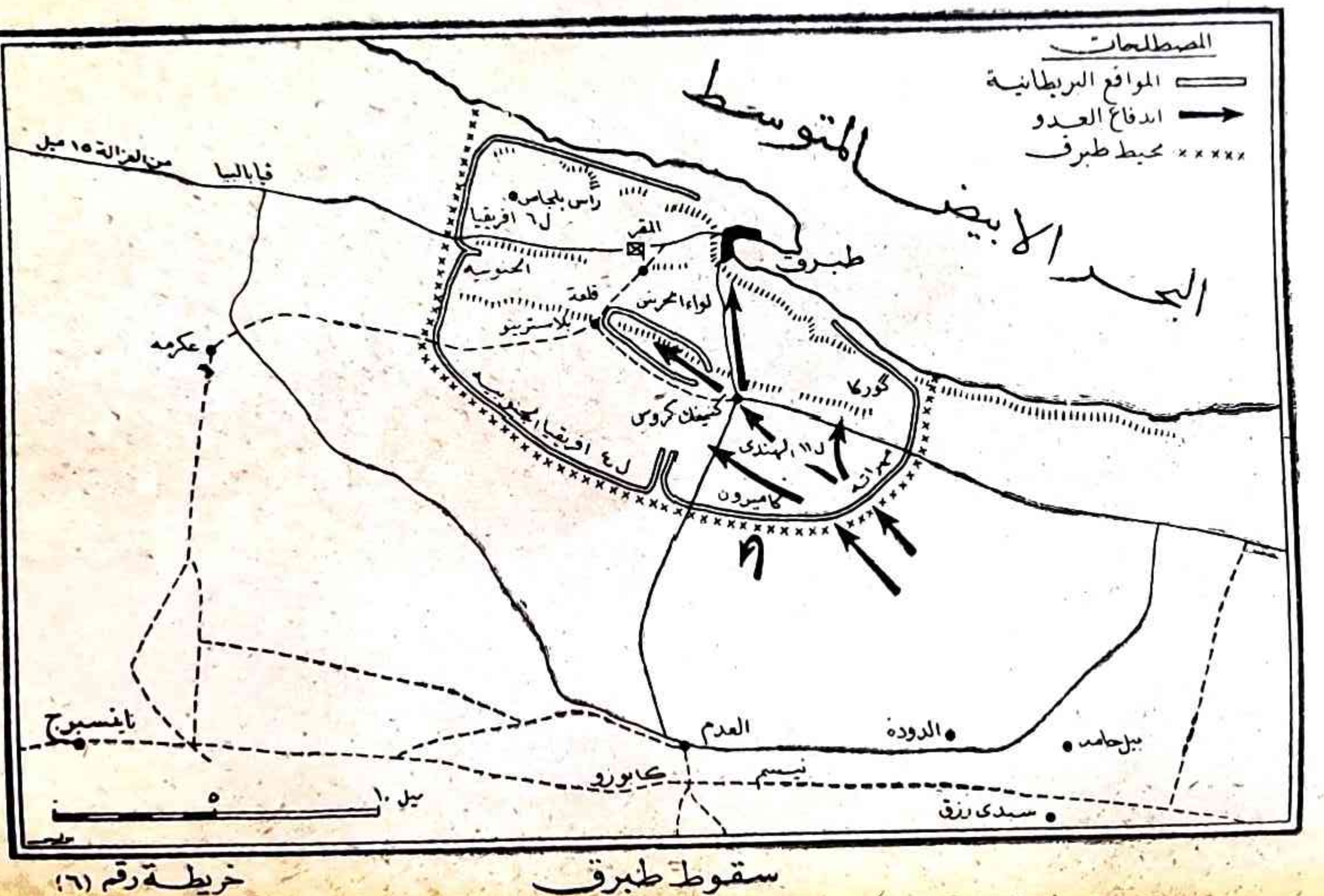
الباب الثامن والعشرون

تحطيم طبرق

لم تكن تلك الايام من حزيران ٩٤٢ حارة في الصحراء إلا ان لياليها وساعات الصباح المبكرة كانت باردة ، وأظن انه لم تكن ثمة ليلة أبرد من ليلة ١٩ — ٢٠ حزيران . وربما كان السبب الذي جعلني احس بالبرد وارتجف كثيراً التهيج الخفي الذي يصيب المرء عادة قبيل كل حركة ، وكانت الليلة هادئة إلا من بعض الانفلاقات التي تحدث من حين لآخر غير انها كانت ستنقلب بعد ساعات قلائل الى ليلة مجنونة . وكانت جماعات من الاشباح الزاحفة مزدحمـــة في واد صغير في الدودة وهي ملتفة بالبطانيات الصوفية ، ولم يكن ثمة كلام في الغالب إلا همسا كأن جنودنا كانوا يخشون ان يسمعهم العدو مع انه ربما كان على بعد اميال منهم — واذا كان هنالك كلام فهو ثرثرة في غير محله — وشبيه بأي كلام يقال قبل المعركة . وكان بجانب كل مجموعة قتال — مؤلفة من هندسة الصولة وقطعات المشاة الصاعقة — اسلحتها والمعدات اللازمة لها والتي زودت بها من النهار وذلك كالمفرقعات والقنابر وكاشفات الالغام ومقصات الاسلاك وقاذفات اللهيب وشموع حجابات الدخان والرشاشات والعتاد

ولم تبق إلا دقائق قليلة لساعة الصفر

وكان في الوسع التفكير خلال هذه الدقائق القليلة — ولاسيما من قبل الذين اشتركوا معنا في الهجمات العديمة الفائدة خلال شهري نيسان



سقوط طبرق

خريطة رقم (٦١)



وأيار من السنة الماضية عندما كنا في قاطع (بلاسترينو — ميداوا) . فهل نشأ هذا التفاؤل بنتيجة انتصاراتنا الاولى ؟ ام كان سببه شعورنا بأن (طبرق) لا يمكن ان تكون مهيأة في هذه المرة كما كانت سنة ١٩٤١ — وقد كنا في الواقع واثقين من ذلك — ام كان السبب هو لأنني منذ عرفت جبهة (طبرق) جيداً اعتبرت الدودة أحسن مكان يمكن منه الهجوم ؟

وعادت بي الذكرى الى بداية نيسان ١٩٤١ عندما أمرني رومل أثناء جولته في هذا القاطع ان اقود دورية استطلاع ليلية . فاستطلعت بهدوء انا و (هاندت) — وكان هذا ضابطا مجرباً من الفرقة الخفيفة الخامسة — الموضع الذي نحتله الآن والارض الواقعة امامها . وكان مع كل منا ثلاثة جنود يديرون كاشفات الالغام .

وبعد عدة ساعات وجدنا طريقنا الى الامام الى اقصى مواضع الخنادق . وقد فوجئنا عندما وجدناها خالية .

وقبل طلوع النهار زحفنا عائدين باتجاه يكاد ان يكون شماليا وموازيا لطريق (البردية) . وقد اهتم رومل بتقريري اهتماماً عظيماً إلا انه لم يكن مستعداً لاجراء أية حركة مهما كان نوعها على هذا القسم من النطاق . على ان اشتراكي في هذه الدورية كان مفيداً لي إذ صرت اعرف الآن طبيعة الارض .

٢

وبلغنا بالامر « تهيأ » بالتلفون ، وكان ذلك بعد منتصف الليل

بقليل ـ فأطفأت السكاير وبدأت الاسلحة والمعدات تطقطق ، ونهضت الاشباح السوداء من كل مكان . فركبنا عجلاتنا وسقناها بحذر لمسافة اقرب الى هدفنا ثم ترجلنا وتقدمنا الى الامام نقطع الاميال القلائل الباقية سيراً على الاقدام ، بعيون مجهدة وآذان مرهفة ، وقد ساعدني على توجيه نفسي نجم القطب اللامع الذي كان في النصف الايمن من السماء .

وبدأت كاشفات الالغام بالعمل إلا انه لم تعترض تقدمنا اية الغام . وكانت محارات البحر ـــ وهي آثار العصور الغابرة عندما كان البحر المتوسط يغمر هضبة الصحراء هذه ـــ تتكسر تحت اقدامنا محدثة صوتا ينم عن تقدمنا .

ثم لاحت الاسلاك الشائكة في سواد الليل ، فبـــدأت مؤشرات كاشفات الالغام تتحرك منذرة بخطر خفي . وكان كل شيء هادئاً في خطوط العدو عدا بعض القنابل التي كانت تهف عالية فوق الرؤس .

وزحفت جنود المشاة الى المواضع بهدوء . فتقـدم جنود قلائل من هندسة الصولة الى الاسلاك الشائكة تحت ستر اسلحتنا ، فقطعوا اسلاك المانع واحداً بعد الآخر ورفعوا عدداً من الالغام ثم عادوا الينا زاحفين . وانبطحنا على بطوننا وانتظرنا لحظة الهجوم في الفجر .

وسمعنا من احدى الجهات اصوات رمي رشاشات (فيكرس) اعقبتها صليات قصيرة وسريعة كانت تنبعث من رشاشة المانيـة . فلابد وان قطعات الصولة في جناحنا قد امنت التماس بالعدو او انها ربما اصطدمت بدورية . ثم هدأ كل شيء مرة أخرى وبقينا ننتظر اشارة الهجوم .

ولاح الفجر الكاذب في السماء ثم طلع النهار . ففتحت مدافعنا نارها

وشرعت ترمي نطاق العــدو اولا باطلاقات منفردة ثم بشدة متزايدة . وانفجرت الاطلاقات على بعد لا يتجاوز ياردات قليلة أمامنـا . فصرت أخشى أن نضطر الى رمي اطلاقات التنوير كاشارة لمدفعيتنا فنكشف بذلك مواضعنا . على ان السد الناري لمدفعيتنا زحف الى الامام .

ثم بدأ دوي طائرات (شتوكا) وهي تقترب — فوضعنـا باعتناء شق الدلالة التي كنا قد جلبناها معنا . فقـد سبق ان ذقنا طعم قنابر طائراتنا هذه (وقد حدث ذلك ثانية في العلمين) .

وبدأت المعركة — ففي الجناح البعيد الذي سمعنا فيه صوت الرمي من قبل ، انفتحت النيران من الرشاشات ومدافع الهاون . وامالت الطائرات انوفها فانقضت مارة فوق رؤوسنا واتجهت نحو نطاق العدو ، وانحدرت قنابلها وهي تصرخ فاصطدمت في حقل الالغام . لقد ابتدع رومل حيلة جـديدة في الصحراء . فلم يكن يقصف المدافعين بل يريد أن يشق طريقاً عبر حقل الالغــام ثم تتابعت اصوات الاصطدامات الواحدة بعد الاخرى فاصبحت متواصلة ، وكانت كل قنبرة تفلق سلسلة من الالغام كما يستمر الانقسام الذاتي للذرة بعد صدمة الانفلاق الاولى واستدارت طائرات (شتوكا) الى الوراء وحمالات قنابرها فارغــة ومحركاتها تهدر ، فطارت بارتفاع واطيء فوق رؤوسنا من دون ان تعترضها القوة الجوية البريطانية التي كانت قد طردت من مطار (غامبوط) فلم تكن ثمة « قوارب دعارة » لتزعج قوتنا الجوية .

وعندما سقطت القنبرة الاولى ، رأينـا في الامام اشباحا تتحرك الى الخلف تلتمس لها ملجأ — وكانت هذه ستارات العدو . على اننا كنا ممتدين في واد غير عميق ويبدو انهم لم يرونا . وقد حانت لحظة الهجوم

الآن ـــ ففرغنا شرائط رشاشاتنا بصليات سريعة ومتعاقبة نحو الارض التي اختفى فيها العدو وصببنا نيراننا على بناء منفرد مرئي كان يوحي بوجود نقطة قوية فيه . وقفز مهندسو الصولة من مكانهم فتقدموا الى الامام . وكانوا يحملون المفرقعات لتحطيم موانع سلكية أخرى . ثم فتحت علينا نار جهنم . اذ جابهنا مدافعو اللواء الهندي الـ (١١) (١) بنيرانهم الحامية ، وكانت احدى الرشاشات ترمينا من الجانب باستمرار بصليات طويلة . لكن جنـــود هندسة الصولة استمروا في التقـدم دون هوادة . واطلقوا اطلاقات التنوير كاشارة للمدفعية فزحف السد الناري الى مسافة ابعد ثم اشعلوا شموعهم الدخانية . وكانت هذه اشارة لنا بالتقدم . فاندفعنا الى الامام تحت ستر حجاب الدخان . وسقط جنود قلائل منا ، غير ان قفزاتنا الطويلة اوصلتنا الى الخندق الأول بسرعة . وكان فارغا . فوجدنا فيه ستراً مناسبا وساحة رمي جيدة . وكان مشاتنا الآليون يزحفون مع مدافع ضد الدبابات والدبابات الساندة نحو الثغرة التي حدثت في الاسلاك تحت وابل من نيران قنابل (طبرق) التي صارت تتساقط وراءنا .

وعالجت هندسة الصولة حفرة ضد الدبابات التي كان فيهـا الطين فأسست عليها جسراً وملأتها بالتراب ، وتابعت الدبابات زحفها الى الامام وأخذ مشاتنا المعززون يقفزون من خندق الى آخر ، فوقفت لحظة لأنظر الى جناحنا الايمن فاذا بنا قد تقدمنا تقدما جيداً هناك ، وكانت قطعاتنا

---

(١) وكان مؤلفا من فوج (كاميرون هايلندرس) الثاني لجلالة الملكة وفوج (مهراطة) ٢/٥ وفوج (الكوركا) ٢ / ٧ .

في هذا الجناح قد جاوزتنا وصارت ترمي بنيرانها الجانبية مواضع العدو التي امامنا . ان هذا حسن - وانها لمساعدة عظيمة لنا .

ولم تقصفنا مدفعية طبرق بشدة لان الثقل الرئيسي لقصف العدو تحول على الدبابات والمشاة الاستراليين للفرقة المدرعة الـ (١٥) وكنا نحن داخل مواضع العدو الرئيسية تقريباً .

وأخر تقدمنا برهة من الزمن حقل الغام غير متوقع ، ثم اخترقته الدبابات وتبعتها المشاة ومدافع ضد الدبابات ، وقاومنا الجنود بأقصى ما في وسعهم وخاصة فوج مهراطة (٢ / ٥) إلا ان الظاهر انهم انصعقوا بهجومنا الفجائي وبصدمة قصف طائرات (شتوكا) وجاء جنود الكوركا (٢ / ٧) يتسابقون في ناقلات برن للقيام بهجوم مقابل . إلا انهم شتتوا يمنة ويسرة بالنيران المتمركزة للرشاشات ومدافع ضد الدبابات والهوارين .

وكانت الساعة في السابعة والنصف او بعدها عندما بدأت مدفعية طبرق تصب علينا نيرانها المتمركزة بصورة حقيقية - إلا ان ذلك كان بعد فوات الاوان - وحاول العدو ان يعقب بناره الدبابات التي كانت بيننا ، لكننا كنا في ستر جيد وفرحين به .

وجرى الهجوم وفق الخطة المرسومة تماما لكنه نجح قبل الوقت المتوقع . وخسرنا بعض القتلى والجرحى إلا ان الخسائر كانت قليلة نسبياً . وارسلنا الى الخلف اول وجبة من اسرانا ثم تابعنا التقدم . فاتصل جنودي مع بعض حاملات القطعات من الكتيبة الـ (١١٥) .

وبعد ظهر ذلك اليوم زحفت دبابات رومل بثبات يسترها خط من مدافع ضد الدبابات المتحركة من كتيبة المشاة الآلية الاولى نحو هدفها

الاول وهي تقاطع طريقي (طبرق ـ البردية) الذى كان يسميه مدافعو (طبرق) (كنكس كروس) .

وكنا نعلم منذ سنة ١٩٤١ ان العدو قد عبي أشد بطرياته تأثيراً في هذه المنطقة . فاوقفتنا عن التقدم اولا نيران عدة بطريات من المدفعية الملكية ثم انصبت علينا نيران مدفعية افريقيا الجنوبية على ما اظن . إلا ان دباباتنا ومشاتنا حطمت المدافع او سحقتها الواحد بعد الآخر .

والتقت دباباتنا الأخرى بكتيبة الدبابات الملكيـة الرابعـة قرب (كنكس كروس) فمزقتها . وكانت الدبابات البريطانية هـذه وحدة مختلطة ارسلت على عجل الى الامام كقوة هجوم مقـابل . ويظهر انهـا كانت ناقصة التنظيم وحركاتها غير منسقة مع اسناد المشاة . كما انها لم تكن تضاهي دباباتنا العـلامة (٣) و (٤) — ولذلك فلم يبق منها صالحاً وقت الضحى غير ست دبابات فقط ، فولت هاربة من ساحة القتال .

وحاولت بضع دبابات اخرى — نحو سرية او مايعادلها — الهجوم علينا من المكان الذي كان لايزال فيه جنود (الكامرون هايلندرز) من اللواء الهندي يقاتلون بكل مافي وسعهم . الا ان هذه ايضا تحطمت بمدافع ضد الدبابات للفرقة الخفيفـة الـ (٩٠) على جانب (البردية) من (كنكس كروس) . ولم ينج من هذه المعركة غير اربع دبابات فقط حسبما افاد جنودنا بعدئذ .

على ان دباباتنا لم تبد اهتماما بالدبابات القليلة الباقية . فقد كانت خطة استخدامها تقضي بأن تشق القلعة الى قسمين باندفاعها شمالا نحو الميناء . وقد علمنا ان الافريقيين الجنوبيين لم يشتركوا في المعركة حتى ذلك الوقت

اذ كانوا ينتظروننا عبثاً إزاء نهاية جبهوية في قاطعهم . غير اننا صرنا الآن داخل القلعة وخلفهم فاستدارت لذلك مجموعة من دباباتنا غرباً مع عناصر من الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) لتأسيس جناح غربي لمجابهة احتياطات مشاة العدو هذه ولمعالجة لواء الحرس الـ (٢٩) .

واندفعت على الطريق (١٤) دبابة يرافقها مشاة آليون من فرقتنا المدرعة الـ (١٥) متجهة صوب الميناء على الرغم من نيران مدفعية الدفاع والنيران غير المجدية التي كان يرميها مشاة العدو والراكبين على العجلات فاستطاعت دباباتنا ، تسندها كتيبتنا الـ (١١٥) سحق بطريات بريطانية أخرى . ثم تمكنا بعد قليل ان نرى الميناء بوضوح وكانت سفينتان صغيرتان تمخران بشدة وهما تحاولان الهروب . فصوبنا عليهما مدافع (٨٨) ملم ضد الطيارات إلا انهما كانتا قد ابتعدتا كثيراً في البحر .

ثم اندفعنا نتسابق داخل القلعة مارين بعجلات عديمة الحركة - وكانت هذه معدة لأن تستفيد منها حامية العدو المغلوبة عند قيامها بحركة خروج من القلعة - فوصلنا الى الميناء حسب الخطة الموضوعة قبل الظلام . وهكذا مزقنا طبرق واحدثنا فيها اضطراباً على الرغم من اننا لم نكن قد تبادلنا النار مع القسم الاعظم من الحامية وهي قوات (كلوبر) الافريقية الجنوبية .

وكان رومل بنفسه داخل قلعة (طبرق) منذ منتصف النهار ، وكان الأسرى يمرون بماموثه في تقاطع (كنكس كروس) إلا ان قليلين منهم ادركوا على مايظهر ان الشخص القصير القوي البنية الواقف على سقف العجلة ورجلاه متباعدتان يشاهد بناظوره تقدم دباباته كان

هو « ثعلب الصحراء » نفسه . ولقد ايقن رومل الآن ان الأمنية التي كان يطمح اليها والغرض الذي كان ينشده منذ اربعة عشر شهراً قد تحققا . ولم يكن الفريق (كلوبر) كما استطعنا ان نستنتج ، بعيداً في ذلك الوقت . في الساعة الرابعة بعد الظهر كانت الدبابات على بعد نصف ميل منه . ويظهر انه نقل مقره عندئذ لسبب قهري . ولا ريب انه لم يكن في وسعه ان يفعل غير ذلك .

وارتفعت اعمدة الدخان الكثيفة الى عنان السماء ، وكان العتاد المشتعل ينفلق في الاكداس الواقعة قرب الميناء . وعندما غابت الشمس كان الميناء كله في قبضة رومل . وكان لواء الحرس — احتياط القلعة بيد (كلوبر) — قد سحق ومقره قد تحطم . غير ان الافريقين الجنوبيين بقوا في الواقع سالمين .

فقرر رومل اثناء الليل ان يهاجمهم من الخلف ووضع خطة خاصة لهجوم يجري لهذا الغرض على اتجاه مغناطيسي بين الميناء وبلاسترينو .

وفي الوقت نفسه كان كلوبر قد عقد مؤتمراً في منتصف الليل مع ضباطه للبت فيما اذا كان يقتضي القيام بمحاولة خروج من القلعة — وكانت هذه مستحيلة لعدم تيسر النقلية اللازمة — او الاستمرار على القتال حتى النهاية . وكان باتصال لاسلكي مع الجيش الثامن — غير ان (ريجي) لم يكن في مقره ولذلك فان اوامره الوحيدة صدرت من مرؤوسيه . وقد طلب مقر الجيش الثامن الاستمرار على الدفاع لمدة ٢٤ ساعة إلا انه عجز في الوقت نفسه عن ارسال قوة دبابات من منطقة (غامبوط) الى نطاق (طبرق) لمساعدة (كلوبر) .

وكانت الخطط السريعة التي فكر بها الافريقيون الجنوبيون [طيلة الليل للدفاع النهائي عديمـة الفائدة . اذ كان من المستحيل في الأرض الصخرية من نطاق (طبرق) حفر مواضع دفاعيـــة جديدة بصورة مستعجلة فجراً باتجاه خلف الخط القديم . ولم يكن في الامكان اجداع أي شيء لصد هجوم رومل لاسيما وانه لم تكن ثمة علامة تدل على قيام القوات البريطانية المدرعة بحركة تحويلية او بالتدخل في المعركة بأية صورة من الصور .

وفي الساعة الثامنة إلا ربعا صباحا استسلم (كلوبر) .

٣

ووقع في يد رومل (٢٥٠٠٠) جنـدي ومقادير كبيرة من مواد التموين .

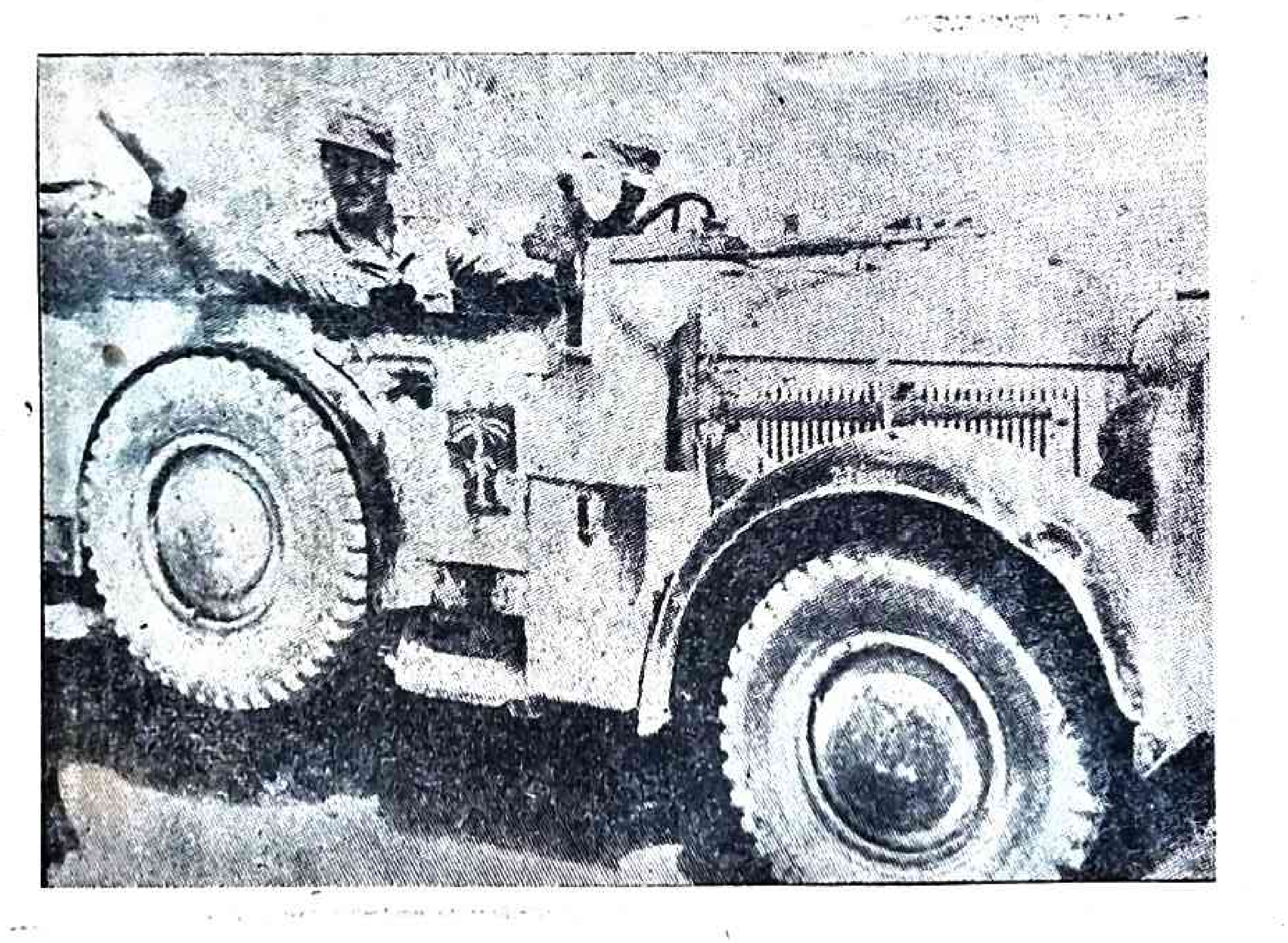
وقبل ان ينتهي النهار رقاه هتلر الى رتبة (فيلد مارشال) ، واحتفلنا جميعا بذلك ، مستفيدين مما استولينا عليـه من الفواكه المعلبة والبطاطة الارلندية والسكاير والبيرة المعلبة .

ونعمنا في يوم او نحوه في بركات (النافي) البريطاني . وكان من دواعي سرورنا ان نتهور حول مطابخ الميدان حيث يقلى (سجق) لحم الخنزير والبطاطة اللذان كانا من الاشياء النادرة منذ أمد بعيـد . كما كان من دواعي السرور ان نشرب البيرة البريطانيـة وان نتناول (أنا ناس) افريقيا الجنوبية كحلوى بعد الطعام .

ورفضنا ارزاقنا الاصلية وخاصة « الرجل العجوز » بكره واحتقار

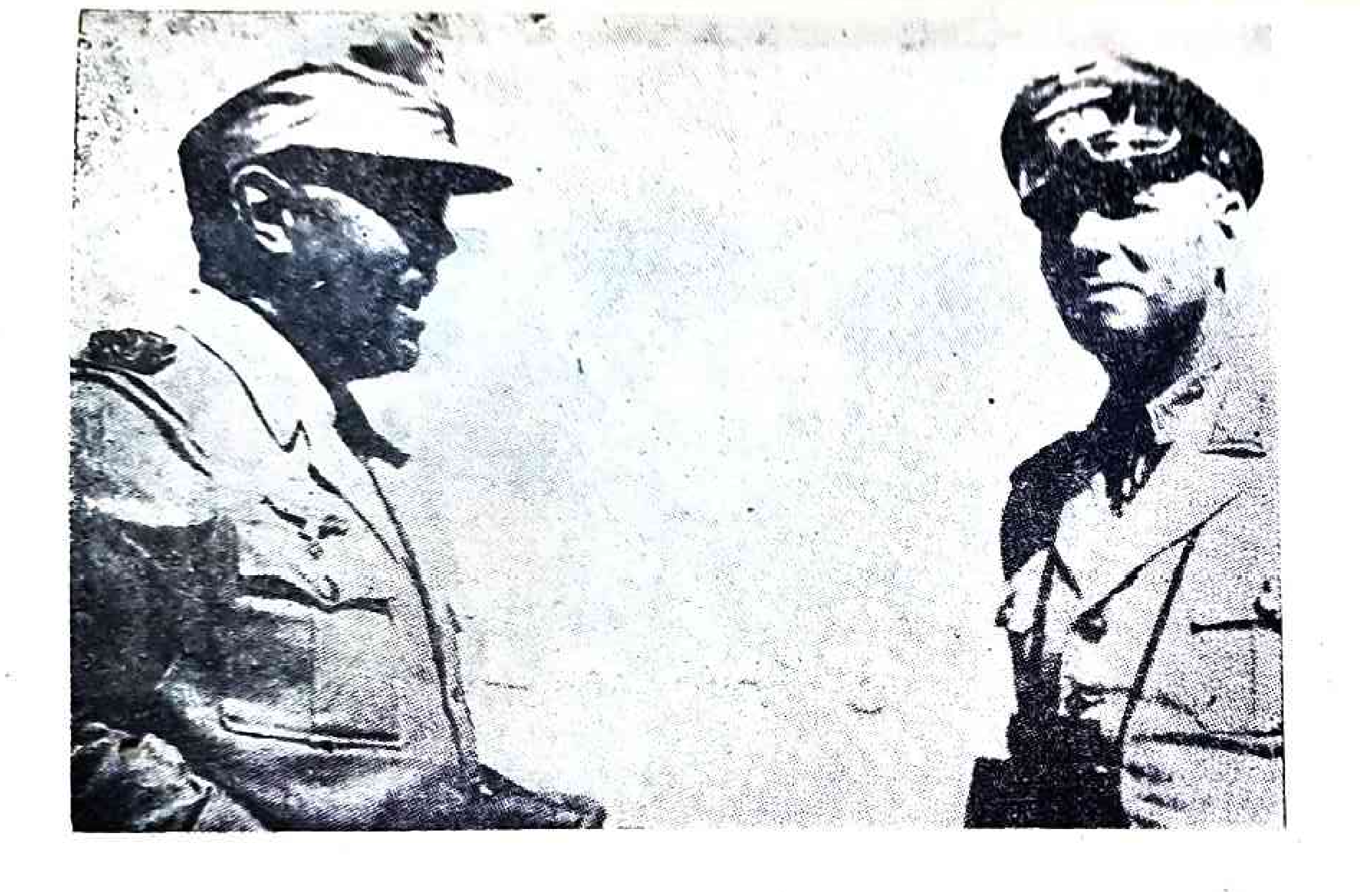
وبدلا منها مجدنا لحم البقر الاوسترالي الذي كان الاوستراليون قد ملوه، كما مللنا من « الرجل العجوز » . على اننا وجدنا انفسنا بعد مضي وقت غير قليل نتفق مع العواطف التي تعبر عنها رسائل العدو المستولى عليها والتى كانت بعيدة جداً عن اطراء لذائذ لحم البقر . وعندما ساعدتنا الاحوال صرنا نرسل الى اهالينا رزما من لحم البقر الاوسترالي . فاعتبر هنالك من الكماليات .





المؤلف فى سيارته في الصحراء

يلاحظ ان رمز فيلق افريقيا مرسوم على الباب



رومل وكسرلنغ يتذاكران

الباب التاسع والعشرون

أسباب سقوط (طبرق)

لم يتسع الوقت في حينه للتحقيق عن اسباب سقوط (طبرق) بيد ان المعضلة العسكرية التي انطوى عليها ذلك كانت واضحة . فهل من الانصاف الظن ان قلعة طبرق التي صمدت ازاء حصار دام سبعة شهور تعجز عن مقاومة هجوم مماثل استمر يوما واحداً ؟

لا اعتقد ذلك . فعندما اصطدم رومل بنطاق الاستراليين في (طبرق) اوائل سنة ١٩٤١ لم يكن يملك حتى فرقة المانية كاملة . وقد استخدم في الواقع قسما كبيراً من قوته المتيسرة في تهيئة مواضع دفاعية منيعة يتعذر اقتحامها . ولا شك انه لم يهاجم القلعة خلال سبعة اشهر طوال ، بل ان الهجمات الوحيدة التي قام بها كانت في نيسان وفي اوائل مايس ١٩٤١ . ومن ثم ركز انتباهه في الحدود ، واهتم في نفس الوقت في وضع خطط متقنة لهجوم تام على (طبرق) في تشرين الثاني . وربما كان ذلك الهجوم سينجح ولكن يجب ان لا يعزب عن البال انه كان سيشن ضد قلعة اقوى من قلعة طبرق في حزيران ١٩٤٢ .

وفي خلال الاشهر التي كان فيها الاستراليون في (طبرق) قاموا بتقوية الدفاعات باستمرار ومهارة حتى اصبحت (طبرق) تختلف اختلافا كلياً عما كانت عليه عندما استولى عليها (ويفل) . وقد وجهت هجمات رومل الاولى ضد قاطعين قويين جداً في جنوب غرب القلعة ، وكلما اعاد تعبيته

استطاع المدافعون ان ينجحوا في تحشيد احتياطاتهم ، وخاصة الدبابات في المحل الذي نشأ فيه الخطر . وعندما خمـــدت حدة التعرض تمكن المدافعون ان يعززوا النطاق الدفاعي من جميع الجهات .

ولما هجم رومل في حزيران في هـذه المرة لم يكن المدافعون متهيئين جيداً كالسابق من الوجهتين المادية والمعنوية . ولا شك انه لم يكن ثمة نقص في معنويات الافريقيين الجنوبيين ، غير ان القسم الأعظم من هذه الفرقة كان قليل الخبرة نسبياً ولم يخشوشن بالقتـال المستمر كسائر رفاقهم الباقين ومثل السواد الاعظم من فيلق افريقيا . ومن المحتمل ان الحامية كلها لم يخطر على بالها الاندحار ، إلا ان الجيش الثامن كان قد اجبر على التخلي عن خط (الغزالة) القوي وفقـد البريطانيون معركة الدبابات الرهيبة في (نايتسبرج) وعرف الذين كانوا في القلعة ان الكتلة الباقية من الجيش الثامن قد انسحبت بعيدة نحو الحدود .

ومع ان نفوس افراد الحاميـــة لم تكن خائرة فانها لم تكن طبعاً كنفسية الظافر . في حين ان رومل كان مزهواً بانتصاراته وكذلك كان جنود فيلق افريقيا .

وقد اهملت قلعة (طبرق) من الوجهة المادية لأن اعادة حصارها لم يكن متصوراً . في تشرين الثاني كان الجيش الثامن واثقا من تخليص الحامية بهجمة واحدة تقريبا . وبعد معركة متأرجحة امكن تخليصها في اوائل كانون الثاني . ودفع رومل الى (العقيلة) إلا انه تعذر دفعه الى ماوراء ذلك . ويظهر ان البريطانيين نظروا الى (طبرق) من الوجهة المعنوية كقاعدة تموين متقدمة ملائمة ليس الا .

وحتى عندما تراجع الجيش الثامن الى (الغزالة) لم تهيأ (طبرق) كما

ينبغي لتقوى على صد هجوم معاد — ذلك لأن النقاط القوية الخارجية والاحتياطات السيارة في موضع (الغزالة) كانت توقف العدو على مسافة بعيدة عن (طبرق) بل وقد ضعفت حقول الالغام في الواقع اذ نقل منها عدة آلاف الى خط (الغزالة) لتقويته . واهملت حتى حفرة ضد الدبابات فترسب فيها الطين .

واخيراً عندما اصبحت (طبرق) في خطر حقيقي ، توقع البريطانيون على مايظهر ان رومل سيهاجم قاطع (ميداوا) ثانية ، هذا على الرغم من وقوع بعض وثائقنا السرية بأيديهم والتي كشفت عن خطة رومل المبكرة عن احاطة (بئر حكيم) وخط (الغزالة) وانزال الضربة على منطقتي (العدم) (وسيدي رزق) . وقد نوهت تلك الخطة ان الهجوم على القلعة سيجري من (الدودة) اذا استطعنا ان نصل الى هناك وها قد طبقها رومل بحذافيرها ، فاستطاع مع ذلك ان يحصل على درجة كبيرة من المباغتة كما اظهرت النتائج .

ويجب أن لا تنسى ان لرومل الآن مزية لم تكن لديه قبل اربعة عشر شهراً . فقد كانت معلوماته عن دفاعات (طبرق) في ذلك الوقت صفراً تقريبا ، وحتى بعد ذلك كانت معلوماته لايعتمد بها . على انه حصل على اول خريطة تحتوي على معلومات مفصلة ودقيقة بعد الهجمات الاولى ، ففوجيء بعدد النقاط القوية التي كانت في الموضع وبنوعها الهائل . وقد درسنا الدفاعات دراسة متقنة في الاشهر التالية وقدرنا بدقة نواحي القوة والضعف في كل قاطع عندما وضعنا الخطط للهجوم الذي كنا ننوي اجراءه في تشرين الثاني .

اما الآن ونحن في حزيران فان كل قسم من الدفاعات كان اضعف

منه في تشرين الثاني . وكان لطبرق جبهة بحرية قـدرها (٢٥) ميلا وجبهة برية ذات (٣٠) ميلا . فلدفاع هذه الجبهة الواسعة أمن الجيش الثامن (٦١) مدفعا ضد الدبابات فقط كان ١٨ منها من عيار ٦ رطل كما علمنا ذلك بعدئذ . فلم يساعد هذا قائد الحامية على تحشيد قوة كافية في الاحتياط لتأمين حجاب ضـد الدبابات يتمكن به ان يدحر اندفاعا قويا تقوم به دباباتنا او يستطيع صـدها لمدة كافية تتمكن خـلالها دباباته المدافعة من التحشد للقيام بهجوم مقابل مؤثر .

وقد سقطت (طبرق) لعـدم وجود خطة منظمة لمجابهة الحالات الطارئة فيما لو هوجمت على عجل ، ولأن الدروع التي كان المفروض انها ستمنع رومل من الوصول الى ضمن المسافة الضـاربة من طبرق قد دمرت في الميدان .

الباب الثلاثون

في الاجازة

استولى رومل على (طبرق) لكنه لم يكتف بذلك ، وأبى ان يتوانى هناك ثملا بنشوة الظفر . فلم يكد يمضي يومان على اكتساحه لطبرق حتى أعاد تنظيم قواته فصارت جاهزة لتقدم آخر .

وفي ٢٢ حزيران اندفعت قوات خفيفة على الطريق الساحلي ودخلت (البردية) التي كان قد اعتبرها رومل كهدية ثمينة عندما وصلها (فون ويكر) في السنة الماضية ، وانسحبت في تلك الليلة فرقة افريقيا الجنوبية الاولى التي كانت تشغل مواضع مؤخرة على الجانب الساحلي من منحدر (الحلفاية) ، وفي الصباح كان رومل يتهيأ للاندفاع نحو مصر جنوب (سيدي عمر) .

وفي فجر اليوم الرابع والعشرين من حزيران ارسل رومل قواته السيارة من (الحلفاية) الى الامام عبر الصحراء وعلى طوار الطريق . وعند حلول الظلام كنا بموازاة (سيدي براني) وعلى بعد (٤٠) ميلا او نحوها من (مرسى مطروح) وكانت بعض مدرعاتنا في الواقع (٢٠) ميلا أبعد الى الامام .

وتذاكر رومل مع رئيسه الاسمي — باستيكو الايطالي — عندما وصلت مقدمته (البردية) فرأى (باستيكو) اننا يجب ان نقف وان نحتل جبهة السلوم ثانية وان لا نحاول التقدم نحو مصر . إلا ان رومل

اكد لباستيكو ان (أكمرلينغ) قد وعده بحل جميع معضلات التموين الامر الذي يجعل القضايا الادارية اللازمة للتقدم نحو مصر أمينة . فقرر رومل لذلك ان يستمر على التقدم .

واجتازت وحدتي الحدود جنوب (ماداليا) وسارت بسرعة شرقا فوصلنا خط السكة الحديدية شرق (سيدي براني) مساء ٢٥ حزيران ، وفي هذا اليوم اعفى (اوكنلك) (ريجي) من قيادة الجيش الثامن وتولى القيادة بنفسه فكان رومل حتى ذلك الحين قد اطاح بقائدين من قواد الجيش الثامن (كاننكهام وريجي) وواجه قائدين عامين (ويفل واوكنلك) وقـد شهد رومل ذهاب (اوكنلك) ايضا ثم واجه (الكسندر) و (مونتكمري) وجاء هذان القائدان الشهيران الى الصحراء قبل ان اشهد القتال ثانية وكان ذلك في شهر آب في (العلمين) إذ كنت أتمتع بقضاء اجازة غير منتظرة في الوطن .

٢

ولقد اخطأت في حينه في تقدير الموقف السوقي . فظننت ان رومل سوف لا يتقدم الى مسافة بعيدة داخل مصر او انه اذا فعل فسوف يصده الجيش الثامن في جبهة (السلوم) إذ ان قوته لم تزل كافية ليفعل ذلك.

وما كان ينبغي ان افكر بذلك وانا الذي كنت اعرف ما كان يدور في رأس رومل من افكار جريئة ، فها هو قد فعل ما كان يبدو مستحيلا وأخضع (طبرق) بأسرع من لمح البصر . وقد أصبح شخصية عالمية وبطلا لبلاده . فرقاه هتلر الى فيلدمارشال حالا - وارتفع نجمه من عقيد الى فيلدمارشال في ثلاث سنوات .

وعلى الرغم من افتخاري بعلاقتي الصغيرة ببطل الساعة المحبوب اعتبرت نفسي كجندي من الخط الامامي وعندما عسكرت كتيبتي بعد يومين على مسافة شرق (طبرق) بعد احتلال القلعة ذهبت الى (٢ آ) الفرقة المدرعة الـ (١٥) وطلبت تعييني بالحاح ، وطبعاً باحترام في منصب حربي جديد قائلا : « لنفرض ان فوجي قد تدمر ولكن أليس هنالك شاغر في افواج اخرى لضابط شاب لائق » . فأجابني ضابط الركن المختص قائلا :

« انك على حق يا (شمت) — انك تريد جنوداً تقودهم »وأردف يقول « ولكن ألسنا جميعا نروم ذلك ؟ وان ما ينقصنا هو القطعات » ثم أردف قائلا بشيء من المزاح « اذا لم نتمكن من اعطائك قيادة فلماذا لا تذهب باجازة الى المانيـة ؟ » . ففكرت انه ليست ثمة فرص كثيرة لحركات رائعة على جبهة الحدود المصرية خلال الاسابيع القليلة القادمة . فاتخذت لذلك قراراً سريعا وفاجئت الرئيس الاول بقولي « أجل يسرني حقاً ان امنح اجازة فانني (اعتق) عضو في القوات الالمانية في افريقيـا مع اني لا زلت في السادسة والعشرين من عمري .. »

وقبل ان اعلم ما سيحل بي . ارسلت على عجل الى (درنه) . فقـد منحت فرصة ثمينة لضابط ركن (٢ آ) ليرسلني الى المانية . إذ كانت هنالك رسالة مستعجلة وسرية للغاية يقتضي ارسالها بيد ضابط الى(روما) وقد طلب الي ان أطير الى هناك حاملا تلك الرسالة .

وهكذا فبعد أيام قلائل من معركة دموية وتاريخية وجدت نفسي أسير في الشوارع الآمنة للمدينة الخـالدة مع نساء ظريفات ورجال كيسين ، وأرتاد المطاعم حيث الحياة لطيفة ومترفة .

ما ألذ وأنعم ان يجلس المرء بين يدي حلاق ماهر — فيحلق له شعره ويغسله (بالشامبو) ويحلق له ذقنه ويمسد وجهه وان تقلم أظافره شقراء متلألئة !

أكلت (دوندرمة) في مقهى ونظرت الى النساء الجميلات المارات امامي . يا لشدة فرحي لأنني سأرى بعد حين خطيبتي (هيرتا) . تصور إن اعظم ما كان يسرني قبل أيام قلائل هو ان أرى معركة دبابات ناجحة تصل الى ذروتها . اما الآن فالحرب تبدو ليست مهمة بعد ان كانت لها المنزلة الاولى خلال الاشهر الطوال . وقد صارت العلاقات الشخصية تأخذ ثانية مكانها الحقيقي في الحياة ، ونعمت بعد الاستحمام بلبس ثوب جديد . وبعد ان اشتريت بعض الاشياء الطفيفة من ايطالي يتكلم الالمانية ويتعاطى بيع الاشياء القديمة ، تبرعت زوجته ان تريني (روبات) نسائية وأن تشتري لي بعض الملابس بدون بطاقات ، فاشتريت جوارب حريرية نسائية وفستاناً يلبس بعد الظهر وبدلة (سبورت) وقبعة لباد(بورسالينو) وحقيبة يد وكفوف ومعطف الخ . . . وكنت في سعة من النقود نسبيا لأنني كنت استلم راتباً خاصا من الايطاليين في (اريتريا) علاوة على راتبي المعتاد في الجيش الالماني ولم يكن في شمال افريقيا ما يمكن صرف النقود عليه ؛ فكان حتى مغيب الشمس مجانا .

وبعد ان انتهينا من التسوق اشتريت زوج حذاء لدليلتي الكريمة فكان سرورها لهذه الهدية اكثر منه لانتصار (طبرق)

ومشيت متكاسلا حول (بالازيو فينسيا) فخاطبني شاب رشيق ومتأنق يرتدي بدلة سوداء وقبعة سوداء ، وكانت ترافقه فتاة ترتدي زيا مماثلا للزي الروماني وتلبس فراء الثعلب بالرغم من حر الصيف ،

وكانت تتفرج بتكاسل على واجهة دكان بينما كان الشاب الذى رافقها يتكلم معي . وكان هـذا يعرفني من الصحراء فهو (الكونت) الشاب الذي ساعدني في تبديل اطار الماموث عنـدما تعطل رومل شرق اسلاك الحدود في مصر . فقال لي .

« ياصديقي العزيز ارجو أن تسمح لي بأن اقدم لك . . . . » فقدمني الى الفتاة . ثم استمر يقول متصنعاً لطف ذوي التربيـة الحسنة « ارجو رجاءاً شديداً أن تزورني يوما ما » فقبلت هـذه الدعوة العابرة بالحماس التقليدي ، لكنني كنت اعرف ، كما كان يعرف هو أيضاً ، ان الأمر كله كان شيئاً شكلياً ليس إلا .

وانتهت مهمتي في (روما) بعد ان سلمت الرسالة المهمة الى الملحق العسكري . فركبت قطاراً من قطارات الاجازة الى ممر (برينر) حيث اشتريت زجاجة (مارسالا) لها رائحة (بودرة) الوجه المعطرة . ثم مررنا عبر الألب الى (ميونيخ) ، فكانت الحياة المدنية هناك أشد صعوبة منها في ايطاليا . ولم يكن فيها شيء من ظرافة المتنزهات الرومانيـة . وكان الرجال والنساء يشتغلون جميعاً ويسرعون جميعاً ويرتدون الملابس العسكرية جميعا ، او كانوا يرتدون ملابس المعامل . وقد كاد حشد من الحمالين ان يتقاتلوا على حمل حقائبي في روما . أما هنا في (ميونيخ) فكان علي ان احمل حقائبي بنفسي راضيا بذلك . وقد دفعت أنا وضابط برتبة رئيس عربة يد حملت حقائبنا الى الرصيف حيث كان قطـار (كولون) ينتظر .

وبعد نزولي من القطـار في (هاكن) ذهبت مشيا الى بيت والدي (اذ لم توجد سيارات أجرة) ، كما ان أبي ذهب ماشيا الى بيت خطيبتي

ليخبرها بوصولي . وقـد انبأها بلطف انني لم أمت في شمال افريقيا . وبدلت بزتي العسكرية بملابس التلمذة القديمـة طارحا شعور المسؤولية وأنا أرمي على أرض الحمام الملابس التى كنت ارتديها منـذ بدء الحملة الافريقية لحد الآن .

٣

تمشيت أنا و (هيرتا) في الغابات الهادئة عدة مرات فوضعنا الخطة ليوم زواجنا . ولم يكن ذلك من السهولة بمكان . اذ كان على الضابط الذي يريد الزواج أن يحصل أولا على اذن خاص من مدير الادارة في القيادة العليا للجيش الالماني . ولا يمنح الاذن إلا بعد ابراز وثيقة تثبت ان العروس من أصل (آري) . وشهادة طبية مقنعة ، وثلاثة اشخاص معروفين لاداء الشهادة . وأخيراً يجب ان يصادق على ذلك قائد الفرقة .

وحاولت (هيرتا) بحيلتها النسائية وبكل ما اكتسبته بنات حواء من مهارة غريزية خلال عصور طوال لتكتشف ذنوبي صغيرها وكبيرها طيلة غيابي في افريقيا فوجدتني سالما منها . وقد سألتني قائلة :

« عجبا ، كيف قضيت المدة الطويلة التى بقيت خـلالها في (اسمرة) بعد مانسرحت سرية المتطوعين التي كنت تقودها وحينما كنت تسكن في ذلك الفندق الالماني ؟ . هل تريد أن تقول لي انك عشت طيلة الوقت هناك مع رئيس العرفاء (بوهل) وحده ؟ »

فبذلت جهدي لأن أقدم لها حسابا عن كل مافعلت ، محاولا اخفاء بعض ذنوبي البسيطة ، إلا انها سرعان ماعرفت أكثر مما اخفيت . ولكن

يالعجب ، كيف اصبحت أعمالي البريئة الصغيرة حمراء الى هـذا الحد ؟ وقد بدأت اسائل نفسي ، وأنا تحت استجوابها الماكر : اليست الصحراء أسلم لي نسبيا من الوطن ؟ . وما عساني ان أفعل غير ان اعترف تحت تأثير استجواباتها المبتسمة بأنه : كانت هنالك نساء جميلات تسكن في الفندق وان ازواجهن كانوا بعيدين عنهن مع القوات المحاربة .

ومن كانت اجملهن ؟ آه نعم . كانت زوجة رئيس اول ايطالي . .

وماذا ينفعني لو ادعيت بعدذلك بأن السيدة الظريفة كانت أما لثلاثة اطفال صاخبين ؟ . غير اني لم أقل طبعا ان اكبر الاطفال كانت فتاة جميلة في السابعة عشر من عمرها . وكانت محاطة دوما بحشد من الملازمين الجريئين . وقد لاحظت في صالة الفندق انها تحاول تعلم اللغة الالمانية وان لهجتها لم تكن صحيحة . فماذا أفعل غير ان اقـدم لها المساعدة ؟ .

وبدا ان المقاومـة الايطالية قد انسحبت من الميدان . فاستمرت دروس اللغة بود ونجاح . وفي مساء ذات يوم ارسلت أم (السنيورينا) الى منضدتي قنينة من الشراب الايطالي مـع تحياتها وشكرها . فقال (بوهل) الذى كان يشاركني فى طاولة الطعام وهو حانق . « انها من حماتك ، هه ؟ » .

ولئلا اتهم بقلة المجاملة ارسلت الى (السنيورا) فى اليوم التالي قنينة من البيرة الالمانية المصدرة التى كانت جزءاً من شحنة الباخرة (كوبرغ) المحملة الى الشرق الاقصي قبل اشهر طوال .

وفي اليوم التالي وجدنا المناضد قد اقترب بعضها من بعض فعلق

على ذلك (بوهل) الذي كان متزوجا منذ خمس سنوات ويحتمل انه مل مذاق الحموات « ان هذا تدبير حماتك » .

وبعـد أيام من ذلك سألت (السنيورا) هل تسمح لابنتها بأن ترافقني الى الصيد في الخارج في يوم من الأيام ، فوافقت (السنيورا) على ذلك . غير ان اصدقائي الايطاليين اوضحوا لي بعدئذ معنى دعوتي هذه ، اذ انها تفسر عند الطليان بما يفهم منه طلب الزواج ، وان سماح الأم لابنتها بحضور الدعوة يعتبر كموافقة على الطلب .

وفي صباح يوم الاحد الذي رتبت فيه نزهة الصيـد ارسلت (السنيورينا) رسالة تبدي فيها أسفها لعدم امكان حضورها نظراً لمرضها فاضطررت ان ارضى ببوهل كبديل وان كان لا يعوض عنها .

وبينما كنا نقترب من ضواحي البلدة إذ بضابط رواتب سريتي المسرحة يناديني قائلا « يا حضرة الملازم اخبرتنا القيـادة الايطالية العليا ان الطائرة التي ستسافرون بها ستتحرك بعد نصف ساعة . . . . » وهذا مما دعاني لأن اسافر من (اسمرة) الى شمال افريقيا دون ان اودع السيدتين ودون ان استصحب معي أمتعتي .

فهذه هي القصة التي استحصلتها (هيرتا) مني ، وهي قصة بريئة تماماً — فهل تظن انها يمكن ان تسبب لراويها اي اذى ؟

٤

وها أنا جندي في فيلق افريقيا يقضي اجازته في المـانية ويحاول عبثاً الحصول على اذن بالزواج . وقـد قضيت اربعة اسابيع سارة في الاجازة . واني اذكر كم تمشيت مع (هيرتا) على ساحل الراين واوقات

الفراغ التي قضيناها في الزوارق البخارية والساعات التي تسلقنا فيهـا (صخور التنين) و (الجبـال السبعة) والامسيات التي دلفنا فيهـا الى (كافي درسدان) في (كودسبرغ) حيث كان هتلر يحتفظ لنفسه هناك بغرفة خاصة، وأتذكر ايضاً (الدوندرمة) و (الكيك)، ولكن (الدوندرمة) و (الكيك) في ايطاليا كانا أحسن منها في المانيا. والحب هو الذي جعل هذه اللذائذ التي لا طعم لها حلوة في نظري.

اضطرت (هيرتا) ان تعود الى العمل، ولقلة وسائط النقل مددت اجازتي ولم تكن لدي رغبة ان أبقى في المانيـة دون ان اعمل شيئاً، إلا انني كنت مضطراً الى ذلك إذ ان من كان في الجيش وقتئذ لا بد وان يعلم كثرة الطلبات على وسائط النقل وصعوبة الحصول على أمر بالتنقل، وكنت شخصا قليل الاهمية، وليست ثمة فائدة في ان اقول انني كنت مرافق رومل — على الرغم من ان رومل كان بطل المانية في تلك اللحظة.

إذ كنت من الوجهة الرسمية ضابطا محاربا صغيراً ليس إلا، ولم اكن منتسبا الى وحدة معينة لكي أعود اليها. ثم ان جبهة افريقيا كانت تعتبر ثانوية بالنسبة الى الجبهة الشرقية التي كانت وقتئذ مرعبة هائلة.

واتخذت التدابير لأقضي اوقاتي الزائدة في جامعة (بون) محاولا ان اعوض عمـا فقدته من دراسة سنوات في الزراعة لالتحاقي بالخدمة العسكرية. على انه كان من الصعب علي ان اركز انتباهي على الدراسة إذ بينما كنت أستمع باحدى اذني الى محاضرة كانت الاخرى تتلهف لسماع كلمة عن افريقيا، وكنت لا أتمكن من الذهاب الى البيت لأرى خطيبتي إلا في عطلة نهاية الاسبوع. ثم أعود الى (بون) فأقضي فيها الايام منتظراً خبراً عن رجوعي الى افريقيا.

وفي الجامعة — كما في اي مكان آخر — كان عدد الفتيات اكثر من الرجال ، وكان معظم الفتيات يلتحقن في الجامعات ليتجنبن العمل في المعامل ، اما الرجال فكان معظمهم من غير اللائقين للحرب وقليـل من المجازين الذين يغتنمون فرصة وجودهم في المانيا للاستماع الى المحاضرات. ولم تكن الفتيات مهتمات فى الحرب او في الجنود . وبدا ان جموداً غريبا يخيم على كل فرد ، وكان بعض الطلاب في شك من النصر النهـائي وكان همهم الوحيد انتهاء الحرب بسرعة لتنتهي بذلك صعوباتهم الحاليـة . وفي (بون) كان المرء يرى اشخاصا قلائل - نسبيا - بالملابس العسكرية ، وكان معظم هؤلاء يرتدون البزة الرمادية الخاصة بجنود الجبهـة الشرقية وهم الذين كانوا يقاتلون في روسيا . وكان بعض الجنود يرتدون الملابس الزرقاء الفاتحة الخاصة بجنود مدفعية ضـد الطيارات في (صقلية) . اما بدلات الخاكي التي يلبسها جنود فيلق افريقيا فكانت نادرة . وقد اتهمت بالجبن عدة مرات لارتدائي الملابس المدنية .

وكان أبي ، وهو رجل اختبر الحياة ، متشائما . فكان يصغي الى ما اقوله عن سير الحرب في افريقيا ثم يهز رأسه ، فقد كان يستمع خلافا للاوامر الى راديو الحلفاء .

وكان يقول : « رومل ؟ ربما ولكن دعنا نكون واقعين يا ولدي ... »

ولم تكن الهجمات العنيفة قد بدأت على (الرور) إلا ان (كولون) قد قصفت . وذهبت لأقضي احدى عطل نهاية الاسبوع في (كولون) فسكنت هناك في فندق قرب الكتدرائية ، ثم ذهبت في نهاية الاسبوع الثاني فاذا بالكتدرائية قد هدمت ولم تبق منها غير السلات والانقاض

وعدت بفكري الى الوراء :

« حسنا . لنرى الآن ما حدث في افريقيا منذ ان تركتها . لقد كنت مخطئا عندما ظننت اننا سوف لا نتقدم ، اذ اندفعنا الى الامام حتى (العلمين) وقوات رومل الآن ترابط على ابواب الاسكندرية ودلتا النيل ، واستطعنا ان نخترق حقل الالغام جنوب (مطروح) اسرع مما توقعناه ، وحدثت هناك قتالات قليلة بيننا وبين الفرقة البريطانية المدرعة الاولى ولكننا سرعان ما وصلنا الى نقطة على الساحل تبعد عشرين ميلا عن شرق الحصن البريطاني وأخذنا كثيراً من الاسرى . فقضينا بذلك على امكان جعل (مطروح) طبرقا ثانية ، وللمرة الثانية خلال اسبوعين فقط شقت الفرقتان الـ (٥) والنيوزيلندية طريقهما من بين تشكيلات رومل الامامية واستطاعتا العودة الى دلتا النيل ، ومن ثم وصل جنودنا الى (العلمين) ولم يكن هناك غير قليل من الدبابات ترافق كتل عجلات النقلية . وقد سمعت اننا لم نكن نملك اكثر من (١٢) دبابة صالحة عندما وصلنا الى (العلمين) واننا اوقفنا على مسافة ليست بعيدة عن الاسكندرية من قبل الافريقيين الجنوبيين .... »

مسكينة (هيرتا) الصغيرة . لقد بدأ عليها الاصفرار الشديد عندما انتظرنا بصمت وصول القطار . ولم تتمالك دموعها ، وكان الموقف صعبا بالنسبة الي أيضا ، غير ان البدلة العسكرية والشرائط مما تجعل الانسان أن يضبط عواطفه في مثل هذه الظروف . على انني احسست عندما تحرك القطار وركضت (هيرتا) على الرصيف لاطالة مدة اشارة الوداع ان عيني تدمعان — ليتني استطيع البقاء ، ولكن ... وا اسفاه كان علي ان اذهب الى افريقيا .

وسافرت بالقطار من المانية الى ايطالية حتى وصلت (برنديزي) ومن هناك طرت بطريق (اثينا) و (كريت) الى مطار (طبرق) في (العدم) ذلك المكان ذو الذكريات الاليمة . ثم سقت بالسيارة في الصحراء وعلى الطريق الساحلي القديم الى الجبهة في (العلمين) .

والآن — لقد انتهت اجازتي حقاً — فقد هاجمتنا الطائرات الخارة بقصفها ونحن في طريقنا الى الامام . فالأبعد حياة العطالة اللطيفة في (روما) وحياة الهيبة القاسية في الوطن . وها انذا في الجبهة مرة اخرى .



الباب الحادي والثلاثون

غريب في العلمين

وكان منصب جديد ينتظرني في (العلمين) . فقد وليت قيادة فوج من الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) ، وكان هـذا التشكيل قد تدرب في اول الأمر لغرض الحركات في ايران لكنه كان يقاتل لحـد الآن بالتعاون مع الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) .

وشرح لي بسرعة ماحدث منـذ أن تركت فيلق افريقيا . وهذا خلاصته :

ضربت قوات رومل الاستطلاعيـة شرقا وهي تطارد الجيش الثامن حتى اوشكت ان تصل محطة القطار غير المهمـة في (العلمين) حيث استقبلتها نيران المدفعية . ووجد رجال مدفعيتنا مرصداً على مرتفع يسمى تل (العيس) فجاءت عجلة استطلاع مدرعة وهي مندفعة الى الامام وكان بها رومل نفسه فاصدر أوامره الى القطعات بالهجوم على القاطع الشمالي للمواضع التى كانت تبدو كخط دفاعي جديد للعدو ، وذلك بالاستفادة من الشمس التى كانت على وشك الغروب فتقـدم مشاة الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) تسندهم بعض المدفعيـة . الا انهم جوبهوا بنيران الرشاشات فنزلوا من السيارات وحفروا مواضع لهم تحت ستر عجلاتهم نفسها .

وهكذا بدأت معركة (العلمين) من غير أن يعلموا ذلك .

٢

لقد رحبت القطعات الفنية في الواقع بالتوقف الفجائي للاندفاع الاملي كما رحب به بعض القواد الذين كانوا يريدون اعادة تنظيم تشكيلاتهم غير ان المشاة لم يرضوا بذلك ، فبدأوا يشعرون منذ اللحظة التي وصلوا فيها الى العلمين في نهاية حزيران ، ان أيام الحرب السيارة القديمة قد انتهت وقضى عليهم الآن ان يعيشوا حياة الحرب الموضعية — الشبيهة بحرب الخنادق — حيث الكآبة والخمود .

ولم تنجح هجماتنا ضد القاطع الشمالي للخط الجديد الغامض اذ صدتنا قطعات (بينار) الافريقية الجنوبية ، غير ان الهجوم الذي قمنا به في نفس الوقت على منخفض (دير الشين) انتهى بتدمير واسر جحفل اللواء الهندي الـ (١٨) باجمعه تقريباً .

واستمر رومل يضرب الافريقيين الجنوبيين ، ثم بدأ بعد ظهر ٢ تموز يهدد جناح موضع (بينار) تهديداً جديا خاصة بنار المدفعية الكثيفة الموجهة ضد رتل معطل ونصف سيار من لواء (بينار) الأول الذى كان من أشد خصومنا في افريقيا الشرقية (١) . وقد علمنا بعدئذ ان (بينار) رجى قائد فيلقه الفريق (نوري) ان يسنده بالدبابات او يسمح له بسحب جناحه الأيسر المهدد . فرفض قائد الفيلق ذلك . ويظهر لنا (بينار) طلب ذلك من (اوكنلك) نفسه إلا ان القائد العام البريطاني

---

(١) شق هذا اللواء طريقه شمالا عبر الحبشة واشترك مع الفرقة الهندية الخامسة في الهجوم على (امبا الاكي) في مايس ١٩٤١ .

أيد قائد الفيلق . ولكنه بعـد ان أعاد (نوري) النظر في الموقف اخبر (بينار) بأنه يوافق على الانسحاب لكنه طلب ارسال اللواء الأول في هذه الحالة الى الخلف كاحتياط . فاعتبر (بينار) ذلك تحقيراً لقطعاته وهدد بالاستقالة من منصبه . ثم سوى الأمر بينهما وسحب الجناح المكشوف لمسافة قصيرة الى الخلف .

وقد وصلت تكملة هـذه القصة الى رومل ولكن بعد مدة طويلة وبشكل يشك في صحته لأن مصدره كان من الأسرى . وكانت هذه التكملة نكتة مشهورة تعزى الى (بينار) . فقد قيل انه ليست قنابل رومل وحـدها انصبت على الافريقيين الجنوبيين بل وانصبت عليهم أيضاً نيران الفرقة النيوزيلندية الموجهـة خطأ . وقد رمتهم علاوة على ذلك الدبابات البريطانيـة كما قصفتهم قوتهم الجوية . وقيل ان (بينار) تكلم مع قائد الفيلق بالتلفون قائلا له « اسمع يانوري ، قل لي من تحارب ؟ هل أنا أم رومل ؟ فاذا كنت تحاربني فانني استطيـع ان اضمن لك احتلال الاسكندرية بجنودي الافريقيين الجنوبيين في ثماني عشرة ساعة »

ولم نكن نجابه الافريقيين الجنوبيين وحـــدهم طبعاً . غير انه لولا هؤلاء ولولا النيران المؤثرة لمدافعهم ذات الـ (٢٥) رطلا لاستطاع رومل ان يخترق المواضع البريطانية .

وكانت هنالك في الجبهة أيضا فرقة (نيوزيلندية) — وهي قطعات ممتازة صلبة فى الدفاع ومتأهبة للهجوم ، وعلى جانب كبير من الذكاء . لم تفقد هذه كفاءتها الحربية على الرغم من بقائها في الصحراء مـدة طويلة واشتراكها في معاركها المتكررة الفادحة الخسائر .

وقد عادت الفرقـة الاوسترالية التاسعة « جرذان طبرق (١) » الى الصحراء من سوريا وفلسطين ، وهي من أشد التشكيـلات التي انزلتها اوستراليا الى الميـدان بأسا وقوة . وكان لجيش استراليـا شهرة مخيفة بين جنودنا لقتالهم المرعب بالحراب .

وكانت أمامنا أيضا تشكيلات هنـدية ودبابات بريطانية — وفي الاشهر التي تلت ، كان علينا ان نجابه الافرنسيين والبولنديين والجيك أيضا . اذ كان يدافع عن مصر جيش يشبه عصبة أمم ولكن بدون المصريين .

وفي خلال شهر تموز ، شيد الطرفان بحرص وقلق جبهات دفاعيـة قوية . وكان ثمة مجال واسع للمبادءة والاعمال الجريئة من كلا الطرفين في الهجوم والهجوم المقابل وفي القتالات المحلية للاستيـلاء على النقاط الحيوية من الوجهة التعبوية .

ونجح الاستراليون في الاستيلاء على (تل العيسى) الذي أمن موضعا اماميا مسيطراً للجيش الثامن . غير انه كان لرومل من الجهـة الاخرى موضعاً ملائما على مرتفع (المطرية) في الجناح الجنوبي الذي وضع فيه قطعاته المختارة . وقد استطاع لواء المظليين الذي وصل حديثا من (كريت) بقيادة امير اللواء (رامكة) ان يدفع الى الخلف الجناح الجنوبي للجيش الثامن في (منخفض القطارة) لمسافة لا يستهان بها ، وقد اسنده الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) وجنود منتخبون من فرقـة (فولـكور) المقدامة للمظليين الايطاليين .

---

(١) وقد سميت بذلك لأن أفرادها عاشوا في المـلاجيء اثناء حصار طبرق ودافعوا عنها دفاعاً مجيداً .

وفي خلال النصف الثاني من الشهر تمكن (او كنلك) من ان يولد بقوياته الاسترالية ودباباته الحديدة التي وردت من وراء البحار ، فعالية مشاة نشيطة بحيث جعل روميل يفكر في احتمال انسحاب قسري الى مواضع (السلوم) . ولا اظن ان البريطانيين علموا بذلك مطلقا . ولم يكن روميل مرتاحا من نقصنا في الذخائر — اذ كانت المدافع بدون قنابل تقريبا — ومن الزيادة العظيمة في فعالية قوات العدو الجوية التي كانت تدمر بشكل خطير مواد تموينتنا على خطوط المواصلات التي اصبحت الآن طويلة .

إلا ان (او كنلك) ارخى في نهاية شهر تموز عنان فعاليته التعرضية لقلة احتياطاته الكافية . فلم تبق ثمة حجة لانسحاب روميل . ولو فعل ذلك لكان من المحتمل ان لا يتمكن الجيش الثامن من مطاردته بصورة فعالة ، ومن المحتمل ايضا ان فترة سكون غامضة كانت ستسود ايضا على الحدود فيعود كلا الطرفين في الواقع الى حيث كانا قبل سنة .

وفي اوائل آب سمعنا عن تبدلات هامة في قيادة الجيش الثامن ، وزار (تشرشل) (العلمين) فقدم له (او كنلك) تقريراً عن الموقف وعن خططه المقبلة ، وقابل (تشرشل) ايضا الفريق (غورت) الذي تقرر ان يتولى قيادة الجيش الثامن الذي كان يقوده (او كنلك) شخصيا منذ عزل (ريجي) . على ان القدر كان قد قرر غير ذلك ، اذ قتل (غورت) بنيران رشاشات احدى طائراتنا التي رمت طائرة النقل التي كانت تقله من الجبهة الى مطار قرب القاهرة . ولولا هذه الحوادث لكان من المحتمل ان لا نسمع بـ (مونتكمري) مطلقا .

ووصل الفريق (الكسندر) ايضا فاخبر رئيس الوزراء (او كنلك) ان وزارة الحرب قد قررت ان تستبدله بـ (الكسندر) واعطى(تشرشل)

القائد الجديد للعدو الاوامر التوجيهية البسيطة التالية « واجبك الاول والاهم تحطيم او اسر الجيش الالماني ـ الايطالي الذي يقوده المارشال رومل في مصر مع جميع المواد والتجهيزات وذلك بأقرب فرصة ممكنة » .

وقد علمنا ان (الكسندر) استلم القيادة من (اوكنلك) يوم ١٥ آب ، ووصل (مونتكمري) من انكلترة بعد ذلك بثلاثة أيام ليصبح قائداً للجيش الثامن الذي وصفه تشرشل وقتئذ بـ « الشجاع المغلوب » . واصدر (مونتكمري) امره حالا بأن لا انسحابات اخرى بعد الآن .

وعلى الرغم من عدم حدوث قتال مهم في (العلمين) بعد ٦ آب لمدة من الزمن فقد سبق لمونتكمري ان اكتسب نصراً بعيد المدى ضد رومل قبل ان يتولى قيادته بصورة فعلية . اذ ان زيارة رئيس الوزراء البريطاني كانت دليلا على ان دول الحلفاء قررت وجوب بذل جهود عظيمة في هذه الساحة ، ولم تكن ثمة اشارة من هذا القبيل في جانبنا ففي برلين اعتبر شمال افريقيا جبهة ثانوية وكانت روسيا هي الجبهة الكبرى ومع ذلك كان المنتظر من رومل ان يقوم بأعمال فوق مستوى البشر على الرغم من ان التقويات التي كانت ترسل اليه لم تكن كافية .

٣

كان آمري الجديد في قيادة الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) العقيد (منتون) . وقد علمت قبلا انه ورومل كانا صديقين حميمين منذ الحرب العالمية الاولى ، وكان كلاهما (سوابيين) ويدعو احدهما الآخر باسمه الشخصي .

وعندما واجهته للمرة الاولى تحدثنا عن معرفتنا المتبادلة مع المارشال

وقد اخبرني (منتون) ان موقع هيئة اركان المقر على ساحل البحر قرب (الضبعة) وبما انني لم أر « ثعلب الصحراء » منذ سقوط (طبرق) وقبل ذهابي في الاجازة فسألت (منتون) فوراً فيما اذا كنت استطيع تأخير استلام فوجي ليوم واحد لكي أقوم بزيارة شخصية للمارشال . فأجابني هذا بلهجته السوابية القحة :

لا مانع لدي من ذهابك مطلقا فان فوجك سوف لا يستطيع ان يحتل مواضعه إلا بعد ثمانية أيام . اننــا ننتظر التقويات ولا تزال هذه متأخرة في (كريت) .

وفي اليوم الثاني سقت طوار الساحل حتى رأيت العلم المثلث الالوان (الاسود والابيض والاحمر) لقيادة جحفــل الجيش ثم انحرفت نحو الكثبان التي يقع فيها مقر رومل ، كانت عجلات القيادة المدرعة قــد ادخلت في حفر تستر جزءاً منها وذلك لغرض الحمــاية ضد قوة العدو الجوية ، وكانت كلها مغشوشة بالشبكات التي كانت مغطاة بالشوك . وقد طلب الي احد الحراس ان اترك سيارتي على مسافة من المقر متجهة نحو جبهة مختلفة لئلا يكشف اثرها مكان المقر .

وكانت وجوه جميع الضباط الذين لقيتهم غريبة عني فقد تبدلت هيئة الاركان منذ الايام التي كنت فيها في المقر ، وكان اول من لمحت (بايرلاين) رئيس الاركان . فسألت عنه ضابطا حديثا كان قد دلني عليه « أي نوع من الرجال هو؟» فأجابني « آينه كانتز بانتر كيرل » - اي انه رجل ممتــاز جداً ! » وهذا لعمري احسن مدح في حق جندي الماني .

ثم لمحت (بيرندت) الرجل الوحيد الذي عرفته من بينهم . فسررت

لرؤيته ، إلا اني لاحظت انه قابلني بشيء من التكلف ، فشعرت بأن (بيرندت) قد يخشى اني انوى التشبث في تعييني ثانية في هيئة أركان رومل وسأكون بذلك منافسا له . فاذا كان قد فكر بذلك حقا فانه كان على خطأ عظيم اذ انني كنت سعيداً بوجودي مع القطعات كما كنت أرغب بالطبع أن ارى رئيسي السابق ثانية وهذا ما اخبرته به .

وقد أجابني (بيرندت) على رغبتي وهو يدمدم « انك لاتستطيع ذلك لسوء الحظ ياشمت ، اذ أن القائد العام لايتمكن من أن يسمح لك بمواجهته اليوم او غداً » . ولما سألته « لماذا ؟ » عمد (بيرندت) الى الكتمان فلم أشأ ان الح عليه أكثر .

ولغرض مجاذبة الحديث سألته « كم مضى على عودتك الى هيئة اركان رومل ؟ . فقال لي وهو يتهندم قليلا :

« مضت على وجودي ثانية مع القائد العام بضعة اشهر » ثم أردف قائلا « انتهت الاجازة التى منحتها للقيام بواجب مع الدكتور (يعني الدكتور غوبلز) في آذار . وكان علي أن أقوم بعمل مهم جداً هناك لكنني عدت الى هناك في اللحظة المناسبة تماما وعندما بدأت « المعمعة » . وقد كنت في وسط ذلك كله ياصاحبي . فسألته : « وماذا تفعل في هيئة الركن الآن ؟ هل أنت مرافق أيضا ؟ » فقال لي « لا ، لا ، انني اقود الآن سرية أمن المقر التى ستتسع قريبا بقوة فوج . على انني انصل بالاضافة الى ذلك اتصالا مباشراً بوزارة الدعاية ، ولذلك فانني بتماس يومي مع الفيلد مارشال » . فقلت في نفسي عجبا : هل يعتبر (بيرندت) نفسه مسئولا عن شهرة رومل في الوطن .

وقال لي (بيرندت) ثانية انه من المستحيل ان أرى رومل ثم اضاف

قائلا وهو يهمس : ان الفيلد مارشال مضطجع في عجلته وهو مريض مرضاً شديداً باليرقان .

فرجعت وأنا أكاد أشعر بالوحدة واليأس ، فقد كان افراد المقر غريبين عني ولم أعد اشعر بينهم كأنني في بيتي . وقد حرمت حتى من فرصة اداء التحية للرجل الذي كنت بجانبه مدة شهور طوال . وبدا لي ان صديقي القديم الوحيد يحاول ان يبعدني مخافة أن أسعى للتآمر على اخراجه من وظيفته .

على انني التقيت فجأة بجماعة من المراتب الذين كنت اعرفهم - كالسواقين وراكبي الدراجات والمراسلين فرحبوا بي ترحيباً حاراً لدرجة جعلتني أشعر انه لم يزل لدي بعض الاصدقاء القديمين .

وأبدى أحد السواق الملحوظة التالية : «ياحضرة الملازم اننا معشر السواق نتذكرك دوما كضابط منصف ومفكر كان لاينادينا للسياقة إلا في اللحظة الأخيرة - وفي بعض الاحيان حتى عندما يكون القائد في طريقه الى السيارة . اما هؤلاء اخلافك فانهم يجعلوننا نصطف وننتظر قبل ساعة من وقت الحركة . »

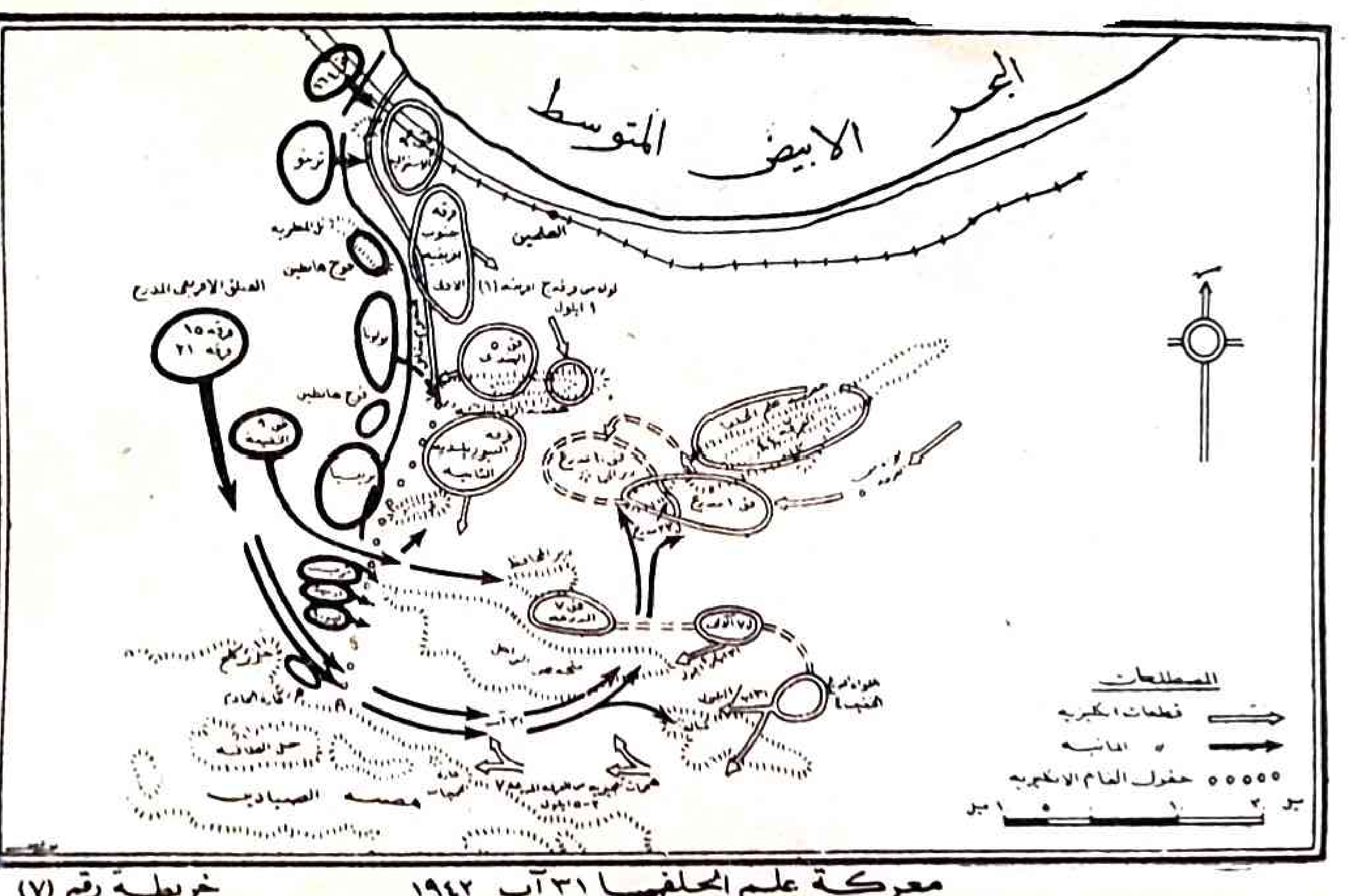
٤

على انني استطعت ان التقي برومل فيما بعد قبل الوقت الذي كنت اتوقعه اذ كانت هندستنا قد شيدت على مسافة ما خلف الجبهة الحقيقية نقاطاً قوية نموذجية حسب تصاميم خاصة وضعها رومل نفسه . وكان الآمرون والضباط الآخرون يزورونها يومياً ليدرسوا فوائدها ،

وطريقة تشييدها ، وساحات النار ، وتوزيع الأسلحة ، ومنظومة المواصلات والخ . . . . وكانوا يشاهدون أيضاً مظاهرات يقوم بها المشاة في الأساليب التي يرى رومل انها ملائمة للهجوم على النقاط القوية المختلفة الانواع والتغلب عليها .

وكنت ضمن مجموعة من الضباط في احدى هذه المظاهرات عندما وصل رومل بصورة غير متوقعة . فبدا وجهه انحف من السابق بقليل لكنني لم أكن الحظ ذلك لولم يقل لي (بيرندت) انه مريض . وكان الضابط الأقدم ـ وهو عقيد ـ يشرح الموضوع عندما وقعت عينا الفيلد مارشال علي . فشكر العقيد باختصار ومشى نحوي وصافحني مستفسراً بصورة مباشرة « كيف حالك ياشمت ؟» . ورب مصافحة وتحية من رومل الصامت تعني اكثر من ينبوع من الكلمات من أي رجل آخر . ولم يحي أي شخص آخر غيري . ولما ابتعدت سيارته عنا شعرت ان كثيراً من النظرات الغريبة تتصوب نحوي .

وقد احتار الضباط الذين كانوا أقدم مني كيف ان ضابطاً ذا رتبة صغيرة ينفرد بتحية القائد .



معركة علم الحلفا ٣١ آب ١٩٤٢

خريطة رقم (٧)



الباب الثاني والثلاثون

محاولة رومل الأخيرة

كان علينا ان نكون جد يقظين في منطقة (العلمين) في تلك الايام ، اذ ان طياري العدو كانوا واقفين لنا بالمرصاد ليلاونهاراً ، وقد حرمتنا الطائرات البريطانية وطائرات افريقيا الجنوبية من الراحة ولاسيما ليلا ؛ وكان طريق التموين يكاد ان يكون مضاءاً باستمرار بأنوار مشاعل المظلات . وان صوت انفجارات القنابر بدون انقطاع كان يقض مضاجعنا .

وكنا نستمع في كل ليلة خلافا للاوامر ، الى الاخبار والاذاعة الموسيقية من القاهرة ، وكان للبريطانيين هناك محطة دعاية قوية . وقد علمنا من اسرى الجيش الثامن انهم كانوا يستمعون ايضاً الى « العدو » ليتمتعوا بسماع اغنية (ليلى مارلين) (١) بصورة خاصة ؛ وكانت تذاع من (بلغراد) او (اثينا) . وكانت النغمة العاطفية تذكر جنود الطرفين ان هناك اشياء اخرى غير القصف الجوي والحرب الصحراوية .

٢

وقد عزز رومل بالتقويات ، إلا انها لم تكن كبيرة كما ارادها . فبالاضافة الى مظليين (رامكة) وصلت الفرقة الـ (١٦٤) من (كريت)

(١) وهي اغنية المانية مشهورة ينشدها الجنود .

وكانت هـــذه الفرقة بلا وسائط نقل فتقرر استخدامها كـ « دعامة » المواضع الايطالية . وكانت التقويات الايطالية تشتمل على مظليين فرقة (فولكور) كما سبق ان ذكرت . وقـد تساءلت في حينه عندما توقف تقدمنا في (العلمين) : لماذا لم تجلب قطعات المظلات من (كريت) بالطائرات فتنزل على منطقة (العلمين) ؟ والجواب على ذلك ان هذه الخطة كانت غير ممكنة من الوجهة العملية وذلك لسيطرة البريطانيين على الجو.

وكان الوقت يمضي ضدنا . فقد انبأنا احـد تقارير الاستطلاع بالاخبار السيئة عن شحن عدد كبير من دبابات (شيرمان) الامريكية وتوقع وصولها الى موانىء مصر في ايلول .

ونشرت احدى نشرات جيش افريقيا الجنوبية الصادرة في القاهرة اعلاناً لأحد اصحاب المطابع يلتمس طلبات ابطاقات عيد الميلاد . وقد اظهرت هذه بوضوح ما يمكن ان يفترض بصورة صحيحة دبابة (شيرمان) الجديدة . وقد درس رجال الاستخبارات الفنيون باهتمام التفاصيل العامة التي ينطوي عليها تصميم مدفع الدبابة الجديد .

وحالما تلقى رومل وعداً جازماً ان مقادير كافية من البنزين في طريقها الينا ، قرر ان يجازف بانزال ضربة حاسمة على مونتكمري .

وفي يوم ميلادي السادس والعشرين اسقطت القوة الجوية البريطانية ربما من غير سوء قصـد ولكن بلا مبالاة مع ذلك ، قنبلة على عجلة تموين الفوج التي كانت تحمل ارزاق ثلاثة ايام لنـــا . وبينما أنا أرثي فقـدان هذا المقدار الكبير من الطعام ، الذي كنا في أشد الحاجة اليه : اذا بي إستلم اخبار الهجوم الذي تقرر اجراؤه ليلة ٣٠ / ٣١ اغـسطس

وكان علينا كما في (الغزالة) ان نخترق حقول الالغام ومواضع الجيش الثامن في الجنوب . ثم نندفع شمالا نحو الطريق الساحلي.

وكان جحفلنا الخاص الـ (٢٨٨) الذي اصبح بقوة كتيبة تقريباً يحتل مواضع احتياطية في منطقة الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) غرب النقطة للركزية من القاطع المركزي للجبهة كلها .

وكانت الاوامر التي اصدرها رومل للمعركة تبين بوضوح ان هذا الهجوم سيكون الجولة الاخيرة في المعركة التي تستهدف الاسكندرية.

وبدأ الهجوم في الليلة المقررة . فرفعت الالغام ، وبعد طلوع القمر تقدمت الفرق الالمانية عبر حقل الالغام تحت نار المدفعية ، وفي ضحى يوم ٣١ آب وصلت نقطة تقع شرق حقل الالغام .

اما نحن الذين كنا في الاحتياط فكان كل شيء في مواضعنا هادئاً ماعدا الفعاليات الجوية المستمرة التي اضطرتنا الى ان نخندق جنودنا وعجلاتنا الى عمق اكثر في الاراضي الصخرية ، وقد كانت التقارير تأتي بانتظام من التشكيلات الهاجمة ، فكانت التقارير الاولى مشجعة اكثر مما كنا نتوقع . إذ ظهر ان اثنين او ثلاثة من رؤوس رماح ارتالنا قد اندفعت الى مسافة قليلة من الطريق الساحلي والسكة الحديدية . ومر بنا رومل فقال : « ان الحركة تجري بصورة جيدة ».

على اننا لم نستلم مع ذلك تقريراً جازماً عن الموقف او اوامراً معينة ولم يكن لدينا ما نفعله غير الانتظار وتحمل الهجمات الجوية .

فماذا حدث في الواقع ؟ لقد اندفعت دبابات رومل بعد ظهر اليوم الاول من الهجوم الى مرتفع (علم الحلفا) الذي كان حقا مفتاح جبهة (العلمين) كلها (كما اشار الى ذلك الفريق الكسندر بعدئذ) إلا انها جابهت بصورة غير متوقعة ناراً دفاعية كثيفة من المدفعية ومن مدافع ضد الدبابات المتخندقة تخندقا جيداً . وقامت القاصفات المتوسطة خلاف

المعتاد بهجمات عنيفة ، بينما انقضت المقـاتلات الطائرة بارتفاعات واطئة على عجلات البنزين والعتاد . وهكذا شل العدو تنقـلات الفرق الهاجمة وحدد حركتها .

وأصبح من الواضح ان (مونتكمري) يسعى بمعونة التفوق الجوي الذي أمنه له المارشال (تيدر) ان يستفيد استفادة تامة من مدفعيته وموضعه الدفاعي المشيد في مكان ممتاز ، في قطع طريق التقـدم بوجه المهاجمين دون ان يورط دباباته في المعركة .

وشعر رومل في اليوم الاول من المعركة انه لا يمكن الحصول على المباغتة ، إذ كان العدو قد تهيأ له . فلم يتمكن من احتلال مرتفع (علم الحلفا) بسرعة كما كان يرغب . واراد ان يبطل الهجوم إلا ان رئيس اركانه اقنعه ان يستمر في المعركة .

وكان (الكسندر) و (مونتكمري) قد توقعا الهجوم منذ ٥ آب كما ظهر بعدئذ . ولمـــا لم يقم فيلق افريقيا بمحاولة لاجتياز مرتفع (علم الحلفا) من الجانب والاتجاه نحو الشمال الشرقي ، اي الاندفاع صوب الاسكندرية ، تطورت المعركة على ما يظهر حسبما ارادها (مونتكمري) تماما . فقد كان يريد ان تصطدم دباباتنا بالمواضع المهيئة القوية في مرتفع (علم الحلفا) الذي تحتله الفرقة الـ (٤٤) ولوآن من الدبابات .

وفي اليوم الثالث من المعركة كان جحفلنا الخاص لا يزال رابضا بلا عمل في منطقة الاحتيـــاط ، وصارت التقارير الواردة من الامام الامام يكتنفها الغموض شيئا فشيئا ولا تبعث على الرضا . فبدأنا نشعر بأن « الرمية النهائية » على الاسكندرية قد « كذبت » وكنت افكر بأسف منذ زمن انني سأفتقد في دلتا النيـــل النزات العسكرية الصيفية

البيضاء التي تركتها في الفندق في (اسمرة) عندما طرت من (اريتريا) . اما الآن فان اسفي قد تلاشى . وتولدت لدي شكوك خطيرة فيما اذا كانت عيني ستكتحل بمرأى الاهرام اثناء خدمتي العسكرية .

واضطرت دباباتنا على التوقف . فتساءل العدو ، كما ظهر بعدئذ : هل ان ذلك حركة مدبرة في لعبة رومل يقصد بها اغراء دبابات الجيش الثامن على الخروج من مواضعها للقيام بهجوم مقابل ؟ اما حقيقة الأمر فهي ان دباباتنا قد فقدت وقودها تماما . اذ لم تصل كميات الوقود التي كان قد وعد بها كل من (كسرلنغ) و (كافاليرو) لرومل . وكان تأثير القوة الجوية البريطانية لا يقتصر على سير الحوادث في ميدان المعركة المباشر فحسب ، بل انها سببت نتائج تعبوية أشد تأثيراً وذلك باغراقها ثلاث حاملات في البحر المتوسط وباسقاطها عددا يرثى له من طائراتنا الناقلة من نوع (يونكر ٥٢) . وقد جرح (نهرنغ) قائد فياق افريقيا نخلفه (فون توما) .

٣

وفي ليلة ٣ ايلول تخلى رومل عن محاولته لخرق جبهة العدو . فانسحب في الايام التي تلت ذلك الى مواضعه الاصلية . اما جحفلنا الخاص فلم يشترك في المعركة قط . وفي الوقت نفسه وصلت (٥٠٠) دبابة شيرمان الى السويس فلم يعد في وسع رومل أن يقهر مصر . وقد اعطيت لي مدة (١٤) يوما لاعادة تأليف فوجي وتدريبه تدريباً عنيفا في المنطقة التي بين (العلمين) والضبعة بغية تهيئته للحركات المقبلة .

وجاءتنا تقويات أخرى من المانيـة وكانت مؤلفة من محاربين للان قدماء ممن سبقت لهم الخدمة في (الفرقـة الاجنبية الفرنسية) (١) في شمال افريقياوقسم من البحارة السابقين في البحرية التجارية الذين لاسفن لديهم الآن . وكان كلا النوعين رديء الضبط إلا انهم كانوا عنـاصر محاربة من الطراز الاول اذا امكن ادارتهم ادارة صحيحة . ولما امتنعت الافواج الاخرى وامتنـع آمرو السرايا الآخرين عن قبول هؤلاء الجنود وافقت على قبولهم برحابة صـــدر واعطيت عوضا عنهم بعض جنودي المدربين .

واستلمنا أخيراً مدافع جديدة ضد الدبابات . وكانت هذه تشتمل على مدافع (٢ ر ٧٦) ملم التي اسرت من الروس ، وقد دربت جنود الفرقة الاجنبية والبحارة على هذه المدافع بصورة خاصة .

واخبرنا الوكلاء وقتئـذ ان البريطانيين دبروا انزالا من البحر بين (الضبعة) و (مرسي مطروح) . فسبب هذا الخبر تبدلا ساراً في حياة فوجي ، اذ امرت ان أؤسس مواقع رصد دفاعية على طوار الساحل . وقد تمكنا من تأسيس معظم هـذه المواقع واحتلالها في مدة يومين . وجرى ربطها بسلسلة من المحطات اللاسلكيـة القوية والمغشوشة غشا جيداً . وكنا في اثناء قيامنا بهذا الواجب كأننا باجازة اذ بينما كان بعض الجنود قائمين بالعمل ، كان الآخرون احرارا في الاستحمام في البحر المتوسط . وقد حصلنا على تبدل سار في طعـامنا أيضا ، اذ استطاع

---

(١) " Foreign Legion " وهي فرقة يقبل فيهـا تطوع الاجانب من مختلف الجنسيات .

سائق أن يشتري تمراً وبيضا ودجاجا من البدو المحليين . على انني كنت انظر الى هؤلاء الاعراب بعين الشك وهم يمرون بنا بهدوء راكبين حميرهم ونساءهم تدلف خلفهم وهن مثقلات بالأحمال . ذلك لأن عيونهم الحاذقة التي جعلتها الصحراء حادة ، لايفوتها شيء . وكنت على يقين ان معظمهم هنا كانوا جواسيس شأنهم في كل مكان في الصحراء . وبينما كانت تتطاحن امتان في اراض موحشة لاتصلح للسكنى ، كان هؤلاء البدو يرتحلون من مكان الى آخر في وسط الحرب ، والظاهر انهم يعتبرون الصراع الدائر لايعنيهم في شيء بل هو جنون الكافرين ليس إلا (وهذا هو الواقع على ما اظن) . وكانوا كلهم يبدون متشابهين اذ لم يحملوا العلم البريطاني او السواستيكا . فلم يكن ثمـة وسيلة نعرف بها هل هم بجانبنا أم بجانب العـدو . ومن المحتمل انهم كانوا يتجسسون لكلا الطرفين .

وزودناو كلاؤنا اثناء ذلك باخبار دلت بوضوح على ان مونتكموي يتهيأ لأعظم معركة عرفتها افريقيا . وكان هـذا كرومل يستعمل الحيلة والخدع ولكن (مونتكمري) كان يختلف عن رومل في تطبيق فن الخداع من جهة واحدة ، فبينما كان رومل يغش العجلات الاعتيادية ليوهم انها دبابات حقيقية فيخفي بذلك ضعفه كان (مونتكمري) قـد قلب الدبابات الامريكية الجديدة الهائلة الى عجـلات ثقيلة غير ضارة بالاستعانة بالالواح الخشبية و (الجنفاص) والاكياس وذلك ليخفي قوته . وهكذا صار في الصحراء الآن ثعلب جديد .

وقد خدعنا أيضا بشروعه في مـد خط أنابيب جديد ، كامل بمحطات الضخ ، وذلك في الجنوب . وقـد اطيلت مدة اكماله بصورة

مقصودة ، فبدا عليه وكأن وقتا طويلا سيمضي قبل ان يتمكن الجيش الثامن من شن ماكان يبدو بوضوح انه تعرض مقرر في القاطع الجنوبي من خط (العلمين) ولم يكشف الاستطلاع الجوي ان خط الانابيب هذا كان كاذبا ومشيداً من صفائح البنزين القديمة .

وبدأ (مونتكمري) يتفوق علينا من الوجهة المعنوية . اذ كان الجيش الثامن يتلقى التقويات من الجنود والمواد باستمرار . وقد عرفت قطعاته ذلك لأنه اخبرها به . وكان أمامه واجب ايجابي ألا وهو دحر رومل وازالة الخطر الذي يهدد مصر واكتساب الشهرة بقيامه بذلك .

أما قوات رومل العائدة لدولتين فلم تعزز كما ينبغي وكانت قطعاته تعرف ذلك . وكان رومل قد بلغ اقصى مايتمكن ، اذ كان قد نال في طريق النصر الذى وضع خطته منذ أمد طويل ، إلا انه لم يكن لديه قط الزخم الكافي ليعقب العدو الى الاسكندرية ، لأن القيادة الالمانية العليا اعتبرت الشرق الاوسط جبهة ثانوية . فشعر رومل اخيراً انه ليس في وسعه ان يجعل نفسه سيد مصر .

ثم ان رومل كان رجلا مريضا . فكان يرى في كل مرة انحف من المرة السابقة . وكان قد قضى لحد الآن عشرين شهراً من الاجهاد الفكري والبدني المستمرين في الصحراء . هذا علاوة على مسؤولياته السابقه في الحرب . وقد عانى لمدة تزيد على السنة نوبات اليرقان المتكررة فاصبح الآن منهوك القوى .

وكانت الطريقة الوحيدة لشفائه هي المعالجة في المانيا . فطار الى

هناك لهذا الغرض وقبل ان يذهب الى المستشفى في (سيمير لنك) (١) تقابل مع هتلر ، فاوضح له الخطر الذي لابد وانه سيداهمنا في افريقيا . والذي بدأ يظهر فعلا ، وذلك من جراء عدم ورود تقويات من الدبابات الى جبهة (العلمين) وقد شدد ايضا على وجوب معالجة معضلة ارسال مواد التموين الى قوات افريقيا بانتظام فوعد هتلر رومل بكل شيء . على انه كان قد تقرر عدم عودة رومل الى افريقيا بل كان في النية اعطاءه قيادة جحفل جيش في اوكرانيا عندما يشفى .

اما قيادة جحفله المدرع في افريقيا فقدعهدت الى الفريق (شتومه) .

---

(١) في النمسا السفلى جنوب غرب فينا .

الباب الثالث والثلاثون

الاندحار في (العلمين)

بدأت « حركة الشعلة » — وهو الاسم الرمزي لتعرض مونتكمري في العلمين — ليلة ٢٣ تشرين الاول ، ولقد كتم سر هذا الهجوم المدبر الهائل كتمانا تاما .

فجاء كمباغتة تامة لنا على الرغم من ان هيئة الاركان الالمانية كان قد تجمعت لديها دلائل تشير الى احتمال قيام الانكليز بتعرض قريب خلال الاربع والعشرين ساعة التي سبقت فتح السد الناري .

وقد تهيأ الجيش الثامن لهذا الهجوم منذ ١ آب . إذ جرى تعزيزه بـ (٤١٠٠٠) جندي وبما يزيد على الـ (١٠٠٠) دبابة و (٩٠٠٠) عجلة من مختلف الانواع .

واهتزت النجوم الآمنة في سماواتها عندما برق وزمجر نحو الف مدفع في آن واحد ضدنا في تلك الليلة . ولم يسبق لهذه الارض القديمة العهد ان عرفت ناراً مدوية ساحقة كهذه ، وقد زلزلت الارض من (منخفض القطارة) الى البحر المتوسط . وارتج الجنود على مسافة بعيـدة خلف خط الجبهة حتى اصطكت منهم الاسنان .

وبعد ان استمرت النار خمس عشرة دقيقة توقفت لمدة خمس دقائق وكانت هذه كفترة هدوء قبل العاصفة المجـددة . إذ في تمام الساعة العاشرة ليلا تمركزت على خطوطنـا الامامية نيران نفس العدد العظيم

من المدافع مضافاً اليها نيران آلاف من اسلحة الدبابات والمشاة ، وقام بالهجوم الاستراليون بالدرجة الاولى . واشترك معهم ايضا الانكليز والاسكتلنديون والنيوزيلنديون والافريقيون الجنوبيون ، وكان هدفهم الرئيسي مرتفع (المطرية) فجرى احتلاله في الليلة الاولى من المعركة غير ان (مونتكمري) لم يتمكن من تحصين هذا الهدف الا بعد قتال مستميت دام يومين . وكانت الفرقة المدرعة الـ (١٥) في الشمال والـ(٢١) في الجنوب وهما رابضتان على مسافة قصيرة خلف الاضطراب الدائر في الخط الامامي . وكانتا منقسمتين الى جحافل معركة وفقا للخطط الدفاعية التي رسمها رومل قبل ان يترك افريقيا للمعالجة الطبية في المانية . وكنا في عملنا هذا قد ارتكبنا خطأ كبيرا ، فكان مقصد رومل ان تبقى جحافل المعركة هذه بصورة مستقلة خلال الفترة التي تسبق تعرض العدو المتوقع فقط . ثم يجب تحشيدها حالما يصبح تعرض العدو محققا واتجاهه معلوما . إذ لا تتمكن غير قوة دبابات متحشدة من الصمود امام قوة الدبابات العظمى التي كونها (مونتكمري) وقتئذ ، ولم يحلم رومل ان دباباته سيسمح لها بمجابهة العدو وهي مجزأة فتدحر جزءاً بعد آخر كما دحر العدو في الماضي جزءاً بعد جزء من قبل رومل نفسه .

وكان (باير لاين) رئيس الاركان في الاجازة فاضطر رومل ان يعود الى انقاذ الموقف من حيث لا ينفع . وفي اليوم الاول من تعرض (مونتكمري) اصيب الفريق شتومه بسكتة قلبية عندما هاجمت طائرات العدو الوحدة التي كان معها ، ولم ير سائق (شتومه) سيده عند سقوطه من سيارته في الصحراء ولم يعثر على جثته الا بعد حين . وكانت دائرة

الاستخبارات المركزية في برلين قد اخبرتنا ان البريطانيين لا يتمكنون من الهجوم قبل نهاية الشهر .

وخابر هتلر رومل بالتلفون في مستشفاه في المانية ظهر اليوم الثاني من المعركة وطلب اليه ان يعود بالطائرة الى افريقيا فوراً اذ كان الموقف مما يبعث على اليأس . وكان رومل قد قضى مدة ثلاثة اسابيع فقط تحت المعالجة ولا يزال مريضا . الا انه لم يفكر في ان يقول لا . فركب الطيارة صباح اليوم الثاني قبل انبثاق النهار ولم ينزل الا في ايطالية ليرى ما كان يجري هناك وليعلم بصورة خاصة هل ان قواته تحصل على البنزين الكافي ؟ وهل ثمة دبابات اخرى في طريقها الى افريقيا ؟ ثم هل ارسل (كسرلنغ) مدافع الهاونات ذات السبطانات المزدوجة (١) التي كان قد وعد بها هتلر ؟ وأخيراً وصل رومل الى مقر الجحفل المدرع بعد ساعتين من مغيب الشمس في ذلك اليوم .

واظن انه علم في حينه اننا خسرنا معركة (العلمين) بعد ان رأى بأم عينيه ما كان يعانيه فيلق افريقيا من نقص في البنزين . فصرح لـ (باير لاين) اننا لانستطيع كسب المعركة . ولكنه قام مع ذلك بمحاولات يائسة ليسترد الموقف . وبقي مستيقظا طول الليل تقريبا ليضع خطة الهجوم المقابل ضد (مرتفع الكلية) (المطرية) في الشمال . وبذل جهوداً مستميتة لجمع قواته المدرعة ككتلة متراصة كما كان ينبغي ان تكون قبل وصوله . وكانت الفرقة المدرعة الـ (١٥) قد تدمرت على وجه التقريب فاستدعى الفرقة المدرعة الـ (٢١) وفرقة (ارييت)

---

(١) وتسمى هذه بالالمانية (نيبل ويرفر)

الايطالية الى الشمال وحرك الفرقتين الخفيفـة الـ (٩٠) و (تريست) الايطالية من مناطقها الخلفية لحماية الجبهة قرب البحر .

وحطمت القاصفات المتوسطة ومدافع ٢٥ رطلا - اعداؤنا القدماء - الهجوم المقابل الذي وجهــه رومل بنفسه فقام بهجوم آخر في اليوم الثاني إلا انه دحر مرة أخرى وفقـد دبابات كان في اشد الحاجة اليها ولا يمكن التعويض عنها . وقد دفعته الفرقة الاسترالية التاسعة الى الخلف أكثر من ذي قبل .

وتوقف (مونتكمري) لاعادة التجحفل بعد قتال دام ثلاثة أيام . (وكان الافريقيون الجنوبيون قـد انهوا واجبهم الرئيسي في معركة (العلمين) فلم نلتق بهم ثانية إلا في ايطاليـة . غير انه بقي منهم جنود المدرعات الذين كانوا موجودين في كل مكان) .

وحدث في (تل العقاقير) اعنف اشتباك بين الدبابات عرفتها معركة (العلمين) . وقد تكبد كلا الطرفين خسائر فادحة ولكن الضربة التي اصبنا بها كانت اشد من الضربة التي تلقاها العـدو . اذ فنيت دباباتنا على وجه التقريب ولم تبق منها غير مجموعات قليلة . ولقد ادت « حركة الحشوة العالية » التي قام بها (مونتكمري) - وهو الهجوم الجديد الذي اعقب « حركة الشعلة » - الى انتهاء معركة العلمين . وكافحت الفرقة المدرعة الـ (٢١) كفاحها المؤثر الاخير . وعلى الرغم من انها استطاعت في احدى المرات السيطرة على عدوتها القديمة - الفرقة البريطانية المدرعة الاولى - فانها دحرت ايضـا . فقرر رومل الانسحـاب ليلة ٢/٣ تشرين الثاني .

وابرق باللاسلكي قراره هذا مع اسباب ذلك الى مقر هتلر في تلك الليلة فلم تعرض البرقية على هتلر الا في اليوم الثاني اذ خشي الضابط القائم بالخفارة ان يوقظه عندما جاءت البرقيـــة . (وقد انزلت رتبته بسبب ذلك) . فتكلم هتلر عن رومل كثيراً وشتمه .

وكان انسحاب رومل قد بدأ عندما جاءت برقية لاسلكية رمزية من مقر هتلر تفيد « يتطلب الموقف الاحتفاظ بمواضع (العلمين) حتى الجندي الاخير . ينبغي عدم الانسحـاب مطلقا — النصر او الموت ! هايل هتلر » . وكانت الرسالة تحمل توقيع هتلر الشخصي . فبلغت الى وحدات فيلق افريقيا لسبب من الاسباب على الرغم من اننا كنا آخذين في الانسحاب .

ولم تكن هذه البرقيـة المضحكة لتحسن معنوياتنا في ذلك الوقت غير ان رومل لم يتمكن من ان يتجاهلها بعد ان استلمها واضطر الى الاعتراف باستلامها .

ولذلك فعندما طلب فون (توما) قائد فيلق افريقيـا من رومل في مقر جحفل افريقيا المدرع جنوب (الضبعة) ان يسمح له بالانسحاب الى (فوكـة) لم يصادق رومل على خطته بل اكتفى باعطائه الصلاحية ليعمل حسبما يرتئيه .

وفي صباح اليوم الثاني استخبر فون (توما) ان الانكليز قد أحاطوا بالجناح الجنوبي لفيلق افريقيا ، فأرسل هذا الخبر الى رومل . غير ان رومل كذب هذه المعلومات وادعى ان التشكيل الذي اخبر عن وجوده في الجنوب لابد وان يكون فرقة ايطالية منسحبة .

فذهب فون (توما) في دبابة لتحقيق الخبر بنفسه ، فانقضت عليه الدبابات البريطانية واشعلت النار في دبابته فأخذته اسيراً .

وذهب (باير لاين) رئيس الاركان يبحث عن فون (توما) فأوشك ان يقع في الاسر ايضا عندما اقترب الى مسافة بضع مئات الياردات ورأى في منظاره فون (توما) وهو يحاط فانطلق مسرعاً لينجو من الخطر وعهد اليه رومل قيادة ما تبقى من فيلق افريقيا .



الباب الرابع والثلاثون

الانسحاب

لم تبدأ معركتي إلا عندما اضعنا (العلمين) . فقـد جعل الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) خارج المعركة الى ان بدأ الانسحاب . وكان هو الوحيد الذي لم يشترك في القتال . فكنا معذبي الوجــدان خلال تلكم الايام ونحن نستمع الى المعركة العنيفة تدور على بعد (١٢) ميلا شرقنا في حين ان اسلحتنا بقيت دون عمل ولم يكن لدينـا مانفعله غير الاستحمام او التلكؤ في الشمس .

وعندما مرت آخر دبابة نحو الغرب بدأ واجبنا . اذ كان علينا أن نؤلف مؤخرة لرومل . فتحركنا بعد ان مر الجميع ولم نكد ننسحب أميالا قلائل طوار الساحل حتى اشتبكنا مع المدرعات جنوب الطريق تواً . فادخلنا مدافعنا في الموضع وقاتلنا المدرعات .

وتحرك الجحفل الخاص الى الخلف بحركات دباخية . وكان أحـد الافواج يشغل دوما موضعاً دفاعياً لستر الانسحاب ثم يركب مدافعـه ويتحرك . فوصلنا (مرسي مطروح) في ٦ تشرين الثاني .

وأمرت أن احتل مواضع موقتـــة في الخط الدفاعي الجنوبي لـ (مطروح) او على جانبي نيسم (سيوة) . فوزعت مدافع ضد الدبابات ـــ التي كانت لدى سراياي منهاخمسة او ستة ـــ في اهم النقاط التعبوية . وكانت مواضعنا تقع بين السدود حيث موانع الاسلاك الشائكة وحقول

الالغام التي تركت على حالها كما كانت في حزيران عنـــدما فكر جنود (اركنالك) في مسك هذا الخط .

وشاهدت قرب المساء دبابات بريطانية على المرتفع جنوب (مطروح) . وعندما بدأ الظلام يخيم فتحت النار على مواضعي الواقعـــة على النيسم المؤدي الى الواحة . وكانت المطاردة بدون هوادة . اذ تركت الارتال المتبقية من جحفلنا المدرع حصن (مطروح) تحت جنح الظلام واستأنفت سيرها نحو الغرب .

وبعد ساعات قلائل جاءني ساع بتقرير موقف مكتوب . فعلمت منه ان رؤوس رماح (مونتكمري) قد سبق لهـــا ان اصبحت غرب (مطروح) . وانه يحتمل ان تصدر الاوامر حول ترك موضع المؤخرة الحالي حوالي منتصف الليل . وكان علي ان اتحرك على اتجاه معين بالقنباص فيؤدي ذلك بي الى الممر الوحيد الباقي عبر حقل الالغام .

واتذكر انني اسفت لعدم سنوح الفرصة لتثبيت وتأشير المدخل الى ثغرة حقل الالغام في ضوء النهار . ولكن كان مما يبعث على ارتياحنا ان نعرف اننا سنتمكن خلال الليل التخلص من العدو فقد كان من المؤكد اننا لو بقينا خارج (مطروح) مدة اطول لوقعنا في شركه .

وغطى سائق وساعي الدراجـة البخارية عجلتي بالبطانيات فاستطعنا على بصيص مصباح صغير موصل بنضيدة ان نبتلع طعـاما من العلب ، وان نكتب رسائل الى ذوينا . وانشغلت بالكتابة حتى نسيت ان منتصف الليل قد جاء ومضى منـذ زمن طويل . ثم طرق سمعي صوت دراجة بخارية وتوقف محركها فسمعت شخصاً يقول « هل هـذا هو

الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) ؟ » فجاوبه همس خشن « اسكت ، لئلا يسمعك الانكليز ! » .

وجيء بساعي الدراجة الي فامتدت يد من بين البطانيات وهي تحمل الأوامر التحريرية التالية « (مطروح) اخليت تنسحب المؤخرة حالا » وكرر ساعي الدراجة هذه الأوامر بنفسه شفويا .

ولقد اصبحت الآن اجيد سياق الانسحاب . فكان لكل مفرزة في الفوج ساع مكلف بالانتظار قرب عجلتي ، وكانت التعليمات التي اصدرها الى هؤلاء لاتستغرق غير لحظة او لحظتين ، ثم تتحرك دراجاتهم بسكون خلال الظلام الى مواضع المدافع . فتركب المدافـع ويحمل العتاد ، ثم تتقارب العجلات من جميع الجهات لتؤلف رتلا واحداً قرب عجلتي التي كانت في واد صغير . لكنه على الرغم من الانتباه الزائد كان يتعذر اخفاء الضوضاء الناجم عن اشتغال المحركات اخفاء تاما . وقد انزعجت وقلقت في نفس الوقت من صياح بعض السواق عندما كانوا يؤمنون اتصال بعضهم ببعض .

وما كاد رتلي ينتهي من تأليف نفسه الا وسمعنا اصوات انفلاقات وكسر وصفير . وكانت قنابل الدبابات تتساقط على الارض بين اقدامنا تقريبا وتصفر بين العجلات . فاصيب بعضها واشتعلت فيه النيران . واضاء مكاننا الضوء الناجم عن النار فصرنا هدفا جيداً للدبابات البريطانية التي لابد وانها كانت قريبة جداً من جناحنا الجنوبي . وقدرت ان عدد دبابات العدو ليس كثيراً ، الا ان اوان الحفر قد فات بل ان ذلك في الواقع كان عبثا لافائدة فيه ، فكان علينا ان نتحرك كما امرنا به . ولكن لمواجهة احتمال

الوقوف والحفر شددت معولا صغيراً في حمالة صدري بشكل منحرف نحو الكتف . فكان هذا سببا في تعطيلنا بعدئذ .

واعطيت الايعاز التالي « بفاصلات واسعة - سر » وركزت عيني وأنا واقف في سيارتي على الابرة المغناطيسية داخل القنبـاص ليتسنى لي بذلك ان اقود رتلي في الظلام الى ثغرة حقل الالغام .

وسقنا خلال عاصفة صفرى من قنابل العدو . وكان للسواق غرض واحد فقط وهو الابتعاد عن مدى الدبابات المطاردة ، فاضطرب ضبط القافلة . اذ اقتربت العجلات الواحـدة من الاخرى خلافا للاوامر بل وصارت في بعض الاحيان تتسابق جنبـا لجنب على الرغم من الأمر الصادر باتخاذ الفاصلات الواسعة .

ثم خف القصف شيئا فشيئا وما كدت اتنفس الصعداء الا وحدث زئير وارتجاج . فترنحت سيارتي وتوقفت واذا بالمبردة والمحرك معطلان .
« ياللعنة ؟ دبابات امامنا » هذه كانت الفكرة التى لمت في فكري - وقلت لنفسي !

« لقد قطع الاوغاد علينا الطريق »

فامرت سائقي وكان قد جرح جرحا خفيفا ان « اقفز »
وفكرت ان ابتعد من هنا مسرعا اذ لا ينقذنا من هـذه الورطة الا السرعة .

وذهبت الى السيارة التى كانت خلف سيارتنا وصحت بالسائق :
« تقدم لاننحرف » ولكن لم يقدر لهذه العجلة ان تتقدم .
اذ حدث ثانية وميض واصطدام وترنح . وجرح السائق مـع جنديين آخرين كانا في نفس السيارة . وبمـا انى كنت اجلس في

مقدم السيارة فقد نجوت من الاذى . وحينما قفزت من السيارة رأيت في اليمين وميضين ممتازين ثم سمعت انفجارين . ففكرت ان لافائدة من الاستمرار على الانسحاب وصحت بالأمر التالي : « ترجل ـ احفر » .

ولم يكن ثمة ضرورة لهذا الايعاز تقريبا . اذ كانت جميع العجلات قد توقفت ومعظم الجنود سبق لهم ان امتدوا على الارض . ولكن مما يدعو الى الاستغراب انه حدث فوراً هدوء مطلق لم يعكره غير صوت بعض المحركات .

وكانت تمر فوق رؤوسنا من حين لآخر قنابل متفرقة آتية من خلفنا — وكانت هذه هي الاطلاقات الاخيرة التي كانت تلاحقنا بها الدبابات المطاردة . ولكن من هو الشيطان الذي كان يرمي علينا من الامام ؟ وبرقت في ذهني فكره فساءلت نفسي « هل هناك من يرمي علينا حقيقة أم اننا اصدمنا في حقل الالغام ؟ .

ولم أكد اخطو بضعة خطوات الى الامام وافحص الارض التى خلف اقرب عجلة محطمة حتى عثرت على حفر (التيلتال) (١) واذن فالالغام موجودة .

وتحيرت اذ كانت قراءتي للقنباص دقيقة الى حد بعيد ، وكنت واثقا من ذلك على الرغم من السرعة الفائقة التي كنا نسير بها . ولكن ... ولكن وخزاً حاداً دب في جسدي ـ انه المعول . فلا شك ان فولاذ نصل المعول سبب انحراف ابرة القنباص .

وكانت الليلة حالكة الظلام فمسكت القنباص قريبا من عيني وأخذت اتجاها على مؤشره الأبيض المنير . ثم رميت المعول بعيداً وأخذت

(١) وهي الغام المانية .

الاتجاه ، ثانية فاشرت الابرة كما توقعت الى اليسار بانحراف غير قليل .

لقد ارتكبت جهالة وها نحن الآن وسط حقل الالغام ودبابات العدو تطاردنا دون هوادة . فكان علي ان اعالج الموقف . فهدأت فكري ووضعت خطتي . وبينما الجنود ممتدين ذهبت ابحث عن حافة حقل الالغام .

والح أحد الجنود على مرافقتي . وقد سبق لهذا الجندي ان سرق من أحد رفقائه قبل بضعة أيام فاهنته على سرقته على ملأ من الفوج وفي ميدان العرض ، ناعتاً اياه بالشخص القذر » فركض من مكان الى آخر غير هياب بالخطر يفحص النياسم ويبحث عن الالغام بدقة .

هذا واننا نعرف عادة ان الغام ضد الاشخاص الخفيفة والسهلة الانفجار تزرع بغير انتظام حول الالغام ذات القاعدة الثقيلة التي تستعمل ضد الدبابات والعجلات ، ولكن يظهر ان الالغام ذات القاعدة كانت اصغر في هذا الحقل من النوع الاعتيادي وانه ليست ثمة الغام ضد الأشخاص .

وأخيراً عثرت على سلك صادىء من الاسلاك الشائكة التي تدل على حافة حقل الالغام وسرعان ما اكتشفت مكان الثغرة وكنا قد اخطأناها بخمسين ياردة . وكانت العجلات والمدافع الامامية فقط داخل حقل الالغام ـ وكان معظم الجنود منفتحين في تشكيل دفاعي فطلبت من سواق العجلات الخلفية ان يتجهوا نحو الثغرة . وخصصنا ارهاطا اخرى للواجب المحرج الشاق ألا وهو سحب العجلات والمدافع الواقعة في الخطر الى حافة حقل الالغام في الخلف وعلى نفس المسالك التي تقدمت عليها . فانفجر لغم واحد ولكنه لحسن الحظ لم يقتل احداً . وكانت

الصحراء حوالينـا ساكنة سكون الموت فـلم نكن نسمع الحلا
واحدة .

واستغرقت اعادة تشكيل الرتل سالماً ومروره من الثغرة في حقل
الالغام ساعتين من الزمن . وفقدت اثناء ذلك اربع عجلات ثمينة الا انه
لم تحدث خسائر في الجنود . وقد وجدنا في الحافة الغربية من الحقل
مفرزة من الهندسة تنتظرنا فلم نكد نمر حتى لغموا الثغرة . وبعد نصف
ساعة مروا بنـا على الطريق ومضوا مسرعين . ومضينا نسرع أيضا
على الطريق متجهين صوب الغرب . وكان النهار قد اوشك على الطلوع
ولا بد ان دبابات (مونتكمري) كانت قريبة منا وقد تكون في اجنحتنا
او ربما أمامنا .

ولامست اشعة الشمس الأولى ظهورنا محدثة ظلالا طويلة أمامنا .
وفي تلك اللحظة سمعنا ازيز سرب من الطائرات فوق رؤوسنا وبارتفاع
واطيء . فنشرت رتلي بسرعة الا ان الطيارين تجاهلونا . فهل ظنوا خطأ
اننا مقدمة رتل بريطاني ياترى ؟ . ثم رأينـا الطائرات في الافق الغربي
تنقض فتسقط قنابلها . فعرفنا عنـدئذ اين هو القسم الأكبر لفيلق
افريقيا .

وتنقلنا عبر منطقة (سيدي براني) ليلا وكان الأثر متربا وكاد ان
يكون في بعض الاماكن غير قابل للمرور . وكادت عجلاتنا ومدافعنا
ان تنقلب مراراً .

وفتحت فوقنا مشاعل المظـلات الاولى قبل ساعة او ساعتين من
منتصف الليل . ولم اكن قد رأيتها من قبل ولكنها استرعت نظري وهي
تبدو من الظلمات فاستهواني منظرها فشعرت بجـذل لامبرر له . في

خلال بضع دقائق امتلأت السماوات بـ « اشجار عيد الميلاد » وكانت الاراضي قد اضيئت بالأنوار ثم نزلت القنابل ترعد من الطائرات الواطئة . وكنا نتسابق في بعض الاحيان بسرعة جنونية وسط الرعود والبرق ، فاذا ما وقفنا وامتددنا على الارض كانت الطائرات تهاجم حتى الجنود المنفردين فتفاجئهم اثناء الوقوف وقبيل الامتداد . وكانت ظلال الطائرات الغريبة الشكل تتراقص بصورة واضحة على الارض عندما كانت المشاعل تنزل الى الارتفاعات الواطئة وهي مشتعلة — فاذا لم نقف جامدين في أماكننا استطاع العدو ان يرانا . وضربتنا الطائرات ضربا متواصلا خلال الليل . وكان معدل تقدمنا بطيئاً اذ كنا تارة نتسابق تسابقا جنونيا وأخرى نقف . وكنا لانجرأ على التأخر لئلا تقطع الدبابات علينا الطريق قبل أن نصل الى الجرف والى (السلوم) العليا حيث نكون في مكان نسبي .

وكانت تلك ليلة ليلاء لفيلق افريقيا . اذ ظهر بنتيجة التعداد فيما بعد انها كلفته خسائر في الجنود والدبابات اكثر مما لو اشتبك في قتال مدرع .

ورحبت بطلوع النهار بسرور معتدل على الرغم من علمي ان الهجمات الجوية ستستمر ، وربما بنفس الشدة ، اذ لاشك من اننا سنشعر باطمئنان أكثر لأننا سنتمكن ان نرى أكثر من الليل وسيتسنى لنا الوقوف وابداء نوع من المقاومة باسلحتنا الخاصة .

وبعد ان اشرقت الشمس بقليل مرت برتل فوجي كتلة من العجلات وهي تتحرك بسرعة . وكان اجتياز العجلات بعضها لبعض

في اثناء سيرها في قافلة ، ممنوعا عندنا في الحالات التي يوجد فيها خطر هجوم جوي شديد — كما هو ممنوع عند الانكليز — اذ ان الطرق المزدحمة تشكل اهدافا جيدة لطائرات العدو . وبينما كنت انوي ان اتخذ التدابير لتصحيح تصرف السواق المتجهين المارين بنا اذا بفاصلة قصيرة تحدث ، فامرت السائق بأن يخفف السرعة وان يستدير وتهيأت لأكون حازما مع السواق القادمين ثم ميزت العجلة القادمة — فاذا هي عجلة (الماموث) المعروفة — وسرعان ما ادركتنا — وكان في اعلاها شخص اعرفه جيداً وكانت اكتافه الى الوراء كالعادة . فأديت له تحية رشيقة ولوح رومل بيده ، واطلق صيحة ذهبت بها الريح المنبعثة من مروره بنا ، وكانت تبدو على وجهه امارات الجد والعبوس .



الباب الخامس والثلاثون

دبابات (شيرمان) الامريكية

ذات البرج العالي

يحق لرومل ان يبدو متجهماً — ففي صباح اليوم الذي اخلينا فيه (مرسي مطروح) كانت الامواج الاولى من قطعات الحلفاء تنزل على شواطيء افريقيا الشمالية الافرنسية على بعد الفي ميل غربنا . وكانت الحدود الليبية امام رومل ، وها هوذا يقترب اليها للمرة الاخيرة - ذاهباً بعكس الاتجاه الذي كان يصبو اليه . وكان عليه ان يقاتل متراجعاً الى مسافة طويلة . وقد تنبأ منذ ذلك الوقت انه سيعهد اليه مجابهة التهديد الجديد في افريقيا .

وكانت سرعة المطاردة حامية . وقد قاومنا النيوزيلنديين مدة قليلة في الصحراء شرق (سيدي براني) وعلى خط حقل الألغام البريطاني القديم فى (بقبق) . وفي ١٠ تشرين الثاني اجتزنا بسلام لم نكن نتوقعه ، الساحل المنبسط اسفل ممر (الحلفاية) . وكانت عن يميننا الشواطيء التي سبحنا فيها أنا ورومل مراراً كثيرة ونحن عراة . وسقنا الى اعلى الممر الحلزوني متجهين نحو (السلوم) .

وكان النيوزيلنديين يعقبوننا فاستولوا على (السلوم) والبردية و (كابوزو) . وتسابقت دبابات الفرقة البريطانية المدرعة السابقة عبر الصحراء طوار حافة الجرف فالتحقت بالنيوزيلنديين . ووقفنا اول وقفة

قصيرة قرب (سيدي عزيز) على نبسم (كابوزو) . ففتحنا مدافعنا ضد الدبابات حالا ، كما يقتضي أن نفعل ذلك دوماً كتدبير احتياطي ضد الطيارات وضد الهجوم الارضي معاً ، وبعد ان اكملنا الحفر هيأنا الشاي لنشربه مع (البسكت) ولحم البقر ـ وهما من بقايا غنائم طبرق ـ وها نحن الآن عائدون الى (طبرق) أيضاً .

ولم يكد الماء يغلي إلا ولمحنا تلك الاعلام الصغيرة المعروفة تتراقص في الافق . انها اعلام مدرعات افريقيا الجنوبية التي كانت تنبح وراءنا . واخذ عددها يزداد شيئا فشيئا فوق الافق . ثم تقدم قسم كبير منها الى شكل هجوم قوي . فاتخذ قداحونا وضع الرمي بسرعة اذ لم تكن قد دعونا هؤلاء الضيوف الى الشاي ، وفتحنا النار في اقصى مدى . فقفلت المدرعات راجعة واختفت خلف ذروة قريبة .

وقد كنا ولا شك ذيل الجيش المدرع الالماني ـ الايطالي . وكان علينا ان نبقى كمؤخرة لعدة اسابيع مضنية ، وكان تشكيلنا هو الوحيد الذي لم يشترك في معركة (العلمين) فكان عليه ان يعمل كثيراً ليعوض عن ذلك .

وكنت اعرف هذه المنطقة جيداً . وليس ذلك بسبب رحلاتي مع رومل فحسب بل لقيامي باعمال المؤخرة فيها قبل سنة . وقد تطورت وحدتي الآن فاصبحت خبيرة في فن قتال المؤخرات . وصار في وسعنا ان نتخذ المواضع الدفاعية ضمن دقائق وان نخليها بسرعة .

وكانت المعنويات الممتازة التي يتصف بها فيلق افريقيا لحد الآن تعزي الى ثقة الجنود في تفوق دباباتهم ومدافعهم ضد الدبابات (التي أمنت حماية جيدة ضد هجمات الدبابات) على دبابات العدو ومدافعه . أما الآن

بأن موازنة التفوق قد تغيرت ، واصبحت دبابات شيرمان الاميركية ذات الأبراج العالية كابوسا علينا . ومنينا بصدمة عنفية اثناء انسحابنا دباخا على (فيابالبيا) . فقد وجدت موضعا ملائما يمكن منه مجابهة المطاردين القادمين من الشرق . وكنت مسروراً لورود بعض التقويات الجديدة - وهم جنود المظلات الاقوياء من تشكيل امير اللواء (رمك) الذين شقوا طريقهم بشجاعة من حصار العدو في العلمين - وكان لدينا مدفع ٨٨ ملم ضد الطيارات حاضراً للرمي فشعرت بانني متهيء لكل شيء .

وحامت الدبابات الامريكية في الأفق وكانت الأرض متموجة فصارت تظهر تارة وتختفي اخرى . فقلت في نفسي : دعها تأتي . وكانت خطتي الانتظار بصبر في الموضع المغشوش غشا جيداً ومسك ناري حتى تصبح الدبابات الامريكية على مسافة قريبة من مدافعنا عيار(٥٠) ملم فنتمكن عندئذ ان تقاتلها باعظم تأثير ممكن . وقد اكدت هذه النقطة للضابط المدفعي الاقدم معي غير ان جنود ضد الدبابات الجدد كان ينقصهم التدريب أو تعوزهم اعصاب جنود فيلق افريقيا القدامى .

وتقدمت دبابتان بريطانيتان نحونا إلا انهما كانتا لا تزالان خارج المدى المؤثر لمدافع (٥٠) ملم ضد الدبابات ، ففتحنا عليهما النار بمدفع (٨٨) ملم فاختبأتا فوراً في ارض ميتة . وصرت ارقب بدقة المنطقة التي كانتا فيها بناظوري . واذا بهما تصبان علينا بسرعة نيران القنابل التي كانت موجهة علينا بصورة مؤثرة كأنهـــا آتية من مدفعية حقيقية ، وقد تمركزت نيران الدبابتين على مدفعنا (٨٨) ملم الذي كان قد فتح النـار

قبل الاوان . فتعذر على قداحي هذا المدفع ان يروا خصومهم . ولاحظت حركة على مقربة من المكان الذي اختفت فيه الدبابتان هذا اذن هو المحل الذي يترصد منه العدو . وقبل ان نتمكن من معالجة مرصد العدو استطاعت الدبابتان ان تعطلا مدفعنا (٨٨) مليما ، وان مشاتنا الآليون لم يحبوا هذا . فقد تعلموا من تجاربهم اننا يجب ان نعتمد على مدافع (٥٠) ملم ضد الدبابات ، وكان من الواضح ان هذه لا تستطيع ان تضاهي بمداها المدى المؤثر لدبابات (مونتكمري) الجديدة.

وقدرت اكثر من ذي قبل ضرورة غش المواضع غشا جيداً وضبط النار اذا اردنا ان نؤمن المباغتة وان ننجح في سلسلة القتالات الطويلة من نوع (اضرب — واركض) التي صار لابد منها ، والآن وكان الجنود مدربين تدريبا جيداً على هذه الامور وقد سنحت لنا الفرصة لتجربة ذلك عندما وقفنا لنقاتل قرب (اجدابية) .

ودخل البريطانيون (طبرق) في ١٣ تشرين الثاني بدون مقاومة . وكان القسم الاكبر من قوتهم قد تقدم (٢٢٠) ميلا في ستة أيام ولم تكن لديه مواد التموين الكافية للاستمرار على المسير . إلا انهم استطاعوا ان يجعلوا مينائي (مرسي مطروح) والبردية صالحين للعمل بعد احتلالها بيومين ، فتمكنوا بذلك من ادامة قواتهم الخفيفة التي طاردتنا دون هوادة ، واحتل البريطانيون (درنة) في ١٦ منه فصار في وسعهم الاستفادة من مطارها بالاضافة الى ارض النزول في (غامبوط) ليمكنوا المقاتلات من اسناد القطعات الارضية اسناداً قريبا . وقد استطاعت هذه المقاتلات

في حينه ان تؤمن ستراً جويا الى قافلة خرجت من الاسكندرية لتخليص مالطة عندما كانت هذه الجزيرة على شفا المجاعة .

وفي ١٨ منه دمرت مؤخرتنـــا مدرعات العدو في (شليظيمة) و (انتيـلات) الواقعتين على الممرات الرئيسية في الجرف . وانسحبنا ثانية في الليل . ففقدنا (بنغازي) ، واعطتنا الامطارالغزيرة التي هطلت مدة يومين راحة قصيرة في (اجدابية) قبـل ان يتمكن العدو من ان يلحق بنا مرة اخرى .

والف تشكيلنا الذي كان لا يزال بقوة كتيبة ، خطا دفاعيا في الاراضي الرملية التي تكثر فيها التلول ، واتذكـر اننا كنا جذلين لأن مستودع تموين المـاني قريب منا قد ترك فجمعنا منه كميات كثيرة من المدخرات ، واستطاع مطبخ الميدان ان يهيء لنا وقتئذ طعاما ممتـازاً وكنا نملك كميـة كبيرة من الشوكولاته والسكاير ، ولم أحدد أرزاق الجنود فمن يدري ما يأتينا به الغد ؟

وحفرنا مواضع جيدة لمدفعيتنـــا ورشاشاتنا ، وبعثرنا الرمل المستخرج مـن حفر المدافع . ووضعنا الهواوين في واد قرب مطبخ الميدان ، وكانت جميع المواضع مغشوشة بشوك الابل .

وبالاستفادة من تعـــاليم رومل فتشت مواضعي من الامام فكان يصعب اكتشافها ما عدا مدفعا روسيا واحداً عيار (٧٦ر٢) ملم فلم ارض عن موضعه تماما . ولكن قبل ان اتمكن من اكمال غشه ، صاح الراصد الذي كان يراقب العدو بمنظار قوي مركب على قاعدة من خنـدقه الشقي « دبابات العدو ـ الشمال الشرقي » فقفزت في الحفرة التي بجانبـه ونظرت بالمنظار وأنا اصدر الامر التالي :

« للقتال تهيأ — دبابات في الشمال الشرقي » .

فتوقفت حالا كل حركة مرئية في موضعنا . وجرت المخابرات بعد ذلك بتلفون الميدان فقط .

وصرنا الآن نستطيع رؤية الدبابات في القواطع الأخرى أيضا . وطارت فوقنا طائرتا استطلاع بريطانيتان فلم تكشفانا وصبت عليهما مدافع ضد الطائرات الواقعة غربنا نيرانها الحامية فتمكنت من اسقاطهما معا وخابرني ضابط من مقر العقيد (منتون) مفيداً ان أحد الطيارين البريطانيين انقذ حياته بنزوله بالمظلة وعند وصوله الى الارض أخذ اسيراً . ثم أكد لي بشيء من الدهشة ان الطيار لم يكن يدري انه كان فوق مواضعنا . وانكشفت أمامنا الآن صورة رائعة . فقد تحشدت تدريجيا نحو (٣٠) دبابة في واد طويل ضحل أمام جبهتنا . وكانت مدفعيتنا الثقيلة ترمي العدو من (اجدابية) من الخلف بنيرانها المتقطعة التي كانت تمر فوق رؤوسنا . ولكن هذه لم تكن ذات تأثير كبير . والتحقت بالدبابات في الوادي بطريتان من مدفعية العدو مع قوة من مشاته . وجاءت عجلات العتاد الى المدافع . وكنت استطيع في الحقيقة ان اميز خلال المنظار حركات ايدي القداحين وهم يديرون آلاتهم عندما كانوا يرمون نار مقاتلة البطريات على استقامة (اجدابية) . وكانت قنابلهم تمر من فوق رؤوسنا . ثم ميزت عجلات العتاد المدرعة . فظهر منها عدد من الضباط البريطانيين من ذوي الرتب الكبيرة طبعا ، إلا ان أوامر جازمة كانت قد اعطيت لمدفعيتنا بعدم الرمي على أي هدف لم يتجاوز خطا معينا — وكان جنود المدفعية يظهرون هدوءاً وضبطا مثاليين .

ورأيت بعدئذ خلال المنظار ـ الجاسوس ـ ضابطا بريطانيا يحمل سوطا ويعطي اشارة يدوية . فبـــدأت دبابات (شيرمان) تتدحرج نحونا . وتقربت ثلاث منها على نيسم كانت أحد مدافعي تسيطر عليه . وكان المدفعيون من جنود الفرقة الاجنبية القدماء .

وتقربت الدبابات من خط الواجب الناري تدريجيا ، ثم بدأت دبابات أخرى تتقدم . ووصلت الدبابة الاولى الى الخط واجتازته . فانطلقت قنابل متعاقبـــة من افواه مدافعنا ، فاصيبت الدبابة الامامية باطلاقة مباشرة على برجهـــا الشبيه بالقبة غير ان القنبلة تنططت دون أن تحدث ضرراً اذ كان الدرع جيداً جداً .

ووقفت الدبابات فاستدار بعضها الى الخلف ومن بينها دبابة (الشيرمان) الامامية . وفيما هي تستدير تناولتهـــا الرشقة الثانية من قنابلنا من الجنـــاح . فاشتعلت فيها النيران . وهكذا فقد وجدنا نقطة ضعيفة حتى في المارد الجبار .

ثم صار الصراع بين الدبابة ومدفع ضد الدبابات في اوج شدته واستمر مدة ساعتين ، فتدمر بنتيجـة ذلك موضعان من مواضع مدافعي إلا اننا حطمنا دبابات اكثر نسبيا ووقفنا تقدم العدو . وسحب جنود الانقاذ بمهارة وجرأة عظيمين دباباتهم المحطمة من ميدان المعركة الى مكان أمين بينما كان القتال دائراً .

على ان وقوفنا لم يكن نافعا فان طليعة اللواء المدرع الـ (٢٢) التى اجتازت (٢٦٠) ميلا من الصحراء قد وصلت الى عيذنا وهددت جناحنا بالاحاطة . فأخلينا مواضعنا مرة اخرى وانسحبنا الى (العقيلة) .

وهكذا اضاع رومل (برقة) كلها .

الباب السادس والثلاثون

ضياع طرابلس

استدعيت في (العقيلة) الى مقر فيلق افريقيا فسألني القائد ان ابين له مختصراً عن الامكانيات الدفاعية لواحة (مرادة) . (لا بد ان أحد ضباط ركن المقر قد تذكر مهمتي في اوائل ١٩٤١) .

فأجبت « يمكن الدفاع عن (مرادة) بسهولة اذا تيسرت لها قطعات كافية وامكن تأمين مواد تموين كافية لها . وقد تدعو الحاجة الى تموينها جواً لأن العدو يستطيع ان يقطع خطوط التموين الأرضية الى الواحة بسهولة » . وكان ماذكرته اشبه بدليل الطفل الى الحرب . ولم يكن ثمة ماتناقشه غير ذلك . وكان القائد وديا معي . وبعد ان ناقش آرائي برهة من الزمن قدم لي فنجانا من القهوة — وهو اول فنجان لذيذ ذقته لاسابيع خلت . واستنتجت من سياق الحديث أن النية قد اتجهت الى اهمال فكرة مرادة من قبل لانه لا يمكن تهيئة نظام دفاعي بين (العقيلة) (ومرادة) في المدة القصيرة الباقية قبل ضغط العدو علينا مرة أخرى .

وقد كانت (العقيلة) اقصى مابلغه التقدم البريطاني في ليبيا مرتين من قبل . وهي اقوى المواضع الدفاعية في هذه المملكة ، اذ يصل المهاجم أولا الى منطقة مستنقعات ملحية ثم يلاقي ثغرة بين هذه وبين مستنقع ملحي آخر في الجنوب ، ثم أرضاً مهملة تحتوي على كثبان ناعمة الرمال كونت منها رياح الصحراء اشكالا هلالية . والى جنوب ذلك جوف

مرتفع و كثبان ومستنقعات ملحية اخرى . وتبعد العقيلة (١٥٠) ميلا عن (بنغازي) و (٣٠٠) ميل عن (طبرق) . فلا يأمل أي جيش ان يخترق هذا الموضع مالم يكن منتعشاً واموره الادارية مضمونة . لكنه ظهر لي بوضوح في المقر اننا لانستطيع البقاء في (العقيلة) هذه المرة . وصحيح ان رومل قد اعلن ان « (العقيلة) هي الجبهة النهائيـة التي ينبغي توقيف تقدم الجيش الثامن عندها » . إلا انه كان متعذراً تقويتنا بالمعدات الكافية لمعركة دفاعية ناجحة .

وكان الجو ـ طبعاً ـ مليئاً بالاشاعات ، وعرفت قطعاتنا ان امدادات كبيرة قد نزلت في تونس . وكان سواقو عجـلات التموين الذين وصلوا من تونس يتحدثون عن دبابات « النمر » الضخمة ـ وهي الدبابات الثقيلة التي وعد هتلر بها رومل قبل (العلمين) ـ وكذلك عن قاذفات الدخان الدائمة الصيت التى ظهر بعدئذ انها مدافع هاون مزدوجة جيء بها من الجبهة الروسية . وتحـدثوا أيضا عن الـ (جايكانتن) ـ وهي الطائرة الشراعية النـاقلة الضخمـة التي تستطيع ان تحمل دبابة خفيفـة او (٢٥٠) جنديا .

واستمرت الحكاية تقول ان القيادة العليا في برلين نوت أخيرا أن تهتم بهذه القوة (المتممة) في افريقيا . بيد اننا لم نشاهد في الجبهـة المواجهة للجيش الثامن اية تقويات حقيقيـة ، بل على العكس من ذلك سحبت بعض الوحدات الفنيـة من فياق افريقيا وارسلت على عجل الى تونس .

وفي الغرب استطاعت قوة الغزو الانكلو ـ امريكية ان تثبت اقدامها فى مراكش والجزائر .

وفي هذه اللحظة الحرجة كانت على بعد (٢٥) ميلا من تونس . وقد ارسل كل مثقال من التقويات التي امكن تخصيصها لأفريقيا الى تونس ولم يرسل منها شيء الى رومل في ليبيا . واذا حسبنا كل جندي التحق بنا خلال انسحابنا الطويل كان مجموع قوتنا الآن لا تزيد على (٢٥٠٠٠) ايطالي (ولم يكن كلهم يؤلفون قطعات محاربة فعالة) و (١٠٠٠٠) الماني . وكانت لدينا اقل من (١٠٠) دبابة .

وكانت خطة رومل تقضي بعدم الاحتفاظ بالعقيلة اكثر من المدة اللازمة لاجبار (مونتكمري) على الانفتاح والتهيوء للهجوم ثم ينسحب الى (البويرات) لستر ميناء (طرابلس) نفسه .

ويظهر ان العدو قد شعر في اوائل كانون الاول بأننا ننوي الانسحاب الى مسافة أبعد . ومن المحتمل انه ادرك ذلك لأن رومل قد ارسل الايطاليين الى الخلف مقدما خوفاً من خطر وقوع آلاف منهم في الاسر من جراء نقص النقلية الآليـة كما حدث في معركة (العلمين) . وترك القوات الالمانية السيارة تحتفظ بالموضع حتى انزل (مونتكمري) ضربته الجديدة .

وبدأنا ننسحب ليلة ١٢ كانون الاول بعد ان اتضح لنا ان العدو ينوي القيام بهجوم جبهوي ، وكان على الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) أن يحمي مؤخرة فيلق افريقيا من جنوب طريق (مرادة) حتى الطريق الساحلي فالبحر المتوسط . وكان البريطانيون بطيئين في شق طريقهم عبر مصائدنا والغامنا وحفرنا ، لكنهم استطاعوا في ٢٥ منه ان يلحقوا بنا ، فانزلت بنا دبابات اللواء المدرع الثامن ضربة شديدة على طريق (مرادة) ففقدنا بنتيجتها سرية كاملة تقريباً .

وقد اوقفنا الدبابات البريطانية بواسطة حفرة عميقـــة مقامة عبر الطريق الرئيسي . غير ان (مونتكمري) كان في نفس الوقت قد استخدم النيوزيلنديين في احدى كاشاتهم اليسرى التي اشتهروا بها . فقام هؤلاء باحاطة واسعة حول الموضع الرئيسي وهددوه من الخلف في وادي (ماتراتن) الواقع نحو (٦٠) ميلا قرب (العقيلة) . وكان قسم غير قليل من مؤخرتنا ، التي كانت تنسحب دباخا على الطريق ، لا يزال على الجانب الشرقي من الوادي . وكان الطريق الوحيد السهل عبر الوادي هو الطريق العام نفسه ، فاستطاع النيوزيلنديون ان يحتلوا موضعا على الطريق ولكنهم لم يبذلوا جهـــدهم في هذه المرة كما ينبغي . وظهر انهم اضاعوا طريقهم ليلا على الرغم من ضوء القمر ، فتمكنا بانقسامنا الى جماعات صغيرة كل منها بقوة سرية ان تنـدفع خلال الثغرات التي بينهم . لكننا فقدنا بعض الدبابات والمـدافع والجنود . ونسفنا القناطر والجسور على جميع الوديان ونثرنا الالغـام على الطريق فاضطر العدو ان يندفع بحذر ، إلا انه استطاع مع ذلك ان يلحق بنا في (النوفلية) ليلة ١٦ كانون الاول فحدثت بيننا وبين مقدمة (مونتكمري) بعض المناوشات مدة يومين ثم انسحبنا نحو (سيرت) .

وفي ٢٢ منه بقيت فرقة واحدة فقط في الامام وهي الفرقة المدرعة الـ (١٥) . إذ كانت الفرقتان المدرعة الـ (٢١) والخفيفة الـ (٩٠) في الخلف مع القسم الاكبر تهيئان خطاً جديداً في (البويرات) ، وتردد العدو قبل ان يتحرك الى ما وراء (النوفلية) إذ كان على بعد يزيد عن الـ (٢٥٠) ميلا من قاعدته في (بنغازي) غير انه كان عليه مع ذلك ان يحتل اراضي

نزول متقدمة اذا اراد ان يقاتلنا في (البويرات) ولذلك فانه دفع مدرعاته الى الامام نحو (سيرت) الواقعة على بعد (٨) اميال الى الغرب . وعلى الرغم من ان المقدمة كانت خفيفة فانها هددتنا بالتطويق ، فقام الجحفل الخـــاص الـ (٢٨٨) بقفزات دباخية مرة اخرى . وتركت القرية الى العدو .

٢

وفي عشية عيد الميلاد ، وجدتني أقود الفوج الامامي من المؤخرة على طريق (فيابالبيا) وعلى مرأى من (سيرت) ، وكنت أرى قطعات (مونتكمري) وهي تدخل القرية بعد ظهر ذلك اليوم بل ورأيتهم أيضاً يطهرون أرض النزول .

يالها من ليلة غريبة احتفلنا بها ! فقد اتخذنا شجرة عيد الميـلاد من عمود من الخشب ثقبنا فيه ثقوباً لتحمل اغصان الشوك البري . وزينـا الشجرة بالاوراق الفضية واستحدثنا نوعا من الشموع . واستلم كل جندي من جنودي ثلاث سكاير هدية بمناسبة هذا العيد ، وكنا قـد ادخرناها منذ مدة لهـذه المناسبة ، واستلمنا كيساً خفيفاً يحتوي الرسائل الواردة الينا من الوطن ، فكانت هذه خير هدايا عيد الميلاد .

وبينما كنا مشغولين في ايقاد الشموع على شجرة عيد الميلاد في الهواء الطلق لمحنا ثلاثة جنود يترصدوننا من الارض الظلمـاء ، فأمرت بجلبهم . فجاؤا مترددين ، فظهر انهم دورية المانية مؤلفة من ضابط واحد واثنين من المراتب . واوضح الضابط ان وحدته ، التي كانت غربنا أمرته أن يكلشف من هم أمامها .

فقلت له « ليست ثمة حاجة لأن تذهب أبعد من هذا . فليس أمامنا غير البريطانيين . وخير لك ان تشاركنا في هذا الاحتفال الفقير » .

غير ان هذا الضابط كان ذا وجدان مثالي فاعتذر قائلا انه يجب ان يستمر في دوريته . واختفى في الظلام متجها صوب الشرق .

ولقد لقيته صدفة في ايطاليا بعد مدة طويلة فاخبرني بما حدث له :

لقد ضل الطريق ، وبعد ان تعثر في الظلام عدة ساعات وجد نفسه ثانية في المكان الذي نصبنا فيه شجرة عيد الميلاد ، فاستنتج انه كان ينبغي لنا ان نلغم الطريق ، بعد ان تركنا موضعنا — وكان استنتاجه هذا صحيحا . ثم تعثر غربا ليعثر على العجلة التي تركها عندما بدأ بدوريته مشيا على الاقدام . فوجدها وتعقبنا فيها باتجاه الغرب ، ولكنه كان يتجنب الميسم الذي سرنا عليه خشية أن يكون ملغما . إلا انه اصطدم مع ذلك ببعض الالغام التي قذفت بعجلته الى اعلى فاصيب بجرح خطير . وحمله رفيقاه ، اللذان جرحا جرحا خفيفا ، حتى اتاح لهم الحظ ان يصادفوا جماعة من الهندسة كانوا مشغولين في زرع الالغام فاوصلوهم الى حيث الامان .

ربما ليست لهذه الحكاية أية حكمة خاصة — وان دلت على شيء فانما تدل على ان وجدان الانسان قد يكون أكثر حساسية عشية عيد الميلاد .

٣

تظاهر رومل بالوقوف ثانية عند وادي (زمزم) غرب (البويرات) مباشرة . وقد استغرب العدو في حينه من ذلك واستغرب كذلك بعض

ضباطنا . اذ كان يبدو منطقيا ان لااندفاع عن هذا الموضع الذي طوله نحو (٢٥) ميلا والذي يمكن احاطته بسهولة وان نقف بدلا منه على الخط الطبيعي القوي بين (الحمص) و (ترحونة) .

والحقيقة ان القيادة العليا كانت قد قررت قبل انتهاء السنة ان تضحي بطرابلس الغرب كلها وان تمركز الجهود على ادامة رأس جسر في افريقيا حول تونس . فاذا استطعنا ان نصد القوات الانكلو - امريكية هناك فسيتسنى لنا الاحتفاظ بسيطرتنا على القسم المركزي من البحر المتوسط لاسيما ونحن نحتل (صقلية) أيضا ، وينبغي ان نحرم العدو من استعمال هذا البحر بحرية ، كما ينبغي بالاضافة الى ذلك ان ان نبعده عن الجناح الجنوبي لاوربا الذي كنا نعرف انه يرغب في مهاجمته رغبة شديدة . وكان تشرشل قد ذكر ذلك بوضوح تام .

وفي اوائل كانون الثاني ارسل جميع الطليان الى الخلف غرب (البويرات) وافرزت صديقتنا الفرقة المدرعة الـ (٢١) من جيش رومل الالماني — الايطالي المدرع فارسلت للالتحاق بالفريق فون (ارنيم) . وتركنا في (زمزم) مع الفرقة المدرعة الـ (١٥) والفرقة الخفيفة الـ (٩٠) .

وكان في وسع (مونتكمري) ان يطردنا من خط (البويرات) بسرعة لو عرف اننا لاننوي الاحتفاظ بموضعنا . وكانت معضلته ، انه اذا اكتسب هذه المعركة عليه ان يتهيأ حالا للاندفاع الى ميناء (طرابلس) . وقبل ان يصل الى هناك سيصبح على بعد (٦٠٠) ميل

من اقرب ميناء ملائم للتموين في (بنغازي) — أي انه سيكون في موقف خطر .

وقد قرر ان ينزل ضربته على مواضعنا الواقعة على طرفي الطريق العام بفرقتين من المشاة وان يرسل دباباته والنيوزيلنديين للقيام بواجبهم الالتفافي المعتاد من اليسار . لكن ميناء (بنغازي) اصيب في الواقع باضرار بليغة من جراء عاصفة عاتية ، فاضطر (مونتكمري) أن يعطل إحدى الفرقتين اللتين كان ينوي استخدامها في الهجوم الجبهوي وان يستفيد من نقلية هذه الفرقة لجلب مواد التموين على عجل من (طبرق) التي تقع على مسافة أبعد . ولا بد أن ذلك قد اقلقه .

ولكن لم يكن ثمة داع الى زيادة قلقه ، اذ لم نكن اقوياء بدرجة نستطيع معها ان نبدي مقاومة عظيمة . وزحف النيوزيلنديون بسرعة حول جناحنا . اما في الجبهة فان قطعات (مونتكمري) عبرت وادي (زمزم) في اليوم الأول . وهكذا استأنفنا ثانية عملنا المرهق القديم ألا وهو القفز دباً الى الخلف وزرع الالغام وفلق التخريبات . وفي ليلة ١٧ كانون الثاني اخلينا (الحمص) . وكانت المنطقة وعرة فساعدتنا ضد العدو الذي كان متفوقا علينا تفوقا ساحقا بالعدد . واستطعنا ايقاف (مونتكمري) بعناد قرب (طرحونة) خاصة بجنود (رامكه) وبدباباتنا التي كان قد تضاءل عددها بشكل مؤلم .

وقد قاتلت المؤخرة قتالات شديدة غرب (الحمص) لكنه على الرغم من ان الدفاعات التي هيأناها هنا كانت صحيحة فقد كان عددنا قليلا

وقد سبق ان اتجهت انظـــار رومل نحو الارض الخلفية في تونس . فقاتلنا لذلك قتالات بسيطة في (كورادبني) و (كاستلفردة) ثم ابدت الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) آخر محاولاتها ليلا على بعد نحو (١٢) ميـلا خارج (طرابلس) . وابدت المؤخرة مقاومـة في (كاستيل بنيتو) و (عزيز) و (غريان) . ثم انتهى واجبنا فانسحبنا دباخا مرة اخرى .

ودخل (مونتكمري) طرابلس في ٢٣ كانون الثاني بعد بدء معركة (العلمين) بثلاثة أشهر تقريبا .



الباب السابع والثلاثون

مع الامريكيين لأول مرة

قمنا نحن والحلفاء باعادة تنظيم جهازنا الحربي بأجمعه في شمال افريقيا وقد اجتمع تشرشل وروزفلت وآيزنهاور في الدار البيضاء في اواسط كانون الثاني ، فوضعوا الخطط التي تقرر بموجبها ان يصبح الجيش الثامن عند دخوله تونس تحت امرة (آيزنهاور) القائد العام والفريق (الكسندر) القائد المقاتل الرئيسي لقيادة ماسمي بجحفل الجيش الثامن عشر — الذي استنبط اسمه من توحيد رقمي الجيش الثامن والجيش الاول الذي كان يقوده الفريق (اندرسون). والمسؤول عن القتال الاول الذي جرى في تونس ، ولم يدخل تحت امرة الجيش البريطاني الاول في بادىء الامر الفيلق الامريكي المستجد او الفيلق الافرنسي التاسع عشر الذي أبى الفريق (جيرو) ان يسمح بأن يقوده قائد بريطاني . بيد انه عندما اضطربت امور هذين الفيلقين واصبحا في وضع حرج اضطر (آيزنهاور) ان يخرجهما من سيطرته التي لم تكن محكمة عليهما نوعا ما ، ويجعلها تحت امرة الفريق (اندرسون) بصورة مباشرة . وتولى الكسندر القيادة الرئيسية على عجل في ١٧ شباط قبل الموعد المقرر لذلك ببضعة أيام ، لأن روميل انزل ضربة حاذقة غير متوقعة على منطقة (قصرين) وقد كنت هناك لحسن حظي .

وفي الوقت نفسه لاقى روميل (فون إرنيم) في (قابس) فناقشا

خطة المحور ، وكان (فون ارنيم) يعتقد انه بعد ان نجح جيشا المحور في الاتصال ، عليهما ان يحتفظا برأس جسر قوي من (بنزرت) الى خط (مارث) الذي كان يعتبر (ماجينو) افريقيا ، والذي شيده الافرنسيون قبل سنوات طوال على الحدود التونسية الطرابلسية ، ولكن رومل خالفه في ذلك اذ لم يكن يعتقد امكان الاحتفاظ بجبهة واسعة كهذه مدة طويلة ، وقد اسست القيادة العليا للمحور حينذاك مقر جحفل جيش ليسيطر على حركات جميع القوات المحورية في تونس .

وفي ٢٣ منه عهد الى رومل بالقيادة العليا لهذا الجحفل الذي اطلق عليه اسم جحفل جيش افريقيا (١) . وبقي (فون ارنيم) قائداً للجيش الالماني الخامس المؤلف من القوات الاصليـة التي ارسلت الى تونس على عجل لمقاومة الغزو البريطاني — الامريكي والذي عزز تعزيزاً ضخما منذ ذلك الوقت ، وعندما اسس رومل مع معظم هيئة اركانه الاصلية مقرهم الجديد ، الغي مقر الجيش المدرع الالماني - الايطالي (وهو التشكيل الذي قاده رومل منذ ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٢) . وبدلا من ذلك اعيد تنظيم القوات المحورية التي طردها الجيش الثامن من مصر فسميت بالجيش الايطالي الاول بقيـادة الفريق (ميس) الذي سبق له ان قاد فيلقا ايطاليا في روسيا ، وقد اشتمل هذا الجيش ايضا على الفيلقين الايطالي الـ (٢٠) والـ (٢١) .

وجرى تعزيز القوات التونسية بفرق كانت تمكن رومل قبل سنة

---

(١) وقد بقي رسمياً القائد العام لجحفل الجيش هذا حتى ١٣ مايس وهو اليوم الذي انتهت فيه جميع مقاومة المحور في افريقيا .

ان يخترق مصر حتى قنال السويس — لو ضمن لهذه الفرق مواد التموين اللازمة لاطعام جنودها ولتأمين قابلية حركة عجلاتها . فقد حصل (فون ارنيم) على الفرقة المدرعة العاشرة وهي احدى الفرق التي ابلت بلاء حسنا في فرانسة وفرقة المشاة الـ (٣٣٤) وفرقة (هيرمان غورنغ) المدرعة وكتيبة (بارنتين) وكتيبة (كوخ) الصاعقـــة (وهاتان الاخيرتان مؤلفتان من الهابطين بالمظلات) والمفرزة المدرعة الـ (٥٠١) التي كانت بقوة فوج والمجهزة بدبابات «النمر» الحديثة العلامة (٦) وفرقة(مانتوفل) التي وصلت مبكراً وعدة افواج من حملة الرمانات من الكتيبة الـ (٤٧) التي كان قسم من جنودها قد جاء من (كريت) والقسم الآخر مؤلفا من تقويات وردت حديثا من المانية . وهكذا اصبحت لدينا ثلاث فرق المانية مدرعة واخرى مجهزة بدبابات ايطالية ، وقد قيـــل ان القوات المحورية في تونس بلغت نحو اربع عشرة فرقة كان نصفها المانيا . وكان لدى الكسندر تسع فرق فقط عندما تولى القيادة إلا انه اتخذ التـــدابير لزيادتها حتى بلغت نحو عشرين فرقة في مايس .

وفي الوقت نفسه كانت تصلنا التقويات أسرع من العدو — وقد قدر (الكسندر) اننا نتلقى الف جندي في اليوم ، وكانت التشكيلات الجديدة أحسن دواء لمارشالنا المريض (١) ، ولا جدال في ان انسحابه (الاقتصادي) ببقايا فيلق افريقيا من العلمين (حيث فقدنا فيها المعركة قبل وصول رومل) حتى خط (مارث) كان من اعظم مآثره كقائد

---

(١) يعني المؤلف بذلك المارشال رومل الذي كانت صحته قد ساءت وقتئذ الى حد بعيد (المعرب)

تعبوي وان كان من المحتمل انها لم تنل من التقدير ما نالته ما ثره الاخرى .

واني لا اتفق مع النظرية القائلة ان رومل كان « انسانا كاملا» فعندما كنت بقربه وجدت ان قابليته على التصور وذكاءه اقل بكثير من الصور الخيالية التي صورها له اصدقاؤه واعداؤه على السواء ، ولكنني كواحد من الذين كنت غالبا بتماس مستمر مع العدو خلال الانسحاب الطويل من (العلمين) الى (مارث) اعترف بمهارته في ادارة حركاتنا طيلة ذلك ، إذ لم يفقد اكثر مما ينبغي وقاتل لاكتساب الوقت لتأسيس معقل جبار لتجربة القوة في تونس .

ولم يكد رومل يتصل بـ (فون آرنيم) ويسحب فيلقه الافريقي على عجل الى ملجأ خط (مارث) إلا وصار يضع الخطط لاستئناف الحركات التعرضية ، كما هو معروف عنه . وكان الخطر الذي يخشى منه رومل في ذلك الوقت قيام القوات الانكليزية — الامريكية في تونس بهجوم على الجبهة الواسعة الكائنة وراءه ، فقرر لذلك ان ينزل ضربته اولا بهجوم مباغت بجميع قواته الآلية لتحطيم اعظم ما يمكن من جيش العدو ، ثم يلتفت بسرعة نحو (مونتكمري) ليطرده الى الخلف نحو الشرق فيؤخر بهذا التعرض الذي لابد وان الجيش الثامن سيقوم به ان لم يفعل هو ذلك .

اني لا انوي كتابة تاريخ عسكري عن معركة تونس المعقدة على الرغم من انها معركة خلابة . فاذا لم تكن دارسا للحرب فسوف لا تعبأ بالاسباب التي ادت الى ارسال وحدتي على الطريق الجيد المؤدي من (قابس) الى واحة (قفصة) ، اما اذا قد درستها له ، فستعرف ان

هناك طرقا تخرج من الواحـــة فتعبر السلسلة الغربية لجبال تونس في (قصرين) و (فريانه) فيتضح لك من ذلك منشأ خطة رومل .

وقد اسس رومل خلف (فايد) قوة احتياطيـة لجحفل الجيش ، كانت نواته الفرقة المدرعة الـ (٢١) . وكان الفيلق الامريكي الثاني المؤلف من قطعات مستجدة لم تتعود على المعارك الدموية بعد ، مرابطا عبر سهل (فايد) بين (قفصة) و (فندق) وكان مضيق (قصرين) خلفها . وكانت الفرقة الامريكية الاولى منتشرة في منطقـة (سيدى بوزيد) على جبل (ليسوده) — وهو قمة منعزلة شمال القرية — وفي (سبيتلة) وعلى طريق (سبيتلة) — (بيشون) .

وفي ١٤ شباط زج رومل نحو مائة دبابة وقطعات ساندة ضـــد الامريكيين واستخدم طائرات (شتوكا) كوسيلة اضافية جيدة لدحر « الاولاد الجدد » . وعلى اثر ذلك سحقت المدفعية الامريكية ففقدت ثلاثين مدفعـا . وحطمت الدبابات الالمانيـــة الدبابات الامريكية تحطيا شديداً .

وقام الامريكيون في اليوم التالي بهجوم مقابل غير ناجح ، فتقهقروا على اثره نحو (سبيتلة) تاركين مشاتهم منقطعين على جبل (ليسوده) فأسرعدد كثير منهم . وقد قل عدددباباتهم بدرجة سيئة — اذ تحطمت منها ست وثمانون دبابة — فتعذر عليهم الدفاع عن السهل واضطروا الى الانسحاب الى ابعد من ذلك حتى سلسلة (دورسال) الغربية .

وظهرت وحدتي — الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) — على المسرح في اليوم الثاني من هذا التعرض . فقـد أمرنا بالهجوم لاحتلال واحة (قفصة) التي توقعناها محتلة من قبل المظليين الامريكيين والافرنسيين

الاحرار . غير ان الواحة كانت محتلة في الواقع من قبـل الامريكيين (الكوماندو) وخيالة (دير بيشاير) البريطانيـة التي حصلت بالاشتراك مع الهوسارس الـ (١١) — اعداءنا القدماء في الصحراء الغربية — على شرف احتلال تونس بعد ذلك بمدة غير طويلة . على ان هذه القطعات انسحبت اتفاقا مع الانسحاب الامريكي العام الى سلسلة دورسال الغربية اما الافرنسيون الاحرار الذين كانوا على (دورسال) الشرقية فانهـم تراجعوا أيضا الى السلسلة الاخرى .

وفي خارج (قفصة) تهيجنا لفكرة لقاء الامريكيين في ميـدان المعركة للمرة الاولى ، ولم نكن ندرك وقتئذ ان الامريكيين في هذا الدور لا يعرفون شيئا عن فن الحرب وانه لا يمكن مقارنتهم بجنود الامبراطورية البريطانية الاقوياء الذين قاتلناهم طيلة السنتين الماضيتين .

ورابطنا شرق الواحة في الوادي الذي يمر منه طريق قابس،وبينما كنا نحضر أسلحتنا للقتال بعـد ظهر ذلك اليوم اكتشفت قطعات الاستطلاع ان الواحة خالية . فذهبنا اليها عند غروب الشمس نتلمس طريقنا خلال حقول الالغام . وكان القتال الوحيد الذي قمنا به مناوشة صغيرة مع جماعة صغيرة من العدو على الحافة البعيدة من الواحة .

وفتشنا حالا عن السكاير — فكم كان سرور الجنود عظيما عندما وجدنا عدة عجلات امريكيـة وكانت احداها ملأى بالسكاير ، وهكذا فبعد ان كنا نعانى نقصا في ارزاقنا خـلال الانسحاب العظيم اذا بارزاق امريكية وافرة تقع بأيدينا . فيا له من تغير كبير !

وفي الفجر عندما كان سائقي يهيء فطوراً فاخراً من الطعام

الامريكي استدعيت لمواجهة الرئيس (مير) آمري الجديد . وكنت قد قدت لحد الآن الفوج الثاني من الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) ، إلا ان (مير) الذي وصل من المانية حديثاً كان اقدم مني ولذلك فانه حل محلي . وقد قلصت سراياالفوج من ثلاث سرايا الى سريتين قويتين فقدت احداهما . ولم تكن العلاقة بيني وبين (مير) ودية بوجه خاص ، ولما سلمت اليه الفوج لم يظهر أي اهتمام بما قلته له عنه .

وناقشني (مير) خلال المواجهة عن الموقف السوقي والتعبوي . ثم قرأ علي الأوامر التالية الواردة من مقر الجحفل وأنا ادرس الخريطة « أوامر الى الفوج : يندفع الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) الى الامام على الطريق باستقامة (فيريانة) حالا . نظام المسير للكتيبة كما يلي : الفوج الثاني في المقدمة يتبعه الفوج الاول ثم باقي الكتيبة » .

ثم أضاف (مير) قائلا « لتكن سريتك في الامام . تلتحق بك صائدات الدبابات » .

حركت سريتي حالا وكانت صائدات الدبابات خلف سيارتي مباشرة وتليهامفرزة من الهندسة مع كاشفات الالغام وكان الطريق من (قفصة) الى الشمال معبدا واحسن مما توقعته بكثير .

واعترضت حركتنا بعض المزعجات . اذ قصفتنا المدفعية خارج (قفصة) بقليل ولا بد ان راصديها كانوا على الارض العالية الواقعة يسارنا . فقابلنا نار العدو بمثلها . وانقضت علينا طائرات القصف الحر ، ففقدت اثنتين من احسن عجلاتي . وأعدنا التجحفل عندما جاءنا أمر الكتيبة يقول « استمروا على المسير » .

وتابعت سريتي مسيرها مسرعة نحو الشمال وهي على بعد ميل او ميلين في الامام ، فهاجمتنا طائرات قصف الخر مرة أخرى في حين ان طائرات أخرى كانت تطير بارتفاع واطيء لم تتحرش بنا .

ومررنا بزنجي امريكي ميت على الطريق . وكان عاريا ، ومن المؤكد ان العرب نزعوا ملابسه .

وأرسلت الطرف بعيداً فلمحت دبابات تتحرك شمالا . ولا بد انها امريكية وكانت خريطتي تشير الى اننا نقترب من (فيريانة) . وقد تحقق فعلا . فبعد ان قطعنا ميلا او ميلين انحدر الطريق الى واد فصرت أرى بيوتاً في اسفله . واسرعنا في نزول المنحدر فوصلنا ضواحي القرية بينما كان ذيل رتلنا موازيا الذروة التي خلفنا . وبدأت المدافع التي في القرية تقصف ذيل الرتل . وحالما قفزنا انصبت علينا نيران البندقيات من البيوت القريبة ، فقابلنا ذلك برش القرية بنيران الرشاشات لعدم وجود اهداف فردية معينة لنرمي عليها . وترجل باقي الفوج بسرعة وتقدمنا على جبهة واسعة بأسلوب المشاة . ثم توقف الرمي وتدفق من البيوت عـــدد من العرب رجالا ونساء واطفالا وهم يلوحون بأيديهم ويهتفون بالاهازيج الكاذبة التي يتلقى بها هؤلاء القوم دوما اية قطعات ظافرة على مايظهر . وميزني شيخهم كضابط آمر فركض نحوي بيدين مفتوحتين وتمتم بعبارات التحية . إلا ان يدي اليمنى كانت على مسدسي احتياطاً للطوارىء . وتسكع نحوي محاولا تقبيل يدي ، ولما سحبتهما مشمئزاً حبا على ركبتيه وقبل حذائي .

وكان هم العرب ان يبرهنوا على انهم موالون لنا ، ولكنهم كانوا بلا

شك مع الامريكيين قبل دقائق قليلة . وقد اشروا انا على حقل الالغام وانذرونا بأن المدفعية الامريكية انسحبت قبل حين وقالوا ان عدداً من الدبابات الثقيلة لازال على الجانب البعيد من القرية . وكان حقل الالغام قد زرع حديثاً وقد دل التراب الجديد على محل كل لغم بوضوح .

واخترنا طريقنا بين الالغام بحذر ، وكان جنود الهندسة خلفنا يؤشرون الطريق للمدفعية الآتية وراءنا .

وفيما وراء حقل الالغام بدأ الطريق يرتفع ثانية وبينما كنت استدير في عطفة حادة رأيت دبابة (شيرمان) على الطريق ضمن مدى الهجوم فادرت السكان ، وهو في يدى السائق ، فاستدارت العجلة استدارة حادة نحو الجانب الأيسر من الطريق . وفهم الاشارة بسرعة القداحون الذين كانوا مع المدفع السائر خلفي مباشرة . وفي بضعة ثوان قفزوا من مقاعدهم وفصلوا المدفع عن جرارته فاداروه نحو جهـــة الدبابة ورموا الاطلاقة الاولى ، بينما كانت الدبابة الامريكية واقفة لاتبدى حراكا . وكانت فوهة مدفعها مصوبة نحو رابيـة في نصف اليمين منا . فاصابت قنبلتنا الأولى الدبابة فى زاوية جناحها فالتهبت فيها النار .

وتابعنا المسير الى الامام وسرعان ماجوبهنا بنيران الدبابات والرشاشات المنفتحة على جانبي الطريق . وبعد ان ارسلت ساعيا الى (مير) مبينا له الموقف ، فتحت سريتي تحت ستر مدافعنا ضد الدبابات للهجوم على المرتفع الواقع يميننا فوصلنا القمـة بخسائر قليلة . وفي الوقت نفسه تحركت السرية الاخرى بقيادة الملازم الاول (بوخهولتز) نحو المرتفعات التي في اليسار ثم تابعت تقدمها .

واستمر القتال ساعة واحدة ثم ارتفعت اعمدة كثيفة من الدخان الاسود واعقبتها انفجارات حدثت بلا شك في كدس عتاد ، وقطعت دبابات العدو نارها فاستأنفنا التقـدم مسرعين الخطى ورأينا الدبابات المتراجعة التي كانت تؤلف ذيل قوة العدو القائمة بقتال التعويق .

ولم يتيسر الوقت للنهب او اللهو في (فيريانه) فخصصت مفرزة لانقاذ ما يمكن انقاذه من الوقود المشتعل والعتاد ومستودعات التموين وتحركنا بسرعة نحو المطار القريب في (ثليجة) حيث بدأنا نقدر نتائج التعرض الجديد . فلقد ترك العدو هنا ستين طائرة غير صالحة وحطم كثيراً منها قبل ان ينسحب كما اتلف مقادير كبيرة من المدخرات .

وقضينا الليلة في مواضع دفاعية شمال المطار ، فتلقينا قبل طلوع النهار اوامر تقضي بالاندفاع شمالا . ولم نجابه في بادئ الامر مقاومة البتة ثم صادفنا دبابات منفردة (من الفرقة الامريكية المدرعة الاولى) في السهل غرب سلسلة الجبال التي كانت تشرف علينـا من اليمين . وقـد فسر احد تقارير الموقف الصـادرة من قيادة اعلى سبب ذلك اذ ذكر « تنسحب فرقة الدبابات الأمريكية الأولى بعد خسائر فادحـة نحو (طبسة) وقـد وصل الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) منطقـة جبل (ليسودة) . »

وفي منتصف تلك الليلة (١٦ / ١٧ شباط) هاجمت دباباتنا (سبيتلة) ثانية وبعد قتال عنيف شقت طريقها الى المدينة في الصباح . وتراجعت الفرقة الامريكية المدرعة غرباً ثم سحبت الى الاحتياط جنوب شرق (طبسة) لاعادة التشكيل . وقد اقلق الفشل الامريكي الفريق (اندرسون) القائد البريطاني لدرجة انه اوقف لواءاً مدرعاً بريطانياً كان

في طريقه الى الخلف ليبدل دباباته الـ (كروسيدر) القديمة بدبابات (شيرمان) الحديثة ، فأرسله بدباباته القديمة مع بعض دبابات (شيرمان) (التي ساقها لفيف من النوتية البريطانيين) ليقوى الامريكيين .

وفي ١٨ منه اوقف رومل قوته السيارة التي اصبحت الآن متحشدة تحشداً تاما لاعادة التجحفل والتموين . وكان قد احدث نتوءاً عميقاً في الخط (الانكليزي — الامريكي) ، وصار في وسعه ان يحيط جناح العدو الى مسافة أكثر بالتقدم على الطرق الثلاثة المختلفة من (قصرين) ومن (سبيتلة) و (سبيبة) ومن (فيريانة) المؤدية نحو (طبسة) .

وعلمنا فيما بعد ان قوات العدو قد اصابها الاضطراب . وكان الفريق الكسندر قد طار من طرابلس الى الجزائر يوم ١٥ شباط ناويا استلام القيادة بعد خمسة أيام لكنه اضطر ان يذهب الى الجبهة على عجل ويستلم القيادة بنفسه حالا . فوجد الموقف احرج مما كان يتوقع كما كتب عن ذلك فيما بعد . وكانت القطعات الامريكية والافرنسية والبريطانية قد اختلط حابلها بنابلها خلال الفوضى الناجمة عن الانسحاب . ولم تكن ثمة خطة منسقة للدفاع وكانت القطعات تتخبط في معرفة القيادة المسئولة عنها . واضطر الكسندر في اول مضيق جبلي زاره — وهو مضيق (دريانة) الكائن فوق فريانة على طريق (طبسة) ان يعين حالا اقدم ضابط امريكي كآمر مسئول عن ذلك القاطع وان يأمره بوجوب الاحتفاظ بالارض التي فيها حتى النفس الاخير .

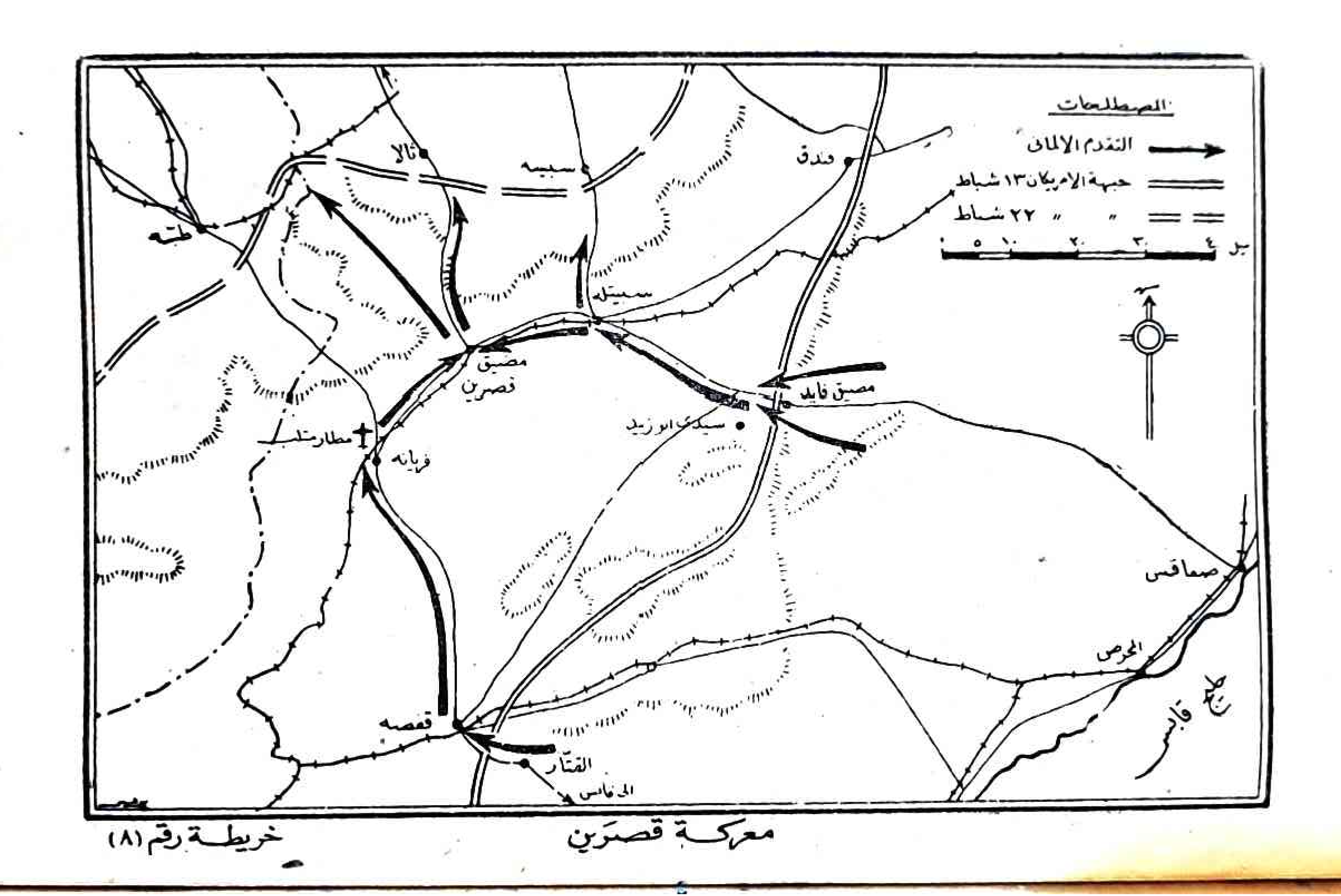
أجل كان رومل قد خلق الفوضى في صفوف الحلفاء على طريقته الخاصة . وكنت اينما اسوق اعثر على مجموعات منعزلة من المشاة

الامريكيين الذين كانوا مختبئين بين الصخور وبين شجيرات السفوح الجبلية . وكانت نقليتهم قد حشرت بعيدة عنهم في الوديان . وقد وقع عدد لا يستهان به من سيارات الجيب والعجلات في ايدينا وكانت كلها جديدة وجميعها مجهزاً تجهيزاً جيداً الأمر الذي أثار دهشتنا .

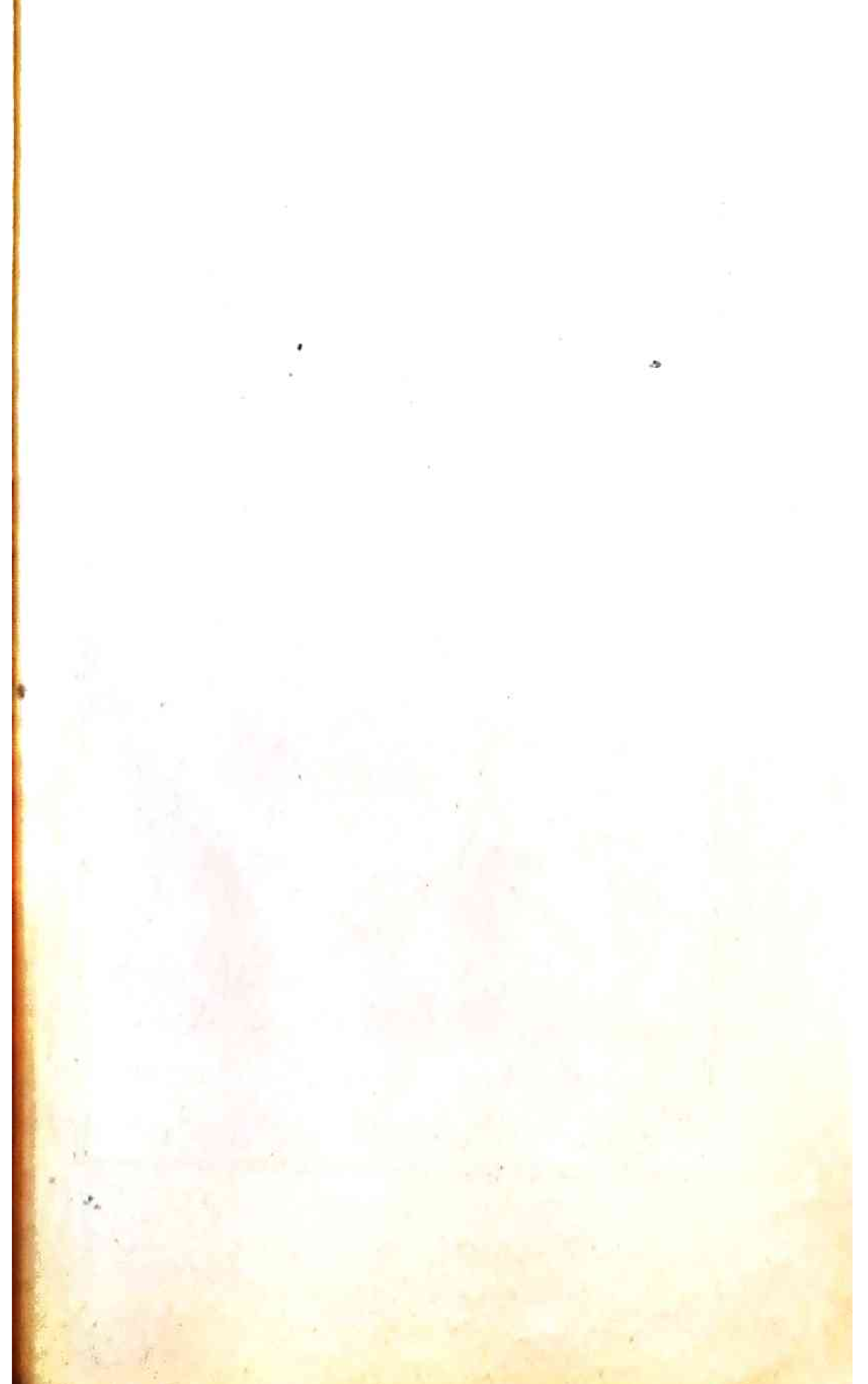
وحاولت أن اتحدث مع بعض الامريكيين الذين اسرناهم . ولشد ما بوغت عندما علمت انهم بولنديون — وهم اولادالمهاجرين الذين رحلوا من اوربا الى الولايات المتحدة . وكنت قد ارسلت كشافا — وهو نمساوي كبير السن — الى واد عميق ليخبرني فيما اذا كانت فيه جماعات منعزلة من الامريكيين . فعاد مسرعا الخطى وهو يقول :

« ياحضرة الملازم الأول : توجد دبابات معادية في الوادي »

فاخترقنا الوادي بحذر بمدافع ضد الدبابات . فاذا بنا نرى حقا بعض العجلات الشبيهة بالدبابات على المرتفع حيث تبدأ الشجيرات . وكانت هذه تحاول الوصول الى الشجيرات الواقعة في بطن الوادي لتحتمي بها . على ان هذه العجلات لم تكن دبابات بل كانت حاملات قطعات مدرعة ونصف مدرعة ومجهزة بمدافع ذات عيار صغير ففتحنا عليها النار فترك السواقون عجلاتهم حالا واستتروا بالشجيرات . فتسابقنا في التقدم نحوها واستولينا على جميعها (وكان عددها ستا) وقد وقع في ايدينا أيضا احد السواقين . وكانت هذه العجلات الست كتقوية سارة لسريتي اذ سبق ان فقدت ستا من عجلاتي من جراء هجمات العدو . واذن فقد استرجعنا ديننا الآن .



خريطة رقم (٨) معركة قصرين



الباب الثامن والثلاثون

مضيق (قصرين)

انحدر الطريق تدريجيا فاستدار نحو اليسار ثم صارت تبدو في الامام ظاهرة بارزة — كانت هذه مضيق (قصرين) . ولم أكد اصل العطفة إلا وجاءني أمر من الكتيبة ان : « اهجم على مضيق قصرين — الفوج الاول يسار الطريق والفوج الثاني يمينه ، استفد الى اقصى ما يمكن من الآليات — مقر الكتيبة — البيت الاول شمال عطفة الطريق » . وكان هذا أمر الهجوم كله .

وكان (بوخهولتز) قد استلم الامر من قبل فكانت سريته تنفتح باستقامة الارض العالية في اليمين ، فاتخذت سريتي تشكيل القتال في دقائق قليلة واندفعنا بسرعة جنونية خلال احد المروج ثم مررنا من بين الاخاديد والصخور متجهين نحو التل المسيطر على الممر الكائن في اليمين.

وصبت علينا مدفعية العدو الموجهة توجيهاً جيداً قنابلها ، إلا أننا هجمنا تحت وابل القنابل بفاصلات واسعة بين العجلات فاصيبت عجلة واحدة فقط وتسابقت العجلات الباقية الى أسفل السفح غير ان وادياً عميقاً اعترض طريق تقدمنا فاضطررنا للنزول من العجلات وقفز الجنود منها بأسلحتهم واستدارت العجلات الى الخلف الى حيث الستر .

وشققنا طريقنا الى أعلى في سفح وعر مستفيدين من كل صخرة وطية في الارض للحماية من مدفعية الامريكيين وأسلحة مشاتهم ، وسرعان ما تسلقنا زاحفين الى ارتفاع مواز لسرية (بوخهواتز) التي كان في وسعنا ان نراها على الجبل الواقع يسارنا عبر الطريق . واني لأذكر كيف ان فكرة غامضة خامرتني وهي ان جناحي الايمن كان مفتوحاً . وتلمسنا طريقنا الى أعلى فأعلى باتجاه ذروة الجبل ونحن نتصبب عرقا .

وكانت القمة نفسها مرتفعاً من الصخور ذا انحدار شديد . وقد مسكت صخرة وسحبت نفسي الى أعلى . وحالما بلغ رأسي أعلى القمة مرت صلية من نار رشاشة بالقرب من اذني فامتددت حالا . وفكرت في أنه لا بد للامريكيين موضع رشاشة على مسافة قريبة امامنا (تقدر بثلاثين ياردة على اكثر احتمال) .

ووقفت تحت صخرة ناتئة برهة من الزمن مع قليل من جنودي لأخمن موضع العدو ولكي أشرب قليلا من الماء من زمزميتي ووصلت حضيرتا اللاسلكي . فأخبرت مقر الكتيبة عن موقفي بسرعة .

والى يساري وصل الملازم (بيكر) أحد آمري الرعائل الى الذروة أيضا ، وكان في موقع ممتاز لرمي النار الجانبية وقد اجبر جنود رشاشة العدو على ترك موضعهم الذي كان أمامي ثم انصبت علينا من العليقة التي في جناحنا الايمن المفتوح نار متفرقة . غير اننا كنا في الواقع قد بلغنا هدفنا الأول — وهو المرتفعات .

وكنا من موضع (بيكر) نستطيع أن نرصد جميع الوادي خلف مضيق (قصرين) . وكان الطريق الرئيسي يمر من الوادي فيؤدي الى المضيق الكائن في يسارنا .

وكانت عجلات الامريكيين تمر صاعدة هابطة في سيل مستمر . وافترضنا ان العجلات التي تأتي صاعدة كانت تحمل الذخائر والتقويات . وها نحن هنا فوق الامريكيين نرى جميع اقسام جبهتهم فكأننا نتفرج على مناورات جيش من الاقزام . ان الجنود والعجلات والمدافع تترآى صغيرة تحتنا وتبدو غير ضارة .

وجاء خبر الى حضيرتنا اللاسلكية يفيد : « ان دباباتنا ستهاجم المضيق » فانتظرنا بشوق أخباراً اخرى ثم زحفت دمدمة المعركة ودويها الى أعلى الجبل باتجاهنا إذ كان الامريكيون يصبون ناراً دفاعية شديدة ضد قوتنا الهاجمة .

« فشل الهجوم » يا إلهي انه خبر جديد جاءنا باللاسلكي . لكنني لسبب ما لم اهتم بهـذا الخبر الرئيسي كما اهتممت بخبر ثانوي آخر أفاد بأن (مير) قـــد قام بالهجوم لاسناد الدبابات مستفيداً من عجلاتي الامريكية الست نصف المسرفة التي سبق ان أسرناها وانه اضاعهـا جميعا ماعدا عجلة واحدة .

وبينما كنت استلم هذا الخبر كان (بيكر) يدرس بناظوره الطريق المار على مسافة بعيدة تحتنا . فنبهني بغتة الى فكرة . لقد كان هذا ضابطا

حديثا التحق بنا فى افريقيا في نهاية معارك الصحراء والانسحاب الطويل غير اني عرفت مقدما انه ضابط مقتدر وصاحب أفكار جيدة . فأشار علي قائلا : « يا حضرة الملازم الاول » — هل ترى ذلك الجسر الصغير على الطريق المار تحتنا ؟ اذا استطعنا أن نصل اليه وتمكنا ان نبقى هناك فسنقطع المواصلات الامريكية من الخلف . فدرست الارض وقلت : « انها خطة جريئة يا (بيكر) » . أجل انها جريئة ولكنها ممكنة . دعنا نذهب .



الباب التاسع والثلاثون

الجسر والرجل صمه (بروكلن)

جمعت بسرعة فصيل صولة من ثلاثة ضباط وواحد وعشرين جنديا مسلحين بالاسلحة الاوتوماتيكية . وحملنا اكثر ما نستطيع من العتاد ثم زحفنا تحت ستر الشجيرات الى اقرب اخدود .

وانتهت الشجيرات فقفزت الى اخدود يابس يمتد الى اسفل السفح يتبعني الآخرون ، وزحفنا مستترين بالاخدود الى بضعة مئات من الياردات ، ثم استوى المنخفض ، فخشيت ان نظهر بغتة في ارض مكشوفة لكننا رأينا لحسن الحظ تجويفا آخر على بعد نحو (٢٠) ياردة . ومع ان المسافة كانت قليلة فانها كانت خطرة لأن الارض كانت مكشوفة تماما لا شيء فيهـا نستتر فيه حتى ولا شجيرة واحدة . فاذا كانت ثمة عين تراقب هذه الارض فلابد وانها سترانا ، واصدرت امري « تقدم منفردا » فاندفع الملازم (ايبنيشلر) أولا مع سلاح اوتوماتيكي ، ثم تسربنا الواحد بعد الآخر عبر هذه الفترة . والغريب اننا قمنا بهـذه المجازفة دون ان يشاهدنا العدو على ما يظهر ، إذ لم تطلق علينا اطلاقة واحدة . فهـل اخطأ العدو يا ترى فظن اننا قطعات حليفة لقرب مسافتنا ؟ أو ربمـا لم يتوقع العدو ان يرانا في هذا الجانب من الحاجز الجبلي .

ثم بدأت الشمس في المغيب . ففكرت انه يجب علينا ان نعمل حالا اذا اردنا ان ننجح في خطتنا ، ويجب ان نحتل الجسر .

واستمر الحظ يساعدنا . فالاخدود الذي كنا فيه يؤدي رأساً الى الوادي الذي يقطعه الجسر ، ولم يكن هذا جسراً في الواقع بـل قنطرة ذات قوسين يزيد ارتفاعها على الستة اقدام بقليل وطولها نحو اثني عشر قدما ، ووصلنا الى الجسر فتنفسنا الصعـداء مرة اخرى . ووضعت رشاشتين على كل من جانبي الطريق التقربي المؤدي الى الوادي والجسر وكانتا متجهتين نحو خلف العدو .

وحل الظلام على الوادي بغتة ثم اقتربت بعد دقائق قليلة عجلة من منطقة العدو الخلفية ، وبينما كانت تتدحرج نحو الجسر حاولنا ان نوقفها فقللت من سرعتها إلا ان جنودها عرفوا بأننا المان . فرمى أحدهم علينا من وضع الوقوف ، وأسرعت العجلة في سيرها وشقت طريقها عبر الجسر قبل ان نتنبه من هذه المباغتة .

وكان ذلك درسا لنا . فتصرفنا بحكمة اكثر عندما سمعنا العجلة الثانية وهي تلعلع قادمـة نحونا ، وكانت تلوح بشكل غامض في الظلام الدامس . وجاءت نحونا بسرعة وعندما اقتربت منا صبت عليهـا النار كلتا الرشاشتين من جانبي الطريق فانحرفت عن الطريق وانقلبت . فوثب احد جنودي فاسر من كان فيها - وهم اربعة جنود اثنان منهم مجروحان ، وكانت اصابة احدهما شديدة فدثرناه بالبطانيات واخذناه مع الاسرى الثلاثة الآخرين الى حيث الظلام والامان في الوادي المار تحت الجسر .

على ان نار رشاشاتنا كشفت وجودنا . ففتح جنود المشاة الامريكيون في مكان ما في الوادي نيرانا منفردة من بنادقهم باتجاه الطريق العـام . فارسلت ثلاثة جنود مع ضابط صف للاستطلاع .

فعاد احد جنود الدورية وهو يلهث وقال لي بسكون وبسرعة « جماعة من الجنود الامريكيين تقترب منا ـ وهم قريبون جداً » .

وبعد دقائق قليلة كان ستة من جنود البندقيات الامريكين يعبرون الجسر . وما كادوا يصلون وسطه إلا واسرناهم برمشة عين . فقدوثب عليهم جنودي من كلا الجانبين بغتة وسمروهم في مكانهم قبل ان يتسع لهم الوقت ليفعلوا شيئا ما .

وبعد ثوان سمعنا صوت عجلة اخرى قادمة ـ فاستترنا مسرعين وحالما اقتربت العجلة الى الجسر وجهنا عليها الرشاشتين ، فكان من بين اسرانا في هذه المرة ثلاثة ضباط واحتفظنا بالضباط الاسرى تحت احد قوسي الجسر حيث ترابط جماعتي الصغيرة من الاحتياط . اما المراتب الامريكيون فاحتفظنا بهم تحت القوس الثاني ووضعنا عليهم حرسا وبالاستفادة من العجلتين العاطلتين أمرت جنودي بأن ينشئوا مانعا مرتجلا على الطريق فوق الجسر ، وقد اصطدمت عدة عجلات امريكية اخرى بهذا المانع فابطأت سرعتها ثم وقفت فأسرنا جنودها دون ان نرمي اطلاقة واحدة .

ولا زالت لدي دورية في الخارج . فعاد أحد جنودها لاهثا وهو يتنفس بشدة : « يا حضرة الملازم الاول ـ لقد سقط الباقون . . . إذ بينما كنا نستدير في عطفة في الوادي وجدنا انفسنا امام الامريكيين وجها لوجه ، ولابد انهم رأونا قادمين ، وقبل ان نتمكن من ان نفعل شيئا رمونا بغدارات ستين . . . وكنت خلف رفاقي الآخرين قليلا فتملصت . . . »

فارسلت اعداد رشاشة اخرى إلى حيث المنعطف فى الوادي لحماية جناحنا .

٢

وبدأ احد الضباط الاسرى يتكلم ، وكانت (انكليزيتي) ضعيفة فلم أتمكن من ان افهمه إلا بصعوبة فأدركت انه كان يسأل فيما اذا كنت الضابط الآمر . ثم قادني الى جنديين تحت الجسر مجروحين جرحا شديداً ، وكان يرى انه ينبغي الاعتناء بهما اكثر من ذلك . غير ان الجندي الطبي الذي يرافقنا قد سبق له ان فعل كل ما في وسعه ، وكان احدهما مصابا في رأسه ـ فكان يتأوه . ما ارهق على المرء ان يسمع تأوهات هذا الجندي الفاقد شعوره تحت هذا الجسر في ظلام تونس ! انه قنطرة من السمنت المسلح لا قيمة لها . . . ومع ذلك فقد كان يموت بسببه في ليل افريقيا رجال يبذلون شجاعة خارقة وتتحطم جماجمهم بقطع صغيرة من المعدن القاتل .

وعدت الى مكاني في الظلام بهدوء فتكلم معي ضابط أسير آخر وقدم نفسه قائلا (الرئيس سمث) وهو كأي اسم حسن آخر فكرت فيه في هذه الظروف . ثم قال بتحفظ « ان سيارتي قريبة خلف السيارات المحطمة التي انشأتم منها المانع — وهي في حفرة بجانب الطريق — وبما انه ليست معي ماكنة حلاقة ولا فرشة اسنان فأرجو ان تسمح لي بجلبهما منها .

من المحتمل ان سيارته كانت لاتبعد اكثر من عشرين خطوة إلا ان الليلة كانت مظلمة وجنود المشاة الامريكيين على مقربة منا ، فاشتبهت

ان (سمث) يحاول ان يجد له فرصة للهروب واذا ماهرب فسيعود الينا على رأس تقويات امريكية لكي تنقض علينا فقلت له بلطف :

« لاتقلق ايها الرئيس (سمث) فلدي ماكنة حلاقة جديدة في حقيبتي وفي وسعي ان اعطيك ايضا فرشة اسنان جـديدة » ولا ادري فيما اذا كان قد ابتسم في الظلام لعدم تصديقه لما قلته ، لكنني قلت له الحقيقة . فقد وجدت في سيارة (الجيب) التي استولينا عليها والتي كنت اركبها خلال اليومين الماضيين طاقما جديداً من ادوات الحلاقة والزينة ـ وهو بلا شك هدية من امرأة مشتاقة في الولايات المتحدة . فهل تصورت قط عندما اهدته الى زوجها بأنني ـــ وأنا العدو ـــ سأستعمله في يوم من الأيام ؟

وكان أحد الاسرى ملازما واخف من (سمث) روحا . فتحدثنا بطريقة مسرة غريبة عن امورنا الخاصة تحت جسر (قصرين) هذا . فأمر الى انه من (بروكلن) وانه يسكن هناك مع زوجته وطفليه . فتمكنت ان أقول له (بانكليزيتي) الضعيفة : « انها مدينـة رائعة ـ احب ان أراها يوما ما »

فأجابني بشيء من السخرية :

« ربما يمكن تدبير ذلك قريبا »

ففهمت مايعنيه وحدت عن الجواب فقلت « اظن اننا سنحتاج الى بعض الوقت لنكسب الحرب ... » فضحكنا معا .

وسألني من اين جئت ؟ وهل انت متزوج ؟ . فأجبتـه على سؤاله واذكر اننا تحدثنا عن الحرب فقـال أحدنا انها تدبير فظيع ولا ضرورة لها .

ثم اخبرته انني ولدت في (ناتال) وان اختي ولدت في (نيوجرسي) في الولايات المتحدة . فقال انه يعرف (نيوجرسي) وقطع حديثنا زنزنة جهاز اللاسلكي — كان ذلك مقر الكتيبة — وقد اراد المقران يعرف موقعي بالضبط . فعينته له بأدق ما استطيع من خريطتي . فلم يمض وقت طويل على ذلك إلا وطلب المقر المعلومات نفسها ثانية مؤكداً بأن احداثيات الخريطة التي ذكرتها لا يمكن أن تكون صحيحة . فكررت الارقام التي قلتها من قبل .

وعلى الرغم من مخابراتي معهم فانهم لم يدركوا بوضوح اننا قطعنا الطريق وراء (قصرين) .

ومضت نصف ساعة منذ ان اصطدمت السيارة الاخيرة بالمانع الذي أقمناه على الطريق . فصرت الآن اسمع قرقرة عن بعد باتجاه الشمال . وبدأت الارض تهتز قليلا فاشتبهت وتساقت من الوادي الى اعلى الجرف فسمعت في العراء بوضوح صوت محركات تدوي في المكان الذي علمنا ان الامريكيين يرابطون فيه . فلا شك انها دبابات العدو . فأمرت رامي اقرب رشاشة قائلا :

« اذا تقدمت الدبابات على الجسر لا ترم دعها تمر »

« أمركم يا سيدي الملازم الاول »

ثم صارت قرقرة المحركات وقعقعة الرفات تزداد وضوحا ، ولاحت دبابة على الطريق وقد بدا لي مرتسمها — وأنا احدق اليها من حافة الوادي — جسما على صفحة السماء ذات النجوم التي كانت وراءها . وكان باب برجها مفتوحا وآمرها واقفا بصورة مكشوفة ينظر يمنة

ويسرة . ثم توقفت الدبابة ، ورن صوت يقول « لم هـــذا المانع على الطريق ؟ » فلم يحصل آمر الدبابة على جواب . وكان جنودي قدوضعوا افراد المسدسات على ضلوع الاسرى تحت الجسر وتكلم آمر الدبابة بسرعة الى سائقه . فاندفعت الدبابة الى الامام طارحة العجلات المحطمة على احد الجوانب .

ثم رمت احدى رشاشتينا صلية على برج الدبابة مباشرة . يا للعنة ! لقد نسيت ان اتأكـد من وصول امري الى الرشاشة التي في الجانب الآخر من الوادي . وها هو ذا راميها يرمى على دبابة شيرمان كأنها لحم قطة بالنسبة لرشاشة . فاختفى آمر الدبابة في برجه كما يختفي الارنب في حفرته ، ورشت الدبابة نارها رشا جنونياً . وحينما بدأ الرمي انحدرنا الى اسفل الجرف واندفعنا تحت الجسر حيث لا تستطيع الدبابة ان تصيبنا . وزحفت الدبابة الثقيلة على الجسر فوق رؤوسنا وهي ترعد . انهـا مرت لكن الدوي لازال مستمراً ثم اعقب ذلك ثانية قعقعة الرعد وصرير السرفات وجلجلتها ورمى مدفع ورشاشات وصحب ذلك اهتزاز الأرض . لقد مرت دبابة أخرى على الجسر وتلتها ثالثة فرابعة ثم مرت الخامسة فكانت الأخيرة .

وقد زحفت جميعها نحو المضيق ثم انحرفت يمينا في الاتجاه التقريبي الذي خمنت وجود المشاة الامريكيين فيه فصرت عندئذ اخشى ان ترمينا بنارها الجانبية ونحن تحت الجسر فنكون واسرانا في وضع حرج . غير اننا بقينا في مـــكاننا دون ازعاج وانقطع الدوى . فهل ذهبت الدبابات باتجاه جبهة العدو المهددة ياترى ؟ ام انها وقفت على مقربة منا لانها علمت من المشاة ان العدو واسراهم الأمريكيين مختبئون تحت الجسر ؟

فحدثت نفسي ثانية : ياهذه الحرب من لعبة مستهجنة عقيمة !
وتخيلت اني لا ازال ارى اشكال الدبابات المنفردة في الظلام البعيدة فاذا تركت الجسر الان فستقضي علينا الدبابات باسلحتها الجبارة لذلك فان الشيء الوحيد الذي يجب ان نفعله هو ان نظل تحت الجسر حتى تبتعد الدبابات عنا ابتعاداً تاما . . ولكن لا بد وان هذه ستعود فتعبر الجسر ثانية . افلا يحتمل ان تعود مع المشاة للقضاء علينا ؟ اوأليس من المحتمل ان ترمي على حفرتنا قنابل يدوية من ابراجها من كلا جانبي الجسر ؟ . . وها انذا بدون مدافعي المعهودة ضد الدبابات وليست لدى قنابل لافلاق سرفات الدبابات ولا حشوات تخريب لنسف الجسر . ثم قد يكون من الضروري بقاء هذا الجسر سالما لنا .. وكانت الساعة التالية ساعة قلق . وقدم لي الملازم الامريكي من (بروكلن) علكا وسيكارة . انني لا ادخن إلا نادراً . لكنني شعرت ان السيكارة قد تريحني . وبدا لي ان احتمال رؤية (بروكلن) او بعض انحاء امريكا على الاقل لم يعد بعيداً جداً حتى قبل انتهاء الحرب . فقلت لنفسي :

في الحقيقة ان كل ما كنت اريد ان افعله بعد تخرجي هو الذهاب الى افريقيا الشرقية للفلاحة ولاشك انني اريد ان ارى امريكا يوماً ما ولكن ليس بهذه الطريقة - أجل ليس بهذه الطريقة . اوه ! ياللعنة ، لماذا لم يتركني العالم لأتم دراستي واذهب الى افريقيا الشرقية للفلاحة ؟

وصرت اشعر بأن الرئيس والملازم الأمريكيين يراقباني بانتباه . فتصنعت الهدوء التام واخذت نفساً عميقاً من السيكارة متظاهراً بانني اتمتع بذلك كمدخن اعتاد التدخين ... وفكرت بارسال دورية صغيرة ،

فاذا كانت الدبابات قد ولت فيجب ان اعود على الطريق الذي جئت به آخذاً معي هؤلاء الاسرى .

وسألني الملازم الأمريكي وهو يقترب مني « ماذا يحدث الآن يا صاح ؟ » فهززت كتفي متظاهراً بعدم المبالاة واجبت باختصار « انتظر » ثم عدنا توا الى حديثنا الشخصي الذي كاد ان يكون من دون غرض . وكنا في موقف غريب ، فلم يكن الامريكي او الالماني يعلم ايهما سيكون الأسير في صباح اليوم التالي . ولذا فقد كان كلا الطرفين وديين ومطمئنين ثم سمعنا دوي الدبابات مرة اخرى ، في هذه المرة من جهة (قصرين) فرمق بعضنا بعضا بصمت وامتدت الايدي الى غدارات تومي . وهبط اعداد الرشاشتين الى الستر في الوادي . وفتحت الدبابات النار على الجسر عن بعد فمرت قنابل مدافعها وهي تدوي وتساقطت على الجرف . واهتزت الارض تحت اقدامنا مرة أخرى وسمعنا صرير السرفات وزعيقها ، ثم الرعد فوق رؤوسنا .

واحد ، اثنين ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة .

فمرت الدبابات وتابعت مسيرها وزحف اعداد الرشاشتين الى مواضعهم . ثم تلاشى دوى محركات الدبابات في البعيد كاصوات المزامير غير الموزونة .

وتبادلت انا والأمريكيون النظرات ودمدم الملازم الآتي من (بروكلن) قائلا « خذ قطعة من العلك يا صاح ! »

٣

لقد ايقنت انه حينما ستخبر الدبابات عنا قيادة اعلى فان التدابير ستتخذ ضدنا . فيجب ان نبتعد عن هذا الجسر بسرعة .

واصدت الاوامر العالية «الملازم (ايبنيشلر) مع قليل من الجنود يتقدموننا

الملازم (بيكر) يؤلف مؤخرة صغيرة » .

فتهيأ الجنود . ولكن كان علينا اولا ان نريح الجرحى اكثر ما يمكن . فالتفت الى الجماعة الصغيرة من الضباط الأمريكيين وحاولت ان أقول لهم (بانكليزيتي) الضعيفة « ايها السادة في وسع احدكم - مع جندي مضمد - ان يبقى مع الاسرى ولكن عليه ان يعاهدني بشرفه انه سوف لا يتخذ اية تدابير فورية ضدنا ولا يتتبعنا قبل مضي ساعة على بدء حركتنا فهل انتم موافقون ؟ ».

فاستمعوا بإمعان وهزوا رؤوسهم دلالة على الموافقة الصامتة .

وتركت لهم الخيار ليقرروا ايهم سيبقى ، فاقترعوا بينهم برمي قطعة من النقود الى فوق (١) . وكان الرمية الاخيرة بين الرئيس (سمث) والملازم من (بروكان) . فاهتممت عندئذ في الموضوع ايضا . ودارت قطعة النقود في الظلام مرة اخرى ثم سقطت على الارض ، وفي بصيص من النور شوهدت انها (طرة) . وكان ملازم (بروكلن) هو الذي نادى (طره) . واذن فهو الذي سيبقى وسوف لا يكون اسيراً لدي . وقد سررت بذلك .

وقال الرئيس وهو منكسر الخاطر قليلا « اذن فانا ذاهب معكم . فما رأيكم حول اخذ ماكنة الحلاقة وفرشة الاسنان اللتين في السيارة ؟ »

فقلت له « لا تقلق ، سأزودك بما تحتاج اليه بعد ما نعود الى خطوطنا » .

---

(١) وهي الطريقة التي يطلق عليها العامية (طرة وكتبة) .

وذهب (ايبنبشلر) وجنوده الى الامام بسكون فتبعتهم مع جنودي وعندما تركنا المشي تحت القنطرة نادى الملازم من (بروكلن) يهمس ضاحكا : مع السلامة يا صاح - سأراك في برلين ! » .

ولم تكن سخريته لتبعث على الاشمئزاز . فاجبته بصوت منخفض: مع السلامة - والى اللقاء في (بروكلن) عندما تنتهي الحرب ! » ثم لوحت بيدي ورحت اتسلق الى اعلى الجرف مع جنودي والاسرى . وتسلقنا بحذر الى ذروة الجبل المشرف على (قصرين) ثم انحدرنا مسافة طويلة الى حيث مواضعنا . وعدت الى مقر الفوج ، فسلمت الاسرى الامريكيين . ثم انبطحت على الارض مسروراً ونمت مع جنودي .

وعند ما استيقظت كانت تباشير الفجر قد لاحت في السماء وكان الاسرى قد سبق ان ارسلوا بسرعة الى حيث يستنطقون ، ثم الى قفص الاسرى الموقت . وهكذا فلم اتمكن من ان ازود الرئيس (سمث) ماكنه حلاقة وفرشة اسنان .

وبدأ النهار يطلع . فجاء مع النهار امر لهجوم جديد .

الباب الاربعون

امريكيومه في الضباب

دعني أتجنب الوصف الطويل للتطورات السوقية فأترك الكلام للفريق (الكسندر) ليقول لك الحكاية في بلاغه المختصر :

« في ١٩ شباط قام العدو بهجمات استطلاعية ضد الطرق الثلاثة كلها محاولا ان يكشف أيها أسهل للهجوم . وكان مركز ثقله الرئيسي في اليمين ضد (سبيبه) ، وقد جرى الهجوم على المضيق الواقع فوق (قصرين) بنحو فوج مشاة فقط . اما القوة التي سبرت غور مضيق (درنايه) فوق (فريانه) وعلى طريق (طبسه) فلم تكن غير قوة استطلاعية صغيرة . وفي جنوب (سبيبه) صمد لواء الحرس الاول في مواضعه وصد العدو ، غير ان الهجوم في مضيق (قصرين) لقي نجاحا وبدأ العدو يتسلل عبر المواضع الامريكية . وعلى هذا عزز العدو في اليوم الثاني (٢٠ منه) هذا الاندفاع وصرف النظر عن الهجومين الآخرين وقد تم تطهير المضيق واستطاعت الفرقة المدرعة الـ (٢١) مع المشاة وبعض الدروع من مفرزة من فيلق افريقيا ان تندفع الى الحوض الكائن فيما وراء المضيق . وهنا وجد رومل نفسه امام طريقين . إذ بعد اجتياز المضيق يتشعب الطريق نحو الغرب والشمال . وسيؤدي به الاتجاه الاول الى (طبسه) التي هي قاعدتنا الجنوبية الرئيسية ومركز المطارات . »

٢

وراقبنا روميل بنفسه ، ونحن نقوم بالهجوم الجديد من نقطة عالية قرب مضيق (قصرين) .

ومع اننا كنا قد أخذنا الطريق المار عبر المضيق فقد قاومت المشاة والدبابات الامريكية بشدة تقدمنا نحو السهل الواقع وراء المضيق وأمر الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) ان يمهد السبيل للاندفاع الرئيسي على الطريق. فانفتحنا على طرفي الطريق . وكانت سريتا فوجي اللتان احتلتا المرتفعات الواقعة فوق المضيق مرابطتين يمين الطريق ، وكانت المرتفعـات التي قاتلنا عليها فوقنا وعن يميننا . فقد تسرب بعض المشاة الامريكيون عائدين الى أعلى السفوح وأسسوا عشي رشاشات كانت شوكة في جنبنا . وفتشت الطريق عن بعد في ناظوري باحثاً عن الجسر الذي كان مسرحاً لمجازفتنا الليلية خلف الخطوط الامريكية فلم أعثر عليه . وقررت انـه من المحتمل انه مخفي في طية من الارض . وقد شاهدت مرة دبابة (شيرمان) تتقدم على الطريق الآتي من مناطق العدو الخلفية وهي ترفع علما أبيض فلم نرم عليها ، فجمعت بعض الجرحى وعادت من حيث أتت فخمنت ان الجسر لابد وان يكون قريبا من النقطة التي استدارت فيهـا الدبابة .

ولم نتقدم الى الامام إلا بعد الظهر ، وكانت اوامر الحركات معقدة وقد استهدفت توحيد جهود الصنوف المختلفة . وكان واجبنا نحن المشاة تحطيم المقاومة مقدما . لكننا كنا قـد وعدنا باسناد الدبابات والمدفعية والطائرات .

ان تجاربي السابقة في الهجوم علمتني ان لا أعتمد اكثر من اللازم على الاسناد الموعود ولكن الحركة كلها في هذه المرة كانت منسقة بدقة تامة ، وقد تقدم خلفنا جحفل مدرع يقوده الرئيس (سلوتن) حسب الخطة الموضوعة ، وعندما صار بموازاتنا اطلقت قاذفات الدخان (التي وصلت حديثاً من المانيا) نيرانها الباصقة التي انبعثت تولول من افواهها الثمانيـة بشكل سد مؤثر زحف على مسافة قريبة امامنا . ثم اكتسحت طائرات (شتوكا) الجو فزادت في ثقـل القصف . واندفعنا الى الامام كالموج . فوجد المشاة الامريكيون أنفسهم امام موج هائل لا يستطيعون مقاومته بالنظر لقلة قوتهم فانسحبوا مسرعين الى السفح المنحدر المتكسر ذي الشجيرات الكثيفة الكائن وراءهم . وخرجت الدبابات الامريكية في نفس الوقت من مخبأ فولت هاربة قبل ان يقطع عليها طريق الرجعة وقد غرزت دبابتان منهـا في واد حينما انحدرنا اليه ، فتركهما نوتيتها ونجوا بأنفسهم .

وخيم الظلام علينا ونحن نتقدم إلا ان الطريق في الامام قد انفتح كما اراد رومل وقد جرى هجومه التمهيـدي الصغير حسب الخطة الموضوعة تماماً ، وبهذا الجو الملائم لاستثمار الفوز قرر رومل ان يندفع الى الامام بأشد ما يمكن من القوة .

٣

لقد اعطي بعدئذ للجحفل الخاص الـ (٢٨٨) واجب كبير مع انه كان صغيراً نسبيا . إذ كان علينـا ان نشق طريقنا ليلا باتجاه المواضع الامريكية في (طبسه) وان نخترقها اذا استطعنا الى ذلك سبيلا . وقال

رومل : انه يجب علينا ان نعوض عن نقص ذخائرنا بما لدينا من تجارب حربية ، وعلينا ان نستفيد من فرصة الاضطراب الذي سيصيب قوات العدو .

وجرى ذلك المسير الليلي خلال الظلام وقد اكتنفته المصاعب، إذ اصطدمنا بموانع عديدة وفقد فوجنا التماس مع الفوج الاول .

وعندما اوشك النهار أن يطلع وصلنا الى اسفل مرتفع متدرج . فتركنا عجلاتنا وتقدمنا مشيا على الاقدام . وانبثق الفجر ونحن نتسلق زاحفين كالقطط ، منحـــدراً مغطى بالحشائش . وقد اخفى الضباب الكثيف حركتنا .

ومسك الملازم (بيكر) فجأة ذراعي وكان يسير محاذيا لي . لقد حدثت فتحـة في الضباب فصرنا نرى اشخاصا آخرين يتسلقون سفح التل على مقربة منا . فقال (بيكر) :

« انهم امريكيون على ما اظن » .

فظننت ان (بيكر) على خطأ إذ يجب ان يكون هؤلاء بعض جنود سريتنا . ولكن لم تكد تمضي دقيقة او اثنتان إلا وهز (بيكر) ذراعي ثانية وقال متلعثما من فرط التهيج :

« انهم امريكيون بالتأكيد » وأشار الى اشخاص آخرين كانوا يلوحون من حين لآخر خلال الضباب . فلم اصدقه ايضا على الرغم من انه أصر بأنه ميزهم من اشكال خوذهم .

إلا انني تحققت صحة قوله بعـد ثوان قليلة فقد رأيت امامي على بعد ياردات قلائل شخصين منحنين يدلفـان الى اعلى التل — ولم يكن ثمة شك في انهما امريكيان .

ولم نجرأ على الرمي . إلا اننا ادركنا انه يجب علينا الوصول الى الذروة وترسيخ اقدامنا فيها قبل ان تبدد الشمس الضباب ونبقى مكشوفين في وضح النهار .

ولكن للامريكيين عيونا كذلك ، وهم لم يمسكوا نارهم مثلنـا . فقد تعثر (بيكر) وبعض جنوده بعدد آخر من جنود العدو فدوت بضع اطلاقات قبل ان يكتنفنا الضباب ثانية . فهوى النائب الضابط (واكنر) الذي كان من خيرة جنودنا ـ فقد اصيب بجرح مميت

وكان النهار في رابعته عندما وصلنا الذروة . فاكتشفت انها ليست إلا ذروة كاذبة . وكانت الارض تمتـد مستوية الى مسافة قصيرة ثم ترتفع ثانية الى ذروة اخرى . ولم يكن ثمة ما نفعله الآن غير ان نحفر حيث كنا ، اذ كان من الواضح اننا نطح برؤوسنا مواضع العدو .

وقد وجدت مقراً ملائمـا في القعر الصخري لجدول صغير يابس يشرف على الجنـاح الايمن . وكانت له ساحة نظر جيدة على الارض المنبسطة الواقعة في جناحنا .

وبدأت المدافع الامريكية تصلينا بنارها كلما ازداد ضوء النهار . وفي الواقع لم يكن مطلع هذا النهار علينا مسراً ، وزحفت من موضعي في قعر الجدول الى الامام نحو ذروة مرتفع صغير . فاستطعت ان أرى من هناك مواضع مدفعيـة وعدداً من الدبابات على مسافة ليست بعيدة تحتنا . واذن فقد اصبحنا في قلب الفرقة الامريكية المدرعة الاولى .

وازداد النهار هياجا . وبدت القنابل تمطر علينا من كل الجهات وقد راقبت الفوج الاول الذي يقوده الرئيس (مول) وكان يسارنا ،

فاذا بالعدو يهاجمه ويكاد ان يحيطه بالدبابات ، وكان موقفه خطيراً جداً ولم ينقذه غير الانسحاب العاجل . وان انقسام قوتنا جعلني أشعر ان وحدتي اصبحت معزولة اكثر من قبل .

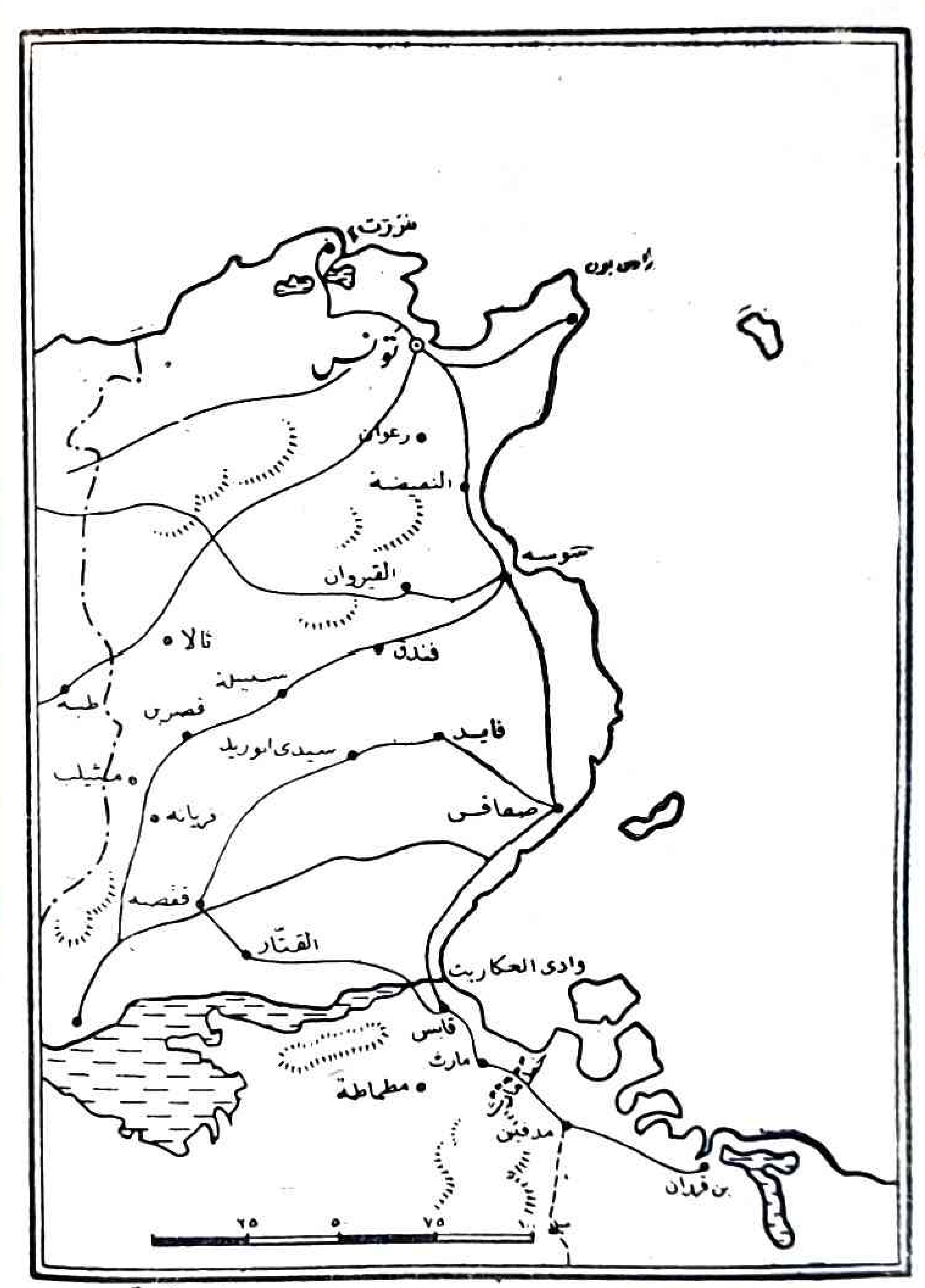
وكان يدور خلفنا والى اليمين قتال عنيف بين دباباتنا والدبابات الامريكية من أجل الاستيلاء على (ثاله) . ذلك لأنه بعد ان قدر (الكسندر) تقديرا صحيحا ، ان روميل سيندفع شمالا ، امر القائد البريطاني الفريق (اندرسون) ان يحشد دروعه للدفاع عن (ثالة) . فارسل البريطانيون على عجل قوة مختلطة الى هذه المنطقة كان معظمها من جحفل اللواء المدرع الـ (٢٦) وقد عززت بفوجين من المشاة البريطانيين وفوجين من مدفعية الميدان الامريكية .

وقد ذكر (الكسندر) بعدئذ في احد تقاريره عن المعركة التي نشبت بعد هذا في الارض المنبسطة « انها كانت عنيفة جداً وسجالا بين الطرفين . وفي ذات مرة استطاعت دبابات المانية قليلة ان تشق طريقها عبر المضيق المنخفض الواقع جنوب قرية (ثالة) إلا انها مزقت اربا اربا بنيران مدفعية الميدان التي انصبت عليها من مسافة قريبة وكان الموقف على غاية الخطورة ولم يستقر بعد فترات الخطر الشديد إلا بجهود وابداع القطعات القليلة التي قاتلت هناك ببطولة » . وعلى كل حال فقد توقفت الفرقة المدرعة العاشرة التي كانت جديدة نسبيا والتي جعلها روميل تتخلل الفرقة المدرعة الـ (٢١) للقيام بهذا الهجوم . وعلى طريق (قصرين) — (طبسه) اوقفتنا الفرقة المدرعة الامريكية الاولى على جبل (حمرة) ...

واصبح موضع فوجنا غير قابل للدفاع . فجاءنا أمر بالانسحاب بعد الظهر ولكنه كان من المستحيل تنفيذه في وضح النهـار . وعندما أرخى علينا الليل سدوله الساترة اخلينا موضعنا على عجـل وبانتظام وانسحبنا طيلة الليل .

وهكذا تخلى رومل عن جميع الارض التى اكتسبها خلال الايام السابقة واستطاع ان يخلص جميع الدبابات التى هجم بها عدا تسع دبابات ولم تشجع الالغام والتخريبات العدو على مطاردته ايانا . على ان القوات الانكليزية الامريكية استرجعت مع ذلك مضيق (القصرين) في ٢٥ منه وبدأ مونتكمري ايضا يهددنا في (مارث) .





بنزرت
رأس بون
تونس
زغوان
النفيضة
سوسه
القيروان
ثالا
فندق
سبيطلة
طبه
قصرين
فايد
سيدى ابوزيد
مشيلب
فريانه
صفاقس
قفصه
القطار
وادى العكاريت
قابس
مارث
مطماطة
مدنين
بن قردان
٢٥
٥٠
٧٥

خريطة رقم (١٠)



الباب الحادية والاربعون

وداع ثعلب الصحراء

صار اهتمامنا الآن موجها نحو خط مارث مرة أخرى ويبدو ان القيادة العليا في برلين كانت تنظر الى الموقف في افريقيا نظرة تفاؤل وبدأت التقويات المتوالية - الى حد قوة سرية - تصل بانتظام . فوجد العقيد (منتون) نفسه قادراً على تأليف فوج ثالث في الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) .

وقد عهد الي تشكيل هذا الفوج وتوليت قيادته في (صفاقس) فكان ذلك سببا في قضائنا بضعة ايام مريحة بعيداً عن المعركة .

٢

وعند ما اشتدت الازمة في معركة (قصرين) يوم ٢١ شباط أمر (الكسندر) (مونتكمري) بأن يهدد جناحنا الجنوبي اقوى تهديد ممكن فلم يتمكن (مونتكمري) ان يفعل شيئا كبيراً في هذا الصدد لانه لم يكن متهيئا بعد لانزال ضربته ، إلا انه حرك مع ذلك قوات لا يستهان بها نحو غرب (مدنين) وان كانت هذه لم تؤمن التماس معنا . وبعد ان بدأنا نتراجع في (قصرين) اخبر (الكسندر) (مونتكمري) بأنه لا حاجة للمجازفة في شن الهجوم خشـية ان يؤثر ذلك في الخطط المقبلة .

ولم يصبح موقف رومل اسوأ مما كان ، كما ادعى ذلك (الكسندر) حينما قال « لقد افرط رومل كثيراً في استثمار فوز اولي كبير - كما فعل في تقدمه نحو (العلمين) - فجعل نفسه في موقف اسوأ من قبل . » غير انك لا تستطيع ان تلومه على محاولته الجريئة لانتزاع النصر ، وقد اوشك على النجاح فعلا في كلتا المرتين . وعند ما جوبه بمقاومة شديدة واضطر على التوقف بعد ان مزق شمل الامريكيين ، لم يقم بمجازفات أخرى . وكان رومل يعلم حق العلم انه اذا فشل الاحتمال البعيد لنصر واضح فليس في وسعه ان يأمل غير ان يؤخر (مونتكمري) فترة من الزمن . وان خير آماله الآن هي ان يتغدى بمونتكمري قبل ان يتعشى هذا به . وربما كان من الافضل لو انه قد انزل ضربته على (مونتكمري) قبل هذا بقليل . غير انك لابد وان تتذكر انه وازن الاخطار الناجمة عن وجود الجيش الاول وراءه .

٣

وبينما كنا ننسحب من (قصرين) هاجم (فون ارنيم) في جبهة الجيش الخامس جيش (اندرسون) . فنجم عن ذلك قتال جبلي مرير في جوتعس استمر اياما عديدة .

وقرر رومل ان يهجم صباح ٦ مارت . فحشد قطعاته في منطقة خط (مارث) وعزم على تطبيق خطة الهجوم التي سبق ان وضعها الافرنسيون قبل الحرب لتنفذ عند الحاجة ضد الطليان في طرابلس عند مهاجمتهم لتونس - وتتلخص هذه في : التقدم من الجبال والهجوم على الجناح الايسر لخط مونتكمري وصدرت الينا الاوامر قبل الهجوم بليلة .

فكان على الفرقتين المدرعتين الـ (١٠) والـ (٢١) ـ اللتين كانتا اقوى ما لدى رومل ـ القيام بالصولة التمهيدية . اما نحن المنسوبون الى الفرقة الـ (١٥) فكان علينا ان نتهيأ مع الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) لاستثمار الفوز او اتقدم الاسناد عندما يتطور الموقف الى غير ذلك .

وقد اوضح رومل انا في اوامر المعركة التي اصدرها في تلك الليلة ان الغرض من التعرض (اعادة احتلال طرابلس) ـ وهو غرض ينطوي على طموح كثير . ووقف في صباح اليوم التالي في سيارته المفتوحة في اعلى المضيق في (قصر الحلوف) يراقب الدبابات وهي تفتل نازلة على الطريق لتهجم مستفيدة من غبش الفجر .

وكان رومل مريضا بداء اليرقان . وكانت رقبته مضمدة ـ اذ كان مصابا بقرح من حر الصحراء . وقد قال لصديق له انه اذا لم يكسب هذه المعركة فانه سيفقد امله الاخير في افريقيا ، فكان هذه آخر معركة خاضها في افريقيا واندحر فيها .

ولاحظت طائرات استطلاع العدو تحشد تشكيلاتنا . فانذر (الكمندر) (مونتكمري) ان رومل يتحرك للهجوم دون شك . فاجابه (مونتكمري) انه يتمنى ان يفعل رومل ذلك وان همه الوحيد ان لا يقوم رومل بذلك .

وكان (مونتكمري) قد جعل اعداءنا القدماء (نيوزيلندى ترابيورغ ولواء الحرس الـ (٢١) ـ ينتظروننا جوار (مدنين) . وكان يعلم انه اذا اخذ رومل (مدنين) فسوف يقطع مواصلات الجيش الثامن بطرابلس ويحيط القسم الاعظم من القوات البريطانية . ولم يتسع

الوقت لمونتكمري لزرع حقول الالغام ، إلا انه كان لديه عددا هائلا من اسلحة ضد الدبابات مستترة في مواضع محفورة وقد استهدف بهـــا الرمي على الدبابات الهاجمة من الجناح من مديات قصيرة .

ولم يعرف رومل درجة قوة مواضع العدو . وقد قمنا باربع هجمات في ذلك اليوم فقدنا ما يزيد على الخمسين دبابة ـ وهو عدد لا يمكننا الاستغناء عنه . وفعل (مونتكمري) هنا ما فعله في معركة (علم الحلفا) فلم يورط دباباته في المعركة ـ لم يستخدم منهـــا في الواقع غير سرية واحدة ـ في حين اننا زججنا جميع قواتنا المدرعة فذهبت طعمة لنيران مدافع ضد الدبابات . وعندما حل الظلام تخلى رومل عن هذه المعركة التي لم يكن ثمة امل فيها ، وشعر في ذلك المساء انه لم تبق لقواته في افريقيا غير فرصة واحدة وهي ان يأخذها الى ايطاليا سالمة ليقاتل بها هناك مرة اخرى . وكان كل ما يستطيع ان يفعله هو ان يستفيد من تأثيره الشخصي على هتلر فيحصل على اذن منه لاخلاء قواته .

وفي ٩ مارت ٩٤٣ ترك رومل من تلقاء نفسه ساحة حركات افريقيا ، بعد سنتين من وصوله اليها . على ان (الكسندر) يرى انه وان كان ذهابه بسبب المرض حقا إلا ان القيادة الالمانية العليا لم تشأ ان تجازف بقائد شهير مثله فتتركه عرضة لاحتمال اسر العدو .

ولم تنتج مهمة رومل لدى هتلر شيئا . وقـــد احتفظ به ليتولى احدى القيادات في اوربا ومنع من العودة الى افريقيا . فتولى (فون ارنيم) قيـــادة جحفل الجيش واصبح (فون فيدرت) قائداً للجيش الخامس وهو قائدي القديم عند ما كنت في الكتيبة الـ (١١٥) من الفرقة المدرعة الـ (١٥) . وقد ابرقت برلين برقية جفرية الى أعلى

قيادة في تونس مؤداها (ينبغي كتمان تنحية الفيلد مارشال رومل عن القيادة في جميع الظروف) .

فكانت تلك ضربة النمة لفيلق أفريقيا .

٤

ولقد قدر لي ان أرى (الفيلد مارشال) مرة أخرى فقط . وكان ذلك في ايطاليا الشمالية وفي مؤتمر اركان انعقد عند بحيرة (كاردا) . وقد ميزني كالسابق من بين الجماعة الحاضرين ، وفاجأ عدداً كبيراً من الضباط الذين كانوا أقدم مني عندما وقف يحدثني حديثاً شخصياً ، وذلك خلال الفترة التمهيدية التي سبقت المناقشات المهمة المنوى اجراؤها .

غير ان رومل هذا لم يشبه رئيسي السابق (ثعلب الصحراء) المترب والذي كان يلف حول رقبته ملفحة والذي كانت علامته الفارقة نظارات الغبار الموضوعة على قبعته ذات الحافة العالية والذي لم يرافقه غير واحد او اثنين من مرافقيه . اما الآن فهو محاط بحاشية من ضباط اركن اللامعين . وكانت قبعته جديدة وغريبة عني وكان يحمل عصا المارشالية في يده .

وقد سألني « هل أنت سعيد ياشمت ؟ » ثم أردف قائلا « آه - اظن ان الايام التي قضيناها في افريقيا كانت أحسن من أيامنا هذه ، تلك الايام التي كنا نسابق فيها الجيش الثامن في فطنتنا وذكائنا . . . »

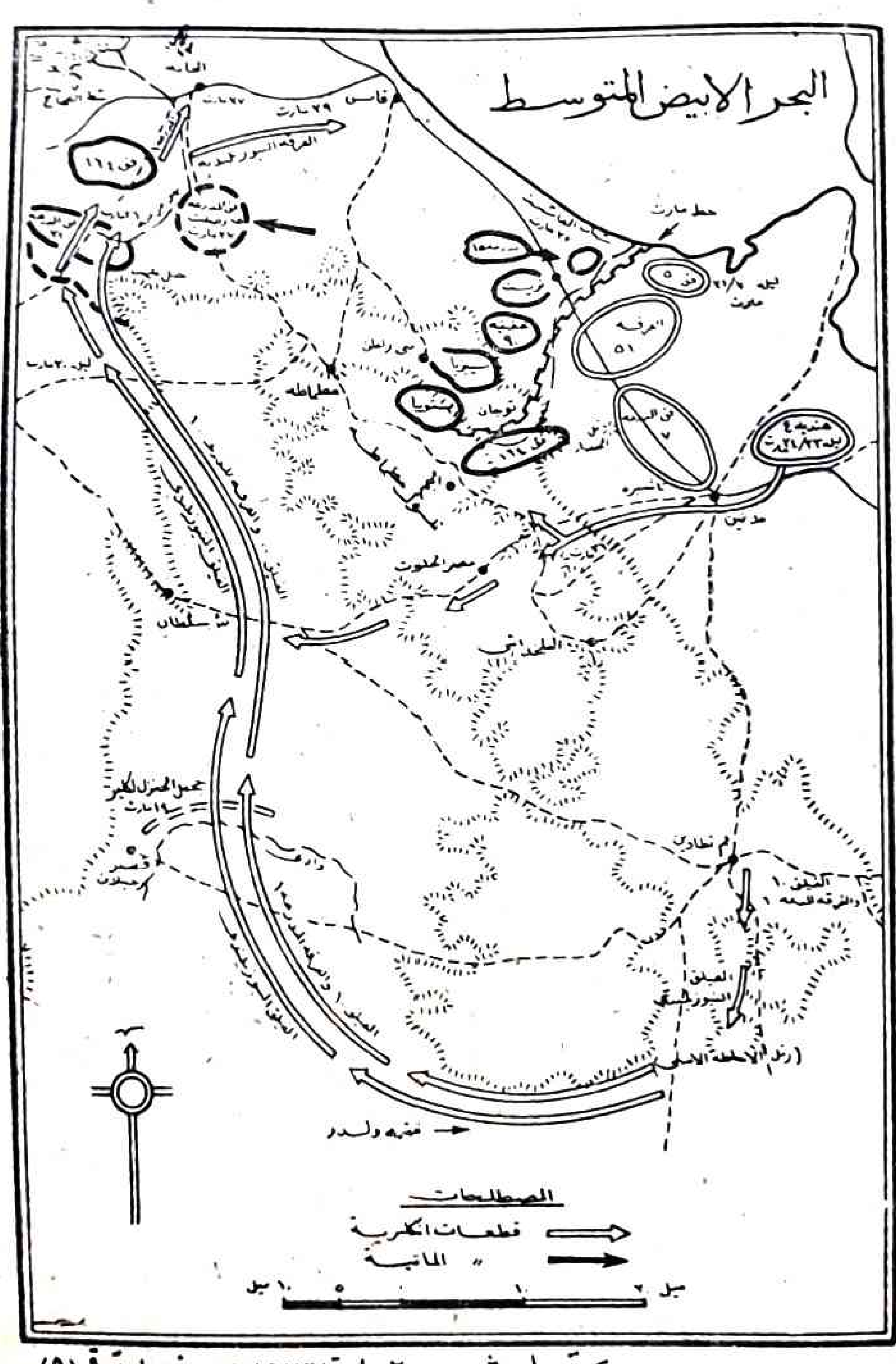
الباب الثانى والاربعون

جهنم فى خط (مارث)

كانت معركة (مارث) هي الثانيـة من بين معاركنا الكبرى . وقد سبقها اشتباك قصير لكنه دموي حدث في ١٠ آذار أي بعـد أن ترك رومل افريقيا بيوم واحد .

فقد جرت محاولة ، بناء على تعليمات رومل ، للحصول على شيء من الانتصارات بغية انعاش المعنويات بعد خيبة (مدنين) ولمنع العـدو بالفعالية المستمرة من الاستقرار والاستعداد لمعركة حاسمـة . فهاجمت وحدات استطلاعية من الفرقتين المدرعتين الـ (٢١) والـ (١٥) تساندها طائرات (شتوكا) قوة الافرنسيين الاحرار — ابطال التقدم الطويل عبر واحات افريقيا من بحيرة (شاد) بقيـادة الفريق (ليكلر دي هوتكلوك) — وذلك في (قصر رجلين) الذي هو نقطة امامية في الصحراء غرب جبال (مطماطة) . ولا شك ان مونتكمري قد قرر ان يمرر قريباً قوة احاطة من هذه المنطقة اذا تمكن من ذلك .

لكن هجومنا مني بالفشل لأن الافرنسيين قاتلوا بشدة كما فعلوا تحت قيادة (كونيك) في بئر حكيم كما ان القوتين الجويتين البريطانيـة والافريقية الجنوبية تدخلتا تدخلا عظيما .



معركة مارث - ٢٠ مارث ١٩٤٣ خريطة رقم (٩)

٢

كان طول خط مارث نفسه نحو اثنين وعشرين ميلا وكان يمتد من البحر الى جبال (مطماطة) ويقع الخط في نهايته الساحلية خلف وادي (زكزاو) وهو حفرة طبيعية ضد الدبابات كان الافرنسيون قد عززوها تعزيزاً اصطناعيا . وكانت الدفاعات عبارة عن منظومة نقاط قوية متصلة بعضها ببعض وقد قويت بالسمنت المسلح وانشأ قسم منها تحت الأرض . وكانت الاسلاك والالغام تملأ الثغرات . وعندما شيد الافرنسيون هذا الخط في الايام التي سبقت الحرب ظنوا انها لا يمكن ان تحاط من الصحراء غرب (مطماطة) . غير أن جحفل (مونتكمري) الصحراوي ذا المدى البعيد برهن على خلاف ذلك . وقد اعتبر (الكسندر) مع ذلك ان خطنا الدفاعي هنا لا يقل قوة عن خطنا في (العلمين) .

وكانت خطة (مونتكمري) لتحطيم خط (مارث) تشتمل على هجوم جبهوي على وادي (زكزاو) قرب الساحل . وكان على قطعاته الهاجمة بعد اختراقها الخط ان تستدير يمينا فتكتسح مواضعنا حتى البحر . وقد قرر أيضا قيام النيوزيلنديين والافرنسيين الاحرار مع لواء دبابات بحركة (كماشة يسرى) حول الجبال لقطع طريق (قابس - مارث) ليتسنى بذلك حصرنا في المنطقة التي كنا فيها .

واتخذ (الكسندر) أيضا التدابير لقيام الامريكيين بقيادة الفريق (باتون) — الذي حل محل (فريدندال) بالضغط على خلف جناحنا

الأيمن . وكان عليهم احتلال (قفصة) ثم خانق (القتار) فبدأوا يتقدمون في ١٦ آذار وأمنت وحدة استطلاع المانية التماس معهم إلا انها لم تبد أية مقاومة في (قفصة) بل انسحبت الى المضيق الواقع شرق قرية (القتار) .

وفي الوقت نفسه زادت الفعالية على جبهة (مارث) نفسها وخرجت القوة النوزيلندية بـ (٢٧٠٠٠) جندي مندفعة حول جناحنا الأيمن . وكان (مونتكمري) قد جعل تأريخ هجومــه الرئيسي ٢٠ آذار . وكان واجب اعدائنا القدماء الفيلق الـ (٣٠) المؤلف من الفرق الـ (٥٠) والـ (٥١) والهندية الرابعـة ولواء الحرس الـ (٢٠) اختراق وادي (زكزاو) والخط الصندوقي خلفه . وبعد ان يتم الخرق يجب على الفيلق العاشر الاندفاع بفرقتين مدرعتين نحو (قابس) و (صفاقس) .

٣

ظلت وحدتي - الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) - مرابطة مدة ثلاثة اسابيع قرب واحة (قابس) وخلف خط الجبهة وهي مشــغولة في التدريب . وكان واجبي ان اهيأ فوجي الجديد المعركة التي لا بد من وقوعها .

وبينما كنت على وشك ان استقر لكي اكتب رسالة طويلة الى خطيبتي في صباح يوم ٢٠ منه ، اذا بنداء مستعجل يأتيني من مقر الكتيبة . ولما ذهبت الى هناك امرت بتهيئة فوجي للقتال فوراً . وكان علينا ان نضع انفسنا تحت تصرف هيئة ركن الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) ضمن مدة اربع ساعات .

وكان الفيلق الايطالي الـ (٢٠) يحتل القطاع الساحلي من وادي (زكزاو) ، وبامرته الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) مع فرقتين ايطاليتين — وهما فرقة (الفاشيست الشبان) وفرقة (تريست) . وكانت ثلاث فرق تحتل نهاية الخط في جبال (مطماطة) وخلفها الفرقة المدرعة الـ (١٥) كاحتياط فوري . اما الفرقة المدرعة الـ (٢١) فقد احتفظ بها على مسافة ابعد في الخلف لكي تكون جاهزة لتدافع عند الحاجة عن الثغرة التي بين جبل (طباقة) وجبل (ملهب) تلك الثغرة التي كان يسير اليهـا النيوزيلنديون في نفس ذلك اليوم . وراجعت مع قليل من ضباط نوجي ، مقر الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) في الوقت المعين . وكان تشكيل جوي قاصف امريكي قد هاجم المنطقة قبل دقائق قليلة بالقنابل فكنت نرى الجرحى وهم يخلون عنها .

وزودنا احد ضباط ركن الفرقة بمعلومات مختصرة عن الموقف ، فادركت من الكلمات القلائل الأولى التي فاه بها ان واجبنا سوف لايكون سارا بل سيقتصر مدة من الزمن على القتال المستمكن المرير . وقد استطعنا ان نتبين خطورة الموقف من العبارات التالية التي قالها ضابط الركن .

« ايها السادة ، سررت بوصولكم بهذه السرعة اذ ان كل دقيقة تعطيكم فرصة اضافية لتفتيش مواضعكم في الجبهة تعد ثمينة . فقـد وردتنا تقارير موثوقة من الوكلاء بأن الجيش الثامن ينوي الهجوم على هذا القاطع في هذه الليلة . » واشار علينا ضابط الركـن ان ندرس خريطة الموقف الكبيرة فدوّنا منها على (الباغة) الشفافة التي على الواح خرائطنا ملحوظات سريعة عن الحدود الفاصلة والقطعات المجاورة ثم

اضاف يقول « انكم ترون من الخريطة ان فرقة (شباب الفاشيست) الايطالية تحتل هذا القاطع لكن القابلية الحربية لهؤلاء واطئة . وقد يشجع ذلك قيادة الجيش الثامن على توجيه هجومه نحو هذه النقطة لذا فانه من المهم جداً تبديل هذه القطعات فوراً . ويجب ان تنتهوا من تهيئة قاطعكم قبل حلول الظلام وان تكونوا مستعدين لدحر اشد هجمات العدو .

ولم يستغرق المؤتمر كله اكثر من عشر دقائق ، وفي نهايتها كنت قد انتهيت من تقسيم قاطعي وتخصيص المناطق الى السرايا .

وقد قمنا بعملية التبديل بسرعة لم اتوقعها وبدون عراقيل . وفي الواقع كان قد جرى سحب جزء غير قليل من القطعات الايطالية قبل وصولنا .

واغتبطت بالمنعات التي بناها الافرنسيون على حافة وادي (زكزاو) . وكان بعضها مدرعا بالفولاذ الذي يقيها من تأثير القنابل والقنابر . على ان بعض هذه المنعات كان قد شيد لغرض الستر اكثر منه لتأمين ساحة نار ، كما انه لم تكن للبعض الآخر مزاغل (١) . اضف الى ذلك ان معظم هذه المنعات كان مصمما ليستوعب مدافع افرنسية من عيار (٢٥) و (٤٧) ملم ضد الدبابات ولذلك فلم تكن هذه لتستوعب مدافعنا ذات (٥٠) و (٧٥) ملم ، الأمر الذي اضطرنا الى تركها خلف خط المنعات . وكان يوجد عدد من المواضع الجاهزة للرشاشات

---

(١) جمع مزغل وهو فتحة ضيقة في موضع دفاعي محصن لرؤية العدو وصب النار عليه .

والهاونات في وسط منظومة الخنادق ـ ومشيدة في ارض تكثر فيها الصخور الرملية . وكان وادي « زكزاو » الواقع امام منعاتنا مغموراً بالماء في بعض اقسامه . وكان على بعد بضع مئات من الياردات رابية تمنع مجال رؤيتنا إلا انها تحدد في نفس الوقت المسافة التي يستطيع منها العدو ان يترصد مواضعنا . وكانت قد هيئت منظومة خنادق منعزلة على الرابية كموقع امامي . وبعد تردد اضطررت الى تخصيص قوة سرية لاشغال الرابية لاسيما وان امراً مباشراً جاءني بذلك . وفي الساعات القلائل الباقيات قبل مغيب الشمس قمت بزيارة سريعة الى اجزاء القاطع المختلفة للاطلاع عليها ، ووزعت اسلحتي توزيعاً منتظما وخصصت الأشخاص المسؤولين عن قيادة نقاط الاسناد .

وقبل المغيب بنحو ساعة واحدة وصلت الينا امدادات اضافية من قطعات المانية نزلت في افريقيا من الطائرات قبل ساعات قلائل . ولم يصرف الوقت عبثاً في التثبت من تفاصيل القطعات الجديدة بل وزعت هذه بصورة مستعجلة على قواطع الخط الامامي .

وكنت قد ارسلت رئيس العرفاء (فيلد ويبل آمون) ليقود منعتي الواقعة في اقصى الجناح الايسر ، فتعرض الى نار مدفعية شديدة خلال الساعة الأخيرة من النهار . فاخبرني انه في وسعه ان يرى تنقلات قطعات العدو . كما اخبرني ايضا بانه ليست ثمة مواصلات بينه وبين القطعات الايطالية التي تجاوره من اليسار في حين ان وجود مثل هذه المواصلات الضرورية امر بديهي ، وانه توجد ثغرة واسعة بينه وبينهم ، فاخبرت مقر الكتيبة بذلك فوعدوني بتقديم المساعدة .

وفي الساعة العاشرة من تلك الليلة تسلقت الى سقف المنعة التي كانت مقري للمعركة . وكان الجو معتدلا في هذه الليلة من ليالي الربيع ذات النجوم الكثيرة والهدوء سائد لدرجة انني سألت نفسي فيما اذا كان وكلاؤنا قد ضللونا - شأنهم في كثير من المرات . فربما لا يهجم الجيش الثامن في هذه الليلة . وكانت طائرة منفردة تطن فوقنا فقدرت من صوت محركها انها مقاتلة ليلية من نوع (مسر شمت) . وكنا نرى فوق افق العدو من بعد مشاعل المظلات وهي تهبط ببطء في الظلام . واذن فان قاصفاتنا منهمكة في قصف العدو . وفجأة اضيء الافق كله امامي بنور يشبه البرق فقلت لمراسلي الساعي متعجبا : « يالها من نيران هائلة ضد الطائرات يرميها العدو ! » ثم استمر البرق بشكل اوسع مما تستطيع العين ان تراه . وتتابع الوميض من دون انقطاع . فادركت حالا انه ليس ببرق ، بل هو السد الناري لـ (مونتكمري) .

وبعد ثوان كان هنالك زعيق وصفير وصياح ثم بدأت اصوات انفجارات القنابل حولها . فقفزت بطفرة واحدة من سقف المنعة الى الخندق العميق الواقع اسفله ، ولم تمض لحظة الا وقنابل المهداد البريطانية تغمر الأرض المجاورة لنا .

لقد تلاشى كل ما كان يدور في رأسي من افكار بتأثير السد الناري الهائل ، فلم اشعر إلا وانا ادمدم قائلا « قاتل - قاتل لانقاذ حياتك ! » . وقدرت باننا سنجابه قريبا هجوم مشاة العدو او دباباته او ربما كليهما معا واننا سنصلى قبل ذلك بنيران مدفعيته . واستمرت طبول النار تدوي ثم تدوي .

وركضت خلال منظومة الخنادق للتأكد من ان كل جندي

حاضر لاطلاق النار وان كل قاطع قد ارسل الى الامام راصداً ليعطي الانذار الكافي عن تقدم العدو . فاذا بشكل الخنادق قد تغير تغيراً كبيراً وانهارت جوانب كثير منها مع انها مشيدة بالصخور الرملية الصلبة . وكنت اتسلق باستمرار على الانقاض الحجرية او اكوام الصخور بل وكنت اقفز فوق قنابل العدو غير المنفلقة .

وقد رأيت في بعض الملاجيء جنوداً قتلى وجرحى مضطجعين جنب اسلحتهم . ولا ريب ان الموقف كان يتطلب شجاعة عظيمة من اولئك الذين يحتلون مواقع الرصد الامامية التي هي اقل حماية من الملاجيء ، ولو لمدة نصف ساعة .

ووصلت الى احدى المنعات السفلى التي كانت في اواسط القاطع مشيدة على حافـــة وادي (زكزاو) فرأيت بعض جنود مفرزتها مقتولين جنب رشاشتهم . وقـــد وجدت في مدخل المنعة والى احدى جوانبها قليلا ، جنديين في خندق وقد جرحا جرحا خفيفا . فصاح بي احدهم قائلا « دبابات في المرتفع امامنا تواً » .

ولم اعرف هذا الجندي فلربما كان احد جنود التقويات . فصاح ثانية « لقد حطمت الدبابات درع منعتنا باصابات مباشرة » .

ثم اردف يقول « انه من الانتحار البقاء في المنعة » .

فزمجرت به قائلا « بحق السماء ياهذا ، احتل موضع الرشاشة الواقع جنب المنعة مباشرة فمن المحتمل ان يتدفق علينا المشاة البريطانيون في كل لحظة . »

لقد كنا مشتركين في قضية موت او حياة فوجب علينا الاستفادة

من كل فرد سواء أكان مجروحا ام غير مجروح . وتسلقت الى المنعة المخربة فاخرجت منها الرشاشة ، ثم التفت فاذا بالجنديين لا زالا مضطجعين في الخندق كما تركتهما . ولم يبديا حراكا فقد انفجرت عليهما قنبلة خلال هذه الثواني القليلة فقتلتهما .

وعدت على عجل الى منعتى الخاصة ، فكان الرجوع اشد صعوبة من الذهاب . وقد اضطرتني انفلاقات القنابل على الامتداد ارضا مرة بعد اخرى في كل عدة ثوان ، وكانت الخنادق يزداد انهيارها وتمزقها شيئا فشيئا .

وعندما وصلت أخيراً الى منعتي ، عينت ثلاثة جنود لاحتلال موقع الرشاشة وكان بينهم أخسن سعاتي وهو رجل قصير مملوء بروح الدعابة ، وبعد دقائق قليلة عاد لاهثا وهو يقول :

« ياحضرة الملازم الأول ، الانكليز يهجمون — وهم مرابطون الآن أمام خندقنا تماما . »

واذن فان اللعبة قد استؤنفت فمضى سعاتي يركضون في الخنادق وينبهون جنود الفوج وهم ينادون « المشاة يهجمون — الاسلحة في الموضع » . وفي ثوان قليلة كانت الرشاشات التي لم يمحها العدو تصب وابل نيرانها على الجبهة . وكانت نيراننا المنصبة على الوادي — سواء الجبهوية منها أم الجانبيـة — فظيعة ، فكان شريط اثر آخر يمر من الرشاشات .

وسحق العدو السرية التي كانت تحتل الموقـع الامامي — وكنا قبل ربع ساعة قد اعترفنا باستلام اشارة السرية القائلة « الدبابات تهجم »

أما الآن فلم يكن ثمة خبر منها وكانت تنصب علينا نيران دبابات شديدة من المكان الذي كانت فيه السرية .

وارسلت ساعيا الى موضع (امون) الجانبي ، وكان عليه ان يجتاز ارضا مفتوحة ، فلم يتمكن من الوصول الى هناك ولم استغرب من ذلك ، اذ انه تعثر بالمشاة البريطانيين وقذفوه بقنابر (ميلس) . واتضح ان بعض البريطانيين اجتازوا ضفة الوادي بحزم الحطب فكان عملهم هذا ينطوي على شجاعة وجرأة عظيمتين . وكانت نيران مدفعية البريطانيين على أشدها ، وقد وصل جنودهم الى الارض المكشوفة التي لاتزال تحت سدهم الناري .

وخصصت جماعة لتطهير الخنادق الامامية في جناحنا الايسر من الغزاة الذين دخلوها فتمكنا من استرداد المنعة الواقعة في نهاية منظومة الخنادق هذه واسرنا ثلاثة جنود من العدو . على ان بعض المهاجمين قاوموا بعزم في مواقع منعزلة وقاتلونا بوابل من القنابر . فلم نتمكن من الوصول اليهم واضطررنا على الاكتفاء بسد الطريق المؤدي الى خنادقنا الرئيسية .

وخابرني موقع اسناد (امون) باللاسلكي قائلا « المشاة الانكليز يمرون بنا مندفعين من اليمين ومن اليسار ـ موقع الاسناد لازال يقاوم . »

وعندما طلع النهار رأيت بعض دبابات (فالنتين) البريطانية على الرابية التي كانت ترابط فيها سرية الموقع المتقدم في المساء الماضي . وقد تعذر علينا صب النار عليها لان مدافعنا الثقيلة ضد الدبابات كانت لاتزال خلف خط المنعات اذ لم يتسع الوقت مساء امس لاحضار مواضع ملائمة لها غير اننا تمكنا بنيران الرشاشات ومدافع الهاون المتمركزة من تطهير

الرابية بعد الظهر . واستطعنا القضاء على المشاة المتسللين أيضا بالنظر لنفاذ عتادهم . واسترجعت خلال النهار جميع الخنادق في قاطعي ماعدا تلك التي في الجناح الايسر .

وقبضنا على اسرى من جنود الفرقة الـ (٥٠) الانكليزية فأفادوا بأن وادي (زكزاو) المغمور بالماء والذي اجتازوه مشيا على الاقدام كان غير صالح لمرور العجلات . ولم تتمكن غير قليل من الدبابات الثقيلة ان تشق طريقها عبر الوادي . وقد تعذر تعزيزها بعدئذ .

وضمد طبيبنا ملازماً انكليزيا شابا كان قد جرح فسألنا هذا قائلا « علام انتم لازلتم تقاتلون ؟ » ثم اردف يقول « لدينا تفوق ساحق في الرجال والمعدات ، وان هي الا أيام وأسابيع ثم تنتهي الحرب بالنسبة لكم على كل حال . »

فلم نعتقد بما قال وضحكنا على تفاؤله .

وسأل الانكليزي الطبيب (وهو جراح شاب حساس من فينا) « هل تحب غوبلز ؟ فسألني هذا « ماعسى ان يكون جوابي ؟ » فهززت كتفي ولم أقل شيئا .

وفي اقصى جناحنا الايسر كان جنود الجيش الثامن قد اخترقوا خط (مارث) الى مسافة أبعد . فشاهدت خلف خط المنعات مباشرة والى مسافة بعيدة خلفنا جماعة صغيرة من الانكليز يركضون على مرتفع .

وكنا قد فقدنا الاتصال تماما مع قطعاتنا في الخلف فهل قضي عليها ياترى ؟ وارسلت رسالة لاسلكية استخبر بها عن ذلك فجاءني الجواب بعد ساعات قلائل ، « احتفظ بالموضع مهما كلف الامر . ستقوم كتيبة التقوية بالهجوم المقابل . »

وكان موضع اسناد (امون) يبدو كجزيرة صغيرة في جناحي الايسر . فاخبرني هذا باللاسلكي قائلا :

« يحاول العدو ان يحرك الدبابات على الارض التى أمامنا . » ثم انهالت على مواضعنا أيضا نيران أكثر من ذي قبل كانت تصبها بدقة دبابات واقفة خلف الرابية التي أمامنا ، فكاد يستحيل على أحدنا أن يرفع رأسه فوق الستر .

وحلت الليلة الثانية فتوقعنا ان تزيد فعالية مدفعية العدو . ولكن من العجيب ان ذلك لم يحدث . لا بل ولم يحدث هجوم آخر بالمشاة كما كنت اظن . ومن قبيل الحيطة اتخذت التدابير لاكتساح الوادي بقنابر الهاون ونار الرشاشات بين آونة واخرى . وقد حاولت قطعات صولة بريطانية قليلة في اقصى الجناح الايسر ان تتقدم مرة اخرى من الخنادق التي استولت عليها قبل ليلة فتمكنت ان تشق طريقها الى الامام على الرغم من الخسائر التى تكبدتها مستخدمة القنابر وغدارات (تومي) - فقدنا المنعة التى في يساري مرة أخرى .

وبدأت الآن اشعر بفداحة خسائري . فبعد ان وضعت في كل موضع مهم اثنين من اعداد الرشاشة لم يبق لدى احتياط للقيام بهجمات مقابلة محلية . فاضطررت مرة اخرى على سد نهاية منظومة الخنادق والاعتماد على ابعاد العدو بحجاب من نيران الهاونات . ولم يكن هنالك أثر لهجوم الكتيبة المقابل ، كما وعدت فصرت اتساءل فيما اذا كانت الرسالة اللاسلكية عزاءاً رخيصا في زمن ربما كان من أشد اوقاتنا حراجة .

ولكن لا ! لقد استلمنا بعد الظهر بقليل رسالة اخرى تفيد ان « كتيبة البنادق الـ (١١٥) هجمت . اتخذوا التدابير لعدم الرمي على قطعاتنا .

ورأيت بعد ذلك بقليل المشاة الالمان يتقدمون بقفزات دباخية على مسافة بعيدة خلفنا . وقد استمروا على ذلك دون هوادة ولا بد وانهم كانوا يستردون الارض التي اضعناها . واتجهت انظارنا نحو الحركة الجارية في الخلف فاهتممنا بها أكثر من اهتمامنا بجبهتنا اذ لم نجد ثمة داعيا الى الخوف من هجمات محلية اخرى . وتملكني شيء من الفخر في كتيبتي القديمة فشعرت بالامتنان منها ، فقد كان جنودها قادمين حقا لنجدتنا .

وبدأت مدفعيتنا تقصف الخنادق التي يحتلها العدو يسارنا . وكذلك الرابية التي في الامام . اما المدفعية البريطانية فقد كانت هادئة على الرغم من قصفها التمهيدي الهائل . فهل كان سبب ذلك ان الجيش الثامن كان يجهل اماكن قطعاته الامامية ، ام ان المدافع قد وجهت الى قسم آخر من الجبهة ؟

وتقدمنا من خط منعاتنا باندفاعات قصيرة ونحن مفعمون بشجاعة جديدة ولم اترك غير قليل من الجنود لادارة اسلحة الاسناد المهمة ، واندفع معظمهم نحو اليسار والى وادي (زكزاو) نفسه ، فاكتشفنا بغتة مشاة بريطانيين على مقربة منا كان بعضهم يزحف على مسافة ياردات قلائل إمام مواضعنا ، وقد حاول العدو ان ينسحب فنجح كثير من جنوده في ذلك ولكن الآخرين وقعوا اسرى في ايدينا ، واستطعنا

ان نجمع نحو فصيل من الاسرى عندما وصل الينا المشاة حملة الرمانات الذين جاؤا لتقويتنا .

ثم شغلنا بعد قليل خط المنعات بأجمعه مرة اخرى ، فاسست ثانية تماسا مباشراً مع (امون) الذي كان قد شاركه فيخندقه الامامي الغزاة البريطانيين لمدة يومين ، وسد المشاة الالمان الجدد الثغرة التي في يساره فشعرت ثانية بأن جبهتي اصبحت محكمة .

وانسحبت تحت ستر نار المدفعية قطعات رأس الجسر البريطانية عبر الوادي بناء على اوامر (مونتكمري) . وهكذا فشل الهجوم الجبهوي ضد خط (مارث) .



الباب الثالث والاربعون

جبهة خفيفة ضد الأمريكيين

تخلى (مونتكمري) عن خطته الأصلية فالغى هجومه الجبهوي وعزز هجوم الاحاطة ، وفي غسق ذلك المساء ارسل فرقة دبابات (١) اخرى ليسند رتل (فرايبورغ) الجبار الذي بدأ الآن يضرب منطقة جبل (ملهب) . فارسلت فرقتانا المدرعة الـ (٢١) والمشاة الـ (١٦٤) الى هناك من النهاية الغربية لخط (مارث) بغية صد النيوزيلنديين والـ (٢٠٠) دبابة التي كانت معهم . وتوقع (مونتكمري) انه بارسال الفرقة المدرعة الجديدة سيتمكن من ان يهاجمنا من الخلف بـ (٣٠٠) دبابة .

وفي الوقت نفسه امر (الكسندر) الفريق (باتون) ان يدفع فرقة مشاة من قواته الأمريكية على طريق (قفصة) - (قابس) وفرقة من الدبابات على طريق (قفصة) - (مكناسى) . فاضطرت قياداتنا العليا على التخلي عن اقوى خط دفاعي في تونس . وهو كخط « ماجينو » لشمال افريقيا الافرنسية في (مارث) .

فتخلصنا من مواضعنا فى تلك الليلة واخذنا في الانسحاب مرة أخرى . وانسحبت قطعات خط (مارث) عبر الممر الذي كان خلفها

---

(١) الفرقة المدرعة البريطانية الاولى

الى الموضع الدفاعي التالي في وادي (العكاريت) شمال (قابس) تحت ستر الفرقة المدرعة الـ (١٥) ، التي زجت في القتال أيضـا ، والفرقتين المدرعة الـ (٢١) والمشاة (١٦٤) اللتين كانتـا تحولان دون وصول النوزيلنديين الى (الحامة) . واستمر القتال عنيفاً عدة أيام قبل أن يدخل (فرايبورغ) (قابس) في منتصف يوم ٢٩ آذار . ففقد وقتئذ جيشنا الالماني — الايطالي (٧٠٠٠) اسير ، معظمهم من الطليان علاوة على كثير من المدافع والدبابات ، وفي الوقت نفسه اشتبك فوجي في قتال جديد ضد الامريكيين في (القتار) .

٢

وأمر (ميس) القائدالايطالي الذي قادمابقي من جيشنا بعد العلمين ، باخلاء حامية واحة (قفصة) الصغيرة قبل الاوان بكثير وارتجل خطاً دفاعيا جديداً على بعد خمسة اميال شرق (مكناس) بوحـدة استطلاع المانية وأخرى ايطالية . وعزز هذاالخط بالفرقة المدرعة العاشرة وثلاثة افواج مشاة المانية وبعض الدبابات الايطالية فمسكت هذه القوة الموضع ضد الفرقة الأمريكية المدرعـة الأولى وامكن توقيف هجوم المشاة الأمريكيين على طريق (قفصة — قابس) حتى ٢٥ آذار بسلسلة من الهجمات المقابلة قامت بها الفرقة المدرعة العاشرة .

وبما ان الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) مع مدافعه ضـد الدبابات استخدم مراراً (كموقف ناري) فلم افاجأ البتة بعد انسحابنا من خط (مارث) عندما علمت باننا سنزج في القتال في وادي (القتار) . وقـد حيتنا مدافع فيلق (باتون) الامريكي بنارها كأننا اصدقاء قدماء .

وجاءت حاملة قطعات مدرعة ومسرفة نحوي وهي تحمل قائد الفرقة المدرعة العاشرة . وكنا تحت نار قنابل شديدة ، فوقف بضع لحظات فقط ليحيطني بالموقف . وكان حديثه معي وديا ، ولم تظهر عليه امارات الخوف طبعاً . وقد اضطر على الصياح خلال الكلام لكي يعلو صوته على ضوضاء القصف . فقال لي « تقدم باسرع مايمكن وبكل مالديك من الجنود . ينبغي أن يكون في الوادي الذي في الامام — هناك ، وخلف المرتفع الذي تراه قرب الطريق — موضع دفاعي ايطالي . ولكن من المحتمل أن يكون الايطاليون قد ابيدوا ، اذ اننا ترصدنا عدداً كبيراً من الاسرى الايطاليين خلف الجبهة الامريكية . واجبك احتلال موضع ملائم على ابعد مسافة ممكنة في الامام وتأسيس خط دفاعي هناك مع اية قطعات باقية . »

« امركم ياسيدي القائد » قلت ذلك معترفا باستلامي الامر .

ثم أردف قائد الدبابات يقول « ينبغي توقيف أي تقدم آخر يقوم به الامريكيون مهما كلف الأمر . فاذا انكسر هذا الخط فان في ذلك نهاية قوات رومل فعليك اذن ان تبذل كل مافي وسعك » .

فناديت بالايعاز التالي قبل ان ينتهي القائد من كلامه « نزل الاسلحة والعتاد ! العجلات تنسحب » .

وكان القائد يعرف جيداً ، كما كنت اعرف ، باننا في حالة طارئة فلم يزجرني على مقاطعتي لكلامه بل كرر آخر ماقاله بهدوء « ابذل مافي وسعك » ثم مضى بسيارته .

ونفذت المفارز اوامرها بسرعة تحت وابل من القنابل وابتعدت فوراً العجلات العالية التي كانت كمغناطيس لمدفعية العدو وتبعتها القنابل

فحصلنا بذلك على فترة راحة قصيرة . واضطجع جنودي جنوب الطريق واسلحتهم بجانبهم . وفي فترة الراحة هذه استطاع الضباط ان يحيطوا بالموقف . وكانت اوامري الى الضباط مختصرة وهي « نسق المشاة شكل ! تقدم على جبهة واسعة — الباقي عقب ! (١) وكانت خير فرصة لنا ان نتقدم باسرع ما يمكن . فركضت الى الامام لأكون في المقدمة . ونقدم الفوج مسرعا على يمين خط (قفصة) مستفيداً من كل ستر متيسر . وبعد دقائق قليلة وصلنا منخفضا عريضا قليل العمق لا ستر فيه ويستطيع الأمريكيون أن يروا فيه كل جندي على انفراد . ففكرت ان جهنما من النار ستصب علينا في كل دقيقة . ثم اوعزت : « اعبر بأسرع ما يمكن . »

وركضت أمام الجنود وكأن جميع شياطين الدنيا تطاردني ، فان التردد معناه الدمار . وركض الجنود ورائي . وكنا حقا في قلب جحيم من النار ، فكان الجنود يتساقطون هنا وهناك وترتفع صيحة « اسعاف » من حين لآخر فيركض الرفاق ليساعدوا المتساقطين بينما يستمر الآخرون في الركض قدما ورائي .

وبعد نصف ساعة كان السد الناري للعدو لا يزال مستمراً كستار

---

(١) ان هذا مثال للاوامر المختصرة التي يعتمد عليها في الجيش الالماني بكثرة في قيادة القطعات في المعركة . وان هذه الاوامر تعني : تقدم سريتين من الفوج الى الامام بالنسق المنتشر وعلى جبهة واسعة وان باقي الفوج يعقب هاتين السريتين بمسافة مناسبة . اما تفاصيل التشكيلات التي تتخذها السرايا والمسافة بين بعضها بعضاً ومحل مقر الفوج وموضع قدمة النقلية والخ ... فكل ذلك معروف ويؤلف جزءاً من سياق معين للعمل في المعركة يثبت ويجري التدريب عليه منذ السلم .

قائم خلفنا فلم يتمكن غير فصيلين من المرور معي . اما الباقون فقد حاولوا ذلك مراراً وتكراراً فلم يفلحوا فاضطروا على التستر بالارض متكبدين خسائر فادحة .

وشققنا ، نحن الذين نجونا من أتون النار ، طريقنا الى الأمام بثبات . وكنا نجد احيانا لحظة من الراحة خلف ستر ما . وكانت القنابل لاتزال تنفلق بيننا وعلى مقربة منا ، الا ان هذه النار لم تكن تقارن بما سبق ان لقيناه .

اجتزنا الرابية التي اشرها القائد لي الا اننا لم نر شيئا — فلا امريكان ولا طليان . وصارت الارض الآن تؤمن ستراً اكثر من ذي قبل .

واكتشفت في مرتفع من الارض مدخل كهف وقد وقف امامه جندي ايطالي . فتحركنا صوبه وطلبت منه معلومات — وماء فاجابني : « ماء ؟ ليس لدينا ماء . عندنا شراب احمر جيد » وناولني زمزميته مرغما . فشربت منها جرعة طويلة . وبدا كأن نشاطا جديداً دب في جسدي المضني بالتعب . واخرج عدداً كبيراً من الزمزميات الايطالية من الكهف المظلم فنال كل جندي من جنودي جرعة منها . واعتادت عيناي على ظلام المدخل فارسلت نظري الى داخل الكهف فاذا به يحتوي على نحو ستين ايطاليا . فسألتهم بالايطالية « اين هي مواضعكم ؟ » فاجابني ضابط ايطالي من دون مبالاة « ليست لدينا مواضع — للامريكان مواضع قريبة منا » .

ثم أخذ الطليان يقلقون من تكتلنا امام كهفهم خشية ان نكشف مخبئهم . ونشرت جنودي بسرعة وتقدمنا . فاصطدمنا بسد جديد من

نار المدفعية ورأيت أمامنا سفحا مملوءاً بالحفر والشقق لكنني لم أجد جنديا واحداً فيها « الا انني كنت واثقا من ان هذه كانت مواضع الطليان ، وقد صرت اعرف نظامهم الدفاعي المعتاد — فهم يحفرون خنادقهم في مواضع مستورة خلف الذروة ويتركون مواقع قليلة أمام الذروة للسيطرة على ساعات الرمي الحقيقة .

ووزعت جنودي بسرعة على الخنادق الشقية التي تركها الطليان وانا اشعر بشيء من الارتياح ،وقد نشرتهم على منطقة واسعة وخصصت ملازما ليقود كلا من القاطعين الجانبين الواقعين على طرفي الطريق . واسست مقرى في الجانب الجنوبي من الطريق وبينما كنت الاحظ توزيع احدى المجموعات في يسار السفح اكتشفت ملجأ يحتوي على ثلاثة مدافع صولة المانية ذاتية الحركة ووجدت الضباط المسئولين عنها في منعة ايطالية عميقة محمية حماية قوية بطبقات من الصخر والتراب مما يدل بالتأكيد انها شيدت لضابط ايطالي كبير الرتبة .

وكان يقود مفرزة مدافع الصولة ملازم اول وقد فرح فرحاً شديداً عند ما علم بوصول مشاة الماني ساندين له اذ كان هذا القاطع مهجوراً ما خلا جنوده . وكان الامريكيون قد هجموا ليلا واسروا جميع الطليان ما عدا الذين هربوا الى الخلف وهم الذين كانوا في الكهف .

وقد قال الملازم الأول « امامنا تواً وعلى هذا السفح يوجد عش للأمريكان لا يبعد اكثر من اربعين خطوة عنا » وكان ينظر خلال كلامه الى الخارج باستمرار من ثقوب المنعة . وكان يبدو حريصا وجريئا وقد شعر باسف شديد عندما علم انه ليست لدى في الامام مدافع

ضد الدبابات اذ كان من المستحيل تقديم هذه المدافع قبل حلول الظلام بوجه القصف الأمريكي .

وصاح الملازم الاول بغتة « دبابات هاجمة » .

واذا باثنتي عشرة دبابة (شيرمان) ضخمة تتدحرج نحونا ، واختفت هذه في منخفض من الأرض ولم تبرز منها غير ابراج منفردة ، ثم رأيت مشاة امريكيين يسندونها - وكانوا بقوة سريتين على ما اظن .

وبدأ القلق على الضابط الذي كان بجانبي غير انني اكدت له « بأن الدبابات نفسها لا يحتمل ان تهجم بل ربما ستكتفى باسناد المشاة بالنار » .

غير انه كان يرى رأياً آخر فقال « لا استطيع ان انبارى بمدافع الصولة التي عندي مع هذه الدبابات الأمريكية ولا يستطيع المشاة من دون مدافع ضد الدبابات حماية مدافعي هذه ضد هجوم الدبابات » .

وربما كان على حق . غير انني قلت له « انا الآمر المسئول فى هذا القاطع . ابق مستتراً في هذا المنحدر مع مدافعك واسندنا بنارك ضد المشاة » .

وحان الوقت لأنبه جنودي ، ولم يكن لدى في الامام غير قليل من الرشاشات الثقيلة وخمسة هاونات ومقدار محدود من العتاد لهـــذه الاسلحة . وبعد دقائق قليلة جاءنى التقرير من جميع مواضع الأسلحة « حاضر للرمي » .

وكان الامر « الرمي حر » الذي اصدرته للهاونات كاشارة عامة لجميع الاسلحة وفتحت اسلحتي باجمعها النار في آن واحد ، وبعد رمي

نصف شريط التجأ اعداد الرشاشات الى الستر ثانية . وقد جرى كل شيء بصورة ممتازة - بل وبمهارة تفوق ما شاهدته في التدريب أو في المناورات .

وكانت النتيجة ما اردت . لقد اضطر المشاة الأمريكيون على القستر .

وعندما تقدمت الموجة الأولى ثانية اخرجت اسلحتنا من الستر ووضعت في مواضع الرمي مرة أخرى . ولم اكد ابتعد غير بضع خطوات عن الرشاشة الثقيلة القريبة من الحفرة التي كانت كموقع قيادة لي إلا وسقطت على موضعها قنبلة صارخة فقضت على مفرزتها المؤلفة من ثلاثة جنود .

وبدأت الدبابات الأمريكية الآن تمركز نارها على مواضعنا في المرتفع وبعد دقائق قليلة خرجت مدافع الصولة الالمانية الثلاثة من سترها ومرت بنا مسرعة وهي تنسحب . وصاح الضابط المسئول عنها وهو يمر بي - وكأنه يعتـــذر عن فراره - « الدبابات هجمت ، لابد من انسحابنا » .

فقلت في نفسي : - كلا ان شيئا كهذا لم يكن يحدث في فيلق رومل الافريقي القديم . وهو دليل على اننا نجابه الاندحار في افريقيا .

وقد صدق ظني فلم تأت الدبابات الأمريكية الى الامام . وبقينا وحدنا في الجبهة ولم تكن قوتنا تتجاوز الفصيلين ، اما قوة العدو المحدقة بنا فالله يعلم مقدارها .

وقررت اخيراً ان طريقة الطليـــان في اختيار المواضع معقولة نوعا ما - فسرنا ان ننسحب من الذروة الى السفح الخلفي تاركين موقع

رصد فقط خلف كومة من الحجر . وظللنا نرمي بهاوناتنا ناراً دفاعية من وراء الستر حتى اوقفنا هجوم العدو . ولكننا لم نتمكن من ذلك إلا بعد ان اوشك عتادنا ان ينفد . ولم يكن معنا غير جندي اسعاف واحد - وهو قسيس كاثوليكي في الحياة المدنية كان قد درس قبل الحرب في سويسرا بالاستفادة من مساعدات الاحسان الامريكية - فارسلته الى الخارج ليعتني بالجرحى وليجمع اقراص الهوية (١) من القتلى وعندما انقطع الرمي تسلق الى الذروة معتمداً على علامة الصليب الاحمر في ذراعه وتحرك على مرآى تام من الامريكان فاتجهت اليه افواه مدافع الدبابات مهددة الا ان آمر العدو ميز علامته في ناظوره فتركه وشأنه . وكنت احترم الأمريكان للشهامة التي يبدونها في جميع معاركنا معهم . ثم التحقت بنا بعد الظلام القطعات التي عجزت قبل هذا ان تمر من السد الناري . فاستطعت ان اوسع جبهتي الى شمال الطريق حيث يرابط الرئيس (مول) وبقايا فوجه وفي الظلام قدمنا مدافعنا ضد الدبابات الى الامام فوزعتها على الطريق المؤدي الى جناح مواضع مشاتنا في الوادي .

وخصصت جماعة قوية لاحتلال نقطة رصد في الامام كانت ذات شكل مخروطي وجعلتها بقيادة ضابط صف - وهو ضابط منتظر -(٢) كان يحمل اسم (رومل) الشهير وان لم تكن له صلة قرابة بالمارشال فاحتل (رومل) وجماعته الرابية وحفروا موضعهم خلال الليل .

---

(١) وهي اقراص توضع في أيد الجندي ورقبته ليفنى بها تشخيصه بعد موته

(٢) اي انه مرشح لأن يكون ضابطاً .

وبعد منتصف الليل بقليل سمعنا صوت الهاونات امامنا . فزحفت دورية الى الامام واخبرتنا بأن الأمريكان يتلقون الذخائر ومواد التموين . وكانوا قريبين منا لدرجة ان دوريتنا استطاعت ان تميز وهج سكايرهم . واستلمنا نحن ايضا ارزاقنا وكذلك العتاد الذي هو اهم منها . وتلطفت مدفعية العدو فتركتنا وشأننا . إلا ان طائرة استطلاع طارت فوقنا في الصباح فسرعان ما انصبت علينا نار المدفعية باستمرار . غير ان معظم القنابل كانت تمر فوق رؤوسنا وهي تصفر وذلك لوجودنا خلف الذروة . واسدل الليل ستاره مرة اخرى . فسمعنا ما بين الساعة الواحدة والثانية مجيء رتل تموين امريكي آخر . ففتح الملازم (بيكر) النار بهاوناته الستة ورشاشاته الثقيلة الاربع لمدة دقيقة واحدة بالضبط . فاسفت لتحرشه ، اذ سرعان ما فتح علينا الامريكان ناراً طائشة استمرت طول الليل فكأنهم استاؤا من نقض اتفاقية عقدناها معهم ضمنا . وقد كنا قبل هذا نستطيع ان نمد ارجلنا وان نتجول خارج حفرنا الشقية اما الآن فان الرشقات النارية التي تنصب علينا بغير انتظام والتي يبلغ عدد قنابل كل منها اثنتي عشرة قنبلة تجعل ذلك خطراً علينا .

وعندما طلع النهار عززنا بعد انتظار طويل بسبع دبابات احتلت مواضع في الوادي الكائن خلفنا مباشرة . ولما تقدمت دبابات (باتون) ومشاته بعدئذ شعرنا بثقة اعظم .

واختفى عدد من المشاة الأمريكيين في وادي على السفح جنوب الطريق ثم ظهر بعضهم بغتة خلف ظهورنا وفي وادينا ، فصددنا هجومهم بمعونة دباباتنا واخذنا منهم بعض الاسرى . وكان القتال عنيفا إلا اننا اصبحنا الآن لا نكاد نفرق بين ساعة قتال عنيف واخرى .

وجاءتنا في المساء رسالة من الفيلد مارشال (كسرلنغ) مفادها « اشكركم على دفاعكم الجرىء . احتفظوا بالمواضع مها كلف الأمر » .

فعقدت مؤتمراً مع (مول) وقررنا ان نرسل جوابا الى (الفيلد مارشال) رأسا ، فوضعنا صيغته وارسلناه . وكان مفاده : « سنحتفظ بالمواضع ولكن اين المشروبات الروحية ؟ » .

كانت هذه رسالة وقحة من ضابطين ذوي رتبة صغيرة . إلا اننا فوجئنا عند ما أمدت رسالتنا غرضنا المنشود ولم تسبب لنا اي زجر . اذ جاءتنا في المساء عجلة تحمل «اوعية» (١) من الشراب (المشكاني) (٢). وللمرة الاولى منذ مجيئي الى افريقيا ـ اذا استثنينا من ذلك طيراني من (الحرة) ـ شربت مقداراً كبيراً من الشراب . وكان مفعول هذا الشراب فينا حسنا اذ جعل واجبنا يبدو اسهل من قبل . وصار لسان حالنا يقول « اين هم هؤلاء الأمريكان ؟ »

٣

ولم نتمكن خلال ليلتين من تأمين الاتصال مع موقع رصد (رومل) على الرابية ذات الرأس المخروطي واخذت تنصب الآن نار قوية على دورياتنا الامامية من تلك النقطة نفسها . . وعاد جنديان فجراً فاخبراني بانهما الباقيان الوحيدان من جماعة (رومل) الصغير . فقد قضى عليهم المشاة الامريكيون المرابطون في اسفل التل بنير الهاونات .

---

(١) « جير يكنز » وهي اوعية تستعمل لحفظ الماء او البنزين عادة .

(٢) وهو نوع من الشراب الايطالي .

وقالا ايضا ان (رومل) قد سقط . وقد اقيت (رومل) هذا بعد مرور سنة على هذه الحادثة وذلك خلال زيارة قصيرة لالمانية ، فلم يكن قد قتل بل جرح جرحا شديداً وزحف طيلة يوم تعيس وليلة الى ستر واد في السفح الجنوبي حيث اكتشفت وجوده قطعات المظلات الالمانية فنقلته الى مستشفى ميدان . وعندما لقيته كان قد خرج حديثا من المستشفى الذي قضى فيه دور النقاهة في المانية .

وفي اليوم التالي ـ المصادف ٦ نيسان على ما اظن ـ حدث اعنف هجوم علينا من المشاة الامريكيين . وقد وصل العدو الى مواضعنا الا انهم دحروا قبل ان يتمكنوا من خرقها .

واعتقدت ان العدو سيقضي علينـــا في اليوم التالي ان لم يكن في الهجوم التالي . اذ ان الدبابات قـــد انسحبت فاصبحنا وحيدين مرة اخرى . لكن امرا بالانسحاب قـــد صدر الينا فانقذنا للمرة الثانية . فاخلينا موضعنا عند الفجر وكانت المدافع والعجلات قد انسحبت ليلا . وكنت انا و (بيكر) آخر من ترك الموضع . وعندما انجلى ضوء النهار نظرنا الى الخلف فرأينا الدوريات الامريكية الاولى تصل الى حفرنا الشقية التي قاتلنا فيها مدة طويلة ومن دون فائدة على ما يظهر .

الباب الرابع والاربعون

المعركة الأخيرة

ارجو ان لا يعتقد القاري انني احاول الادعاء بأن فوجي وحده كان يقاتل في افريقيا . فقد حدث فى الحقيقة اعقـد نضال بين كتل القوات المتقاتلة هناك .

ففي الشمال أعاد الجيش الاول للعـدو تنظيمه بعد مباغتة رومل المزعجة في (قصرين) . وقد استأنف التعرض ، وقام بعـدة حركات محدقة تجاه (فون ارنيم) . كما انه في ٢٧ آذار دخل المشاة الامريكيون بلدة (فندق) بتوجيه من (الكسندر) وهددوا بالاندفاع عبر سلسلة (دورسال) الشرقية باتجاه (القيروان) الأمر الذى سيؤدي الى تهديد خط الدفاع الالماني — الايطالي للفريق (ميس) على وادي (العكاريت) من الخلف .

وتهيأ « مونتكمري » للهجوم على (وادي العـكاريت) جبهويا بالفرق الثلاث (١) للفيلق الـ (٣٠) .

وفي ٦ نيسـان اخترق (مونتكمري) (وادي العكاريت) في معركة دامت يوما واحداً وكانت لا تقل دموية ووحشية عن أيـة معركة

---

(١) وهي الفرقة الـ (٥٠) وفرقه (تاينه تيس) والفرقة الـ (٥١) الهايلند والفرقة الهندية الرابعة :

خاضها منذ (العلمين) . واصطدم الهجوم البريطاني بهجومنا المقابل في التلال ، وقال (الكسندر) بعدئذ ان كلا من الالمان والايطاليين « اظهروا عزما لا يفل ومعنويات لم تضعف » إلا انه تعذر الوقوف بوجه ثلاث فرق بريطانية وهندية حنكتها المعارك ومعها (٤٥٠) مدفعا !

وقد قاتلت الفرقتان المدرعة الـ (١٥) والخفيفة الـ (٩٠) أحسن قتال في تاريخها المجيد (كما قال ذلك الكسندر) الا ان النتيجة كانت معروفة . وقد فقد جيشنا المنسحب (٦٠٠٠) جندي آخرين وقعوا أسرى بيد العدو وعندما تركنا خط (القتار) بعد ظهر اليوم التالي اتصل الامريكيون القادمون من الجزائر بالجنود الانكليز الآتين من القاهرة للمرة الاولى ، وكان هذا سببا في التخلي عن معركتنا الشاقة في (القتار) اذ لم تبق ثمة فائدة منها .

وبناء على الاوامر الصادرة لي فقد انسحبت بفوجي من فصل القتال الأخير ضاربا عبر الاراضي نحو سهل تونس ومارا بمحاذاة (مكناس) و (سيدي ابو زيد) ومبتعداً عن (فندق) حتى وصلت مدينة (القيروان) المقدسة في ١٠ نيسان . فوقفنا هناك بضع دقائق قضيتها في مدرسة اللاهوت العليا التي كان يغشاها السلام الروحاني . وكانت تلك الدقائق القليلة كبلسم لاعصابي المتوترة ، فلقد اجبرنا على الاسراع طيلة انسحابنا من (القتار) وانزلت بنا طائرات الحلفاء ضرباتها المتوالية فقصفتنا ورمتنا بنيران رشاشاتها . وعلاوة على هذا الرعب النازل علينا من السماء كنا قد قاتلنا شهوراً طوالا . فهل لذلك من نهاية ؟ وياليت السلام يعود ثانية ويحين وقت التأمل !

على ان الوقت كان ضيقا . فتركنا (القيروان) ولما حاذيت سور المدينة وكنت سائراً في ذيل رتلي رأيت المدرعات البريطانيـة الأولى تدخل المدينة . وهكذا فقد استبدلت المدينـة المقدسة ضيوفها خلال دقائق قليلة . فهل سيقف البريطانيون ايضا لحظة للانعاش الروحي ؟ .

ولم يكن للفريق (ميس) ثمة أمل في الصمود جنوب خط الجبال في (النفيضة) فأوعز في جزع مفهوم ، الى قواته الايطالية بالانسحاب الى الخط الدفاعي المحتمل التالي بين (زغوان) والبحر ، تاركا الالمان يقاتلون قتالات المؤخرة كالعادة . وفي (زغوان) ترتفـع قمم الجبال بغتة من سهل تونس الجنوبي الواسع ، وكانت الصخور الكبيرة والاخاديد العميقة في الوديان الصخرية تؤمن حماية ممتازة ضد نار المدفعية والقصف الجوي ، ولا تستطيع هنا كتل الدبابات المطاردة ان تسحقنا بسرعة . فبدا لي اننا قد نتمكن من المقاومـة هنا ريثما تصل التقويات من اوروبا .

غير ان رفاقي كانوا يختلفون معي اختلافا كبيراً حول المستقبل . فكان بعضهم يعتقد بوجوب انسحابنـا الى رأس (بون) واخلائنا من هناك بالبواخر الى (صقلية) حيث نجدد القتال بعدئذ . في حين أن البعض الآخر كان يرى ان هتلر سوف لا يتخلى عن شمال افريقيا وان اعداداً كبيرة من دبابات (النمر) وانواعا حـديثة من طائرات القوة الجوية الالمانية سترسل الى افريقيا على عجل لتأمين التعادل مع الحلفاء في العدة والعدد .. وان معضلة التموين ستحل بواسطة العبارات المسماة (سبيل فاهرن) (تلك التي تستطيع ان تحمل دبابتين وهي مجهزة بمدافع

٨٨ ملم ضد الطيارات) وبواسطة الطـائرات الشراعية الزلاقـة المسماة (جيكانتن) وان اسبانيا ستلعب دوراً كبيراً ...

٢

ومضت الايام بهـدوء . فشيدنا الدفاعات وعبأنا الاسلحة خلف الملاجيء الصخرية . وكانت مدفعية العدو ترمى ليلا على عارضة بارزة واحدة فقط وهى مرتفع في الشرق قرب الساحل . فلم أحسد اولئك الذين كانوا يحتلون هذا الجبل ، وبدا لي اننا « كنا من ذوي الحظ في هذه المرة » . الا اننا امرنا بعد ظهر ذلك اليوم ان نتحرك الى المرتفع الذي قصف وان نقوم بهجوم مقابل من هناك . وقمنا بالهجوم ليـلا تحت المطر الغزير — وكان صيادو العدو يرابطون أمامنا ويرموننا بدقة متناهية ، وكانت القنابل وقنابر الهاونات تمطر علينا .

وكنا جماعة يؤسف عليها . فالمتاعب والاجهـاد العصبي الذى اصابنا في الاشهر الماضية قد اضعفت حيويتنا . وكان عـدم المبالاة والاجهاد مستوليان على جنودي — فكانوا يعجزون من مغالبة رغبتهم الساحقة للنوم عندما يلتجئون الى حفر القنابل الملآنة بالطين .

وبدأ الموت يخيم علينا كأخ ، وبدا من السخافة ان يخاف منـه الانسان اذ لابد وانه سيعطف عليه .

وايقظني بعضهم فجأة هازاً ذراعي بقوة . واذا بجـندي يغطيه الوحل قد نزل الى حفرتي وهو يلهث من التعب بعد ان بحث مدة ساعات في ميدان المعركة الغامض ،قافزاً من ستر الى آخر فسلمني مذكرة مغطاة بالوحل قائلا :

« بحثت عنك عدة ساعات ياحضرة الملازم الاول »

وفكرت انه يحتمل ان تكون المذكرة امراً احمق آخر يقضي بمتابعـــة الهجوم دون هوادة . ثم قرأتها على بصيص المصباح اليدوي للساعي الممتد بجانبي بعد ان اتخذت التدابير لاخفاء الضوء فاذا بها تقول « الملازم الاول (شمت) الجحفل الخاص الـ (٢٨٨) . يراجع الملازم الاول (شمت) مقر الجيش حالا .

ورأيت تحت هذا تعليقة مقر الجحفل بالقلم الرصاص : سلم الفوج حالا الى الملازم (ايبنيشر) .

فماذا يعني ذلك يا ترى ؟ وهل هو شر ؟ . وبما انه ليس من واجب الجندي ان يستجوب الاوامر فقد سلمت القيادة ضمن ساعة واحـــدة ودلفت مبكراً مع الفجر من الجبهة الى ســـيارتي وانا منهوك القوى وملابسي يغطيها الوحل .



الباب الخامس والاربعون

ضوء مكتوم بين اشجار القسطل

وصلت الى مقر الجيش وقت الظهر . فافتقدت فيه فعاليته القديمة وبدا لي انه لم يبق فيه من هيئة ركن رومل غير بقية قليلة ، ولو أن هذا المقر كان يحمل اسم « قيادة الجيش الالماني - الايطالي المدرع » . وكانت هنالك عجلات قيادة المانية قليلة وتكاد ان تكون خالية ، فولدت لدي انطباعا بانها تعود الى هيئة ركن ارتباط صغيرة ترافق القائد الايطالي الفريق (ميس) .

واخبرت المقر بحضوري وأنا اسائل نفسي عما ينتظرني من الأخبار السيئة .

فقال لي رئيس من شعبة (٢ آ) بعد ان بحث في اوراقه :

« لقد طلبت قبل نحو سنة اجازة بالزواج ، فهاهي ذي قد اتت . فلقد منحت اجازة خاصة فورية لمدة اربعة عشر يوما . وعند عودتك ارجو ان تراجع مقر الجيش لتلقي تعليمات أخرى »

وبعد بضع ساعات وصلت الى تونس وكنت اسوق في سيارة جيب وأنا في طريقي الى المطار . وكان ذلك في يوم عيد الفصح - ٢٥ نيسان .

فوقف سائقي برهة وبمهارة الجندي القديم حصل على قنينة شراب من مكان ما - وكان شراب الموز - فشربناه معا .

وسألته « هل ترغب في الذهاب الى المانية باجازة أيضاً ؟ . »

فاجابني مبتسما « وهل في وسعي ان لا ارغب فى ذلك ؟ »

وكانت في جيبي نسخة من النماذج الاعتيادية التي يمكن بموجبها منح الاجازات الى جنود فوجي للذهاب الى المانية ، وكانت حصة فوجي من الاجازات لم تنته ، فكان في وسعي ان امنح سائقي اذناً بالمجيء معي الى الوطن .

وقد دبرت مع الطيار ان يجد لسائقي محلا في الطائرة . لكن هذا قال لي :

« اريد اولا ان ازور المستشفى باحضرة الملازم الأول . . . » فذهب لقضاء حاجته قائلا « سأعود بعد قليل » الا انه لم يعد ولم اشاهده بعدئذ . وركبت في ظلام الليل فى طائرة نقل مزدحمة . فطارت عبر البحر الأبيض المتوسط ثم هبطت فجراً في (كتانيا) في (صقلية) .

وتابعنا الرحلة بعدئذ الى ايطالية ومن ثم الى المانية .

وتزوجت (هيرتا) يوم ٢٥ مايس . وبعد ذلك بيومين سقطت تونس بيد البريطانيين و (بيزرت) بيد الامريكيين وانهارت المقاومة المنظمة لجيوش المحور . ثم جاءت النهاية سريعة في شبه جزيرة (رأس بون) الموحشة .

وبينما كنا نقضي شهر العسل في (بادن بادن) بين اشجار القسطل المزهرة فى الغابة السوداء يوم ١٣ مايس انهى الراديو فجأة لحناً موسيقيا هادئا كان يذيعه فاذاع الخبر التالي « بعد قتال بطولي انهى الجيش المدرع الالماني الايطالى نضاله في تونس من جراء تفوق العدو الساحق . وبذلك انتهت معركة افريقيا » .

وقد القى ربع مليون من الجنود اسلحتهم واستطاع (٦٦٣) جنديا الفرار .

وهكذا فلم يعد للجحفل الخاص الـ (٢٨٨) وجود لكي التحق به ، كما انه ليس ثمة مقر جيش لاراجعه . ولقد خرجت من افريقيا بنفس الحظ الحسن غير المنتظر الذى اخرجني من (اسمرة) بالطائرة الاخيرة وانزلني في شمال افريقيا حيث التحقت بهيئة ركن رومل .

لقد كانت ماكنة الجيش الثقيلة تلعلع في حركتها التقليدية الاعتيادية ، ففكرت حتى فى المشاكل العائلية لآمر فوج مغمور وصغير الرتبة ونفتها في الوقت اللازم — وبينما كان قسم شهير من هذه الماكنة العظمية في طريقه الى التحطيم في افريقيا ، اذا برسالة تأتى بين لجب البرقيات (السرية للغاية) و (الحركات الطارئة) لتفيد :

(ان الضابط الصغير الذى أراد ان يتزوج سمح له الآن بذلك)

وقد وصلته الرسالة بيد ساعي دراجة جازف بحياته ليوصلها ، فانتشلت الضابط الشاب من معركته الاخيرة في افريقيا من بين مئات الالوف .

وفي مكان ما بين اشجار القسطل الهادئة في الغابة السوداء سمع عريس وعروسه ضحكة إله الحرب المكتومة فقد لعب ثانية لعبته الساخرة بالرجال !

المحتويات

الصفحة

الصفحة

جدول الخطأ والصواب

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	١٤	قادخلت	دخلت
٢٢	١٢	ما	مما
٢٥	٩	هنا	هناك
٢٧	١٠	فهمت	فهت
٣٤	١١	قلاك	ذلك
٣٥	١١	بلغث	بلغت
٣٩	١٦	يجعل	يجعل
٤٠	١٥	احد	احداً
٤٢	١١	هاوس	هاوسبر
٤٤	٩	قفز	فقفز
٤٨	٨	ويعد	بعد
٥٦	١٣	حلة	حلته
٦٢	١	صمت	ثمت
٦٢	٣	خريطة	خريطته
٦٢	٤	معقرته	مقدرته
٦٢	٧	تمرق	صارت تمرق
٦٢	١٦	ترك	ال ترك
٦٦	٤	فون ويكس	فون ويكر
٦٩	٣	علب	غلب
٦٩	١٢	شوبلر	شريبلر
٧٣	١٥	الاستراليين	الاستراليون
٨٠	٢٤	كوردات وكبرين	اكوردات وكبرين
١١٩	٨	الارض	الورق
١٢١	١	اجتمعنا	اجتمعا

ثمن النسخة ٣٠٠ فلس

مطبعة النجاح بغداد
١٩٥٣